

طيف حكايتنا

اسم الكتاب: طيف حكايتنا
اسم الكاتب: أمنية المشد
تدقيق لغوي: محمود ربيع
تصميم الغلاف: محمد مجاهد
الإخراج الفني: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى - 2020 م
رقم الإيداع: 19346/ 2020
التقييم الدولي: 6 - 00 - 6852 - 977 - 978



arabiclibrary2017@gmail.com

almaktaba79@gmail.com



Facebook.com/arabiclibrary2017



01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي
يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كلياً أو جزئياً، في أي
شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

طيف حكايتنا

رواية

أمنية المشد



إهداء

إلهم مني أنقذاني وأعطيني حياة..

أبي وأمي،

لكما شكر والعرفان الأبدي.

1

اهتزّت حقيبتها وأضاءها نور الموبايل، لم تُعر (ملك) للأمر اهتمامًا، وأبقت عينيها على شاشة السينما، تُراقب المعركة وتتمنى ألا يموت بطل آخر؛ فهي لم تكن قد التفتت أنفاسها منذ مصرع البطل الأقرب إلى قلبها منذ عشر دقائق، حتى (نادين).. (نادين) التي لم تبك عندما وصلها نبأ وفاة عمها، وجلست في عزائه بجانب (ملك) تتحقق من الوقت كل خمس دقائق، جلست الآن بجانب (ملك) تقبض في يدها منديلًا مبتلًا بدموعها.

اهتز الموبايل مجددًا، رسائل متتابعة واحدة تلو الأخرى. تنهدت (ملك)، ثم شرعت في البحث عن موبايلها داخل الحقيبة دون أن ترفع عينيها عن الشاشة. وجدت الموبايل مدفونًا تحت المحفظة - محتاجة أجيب محفظة جديدة النهاردة، دي اتهرت، يا رب يكونوا لسه فاتحين - وزجاجة العطر التي قد أهداها لها (كريم) في عيد الأم السابق.

أخرجت (ملك) الموبايل وقرأت رسائل الواتساب التي قد أرسلتها (مايا)..

“Enti feen?”

“la2 engezi rodni”

“3ayza el 3arabeya anzel aroo7 le Salma”

“Roddiiiiinii”

مسحت (ملك) بأصبعها على شاشة الموبايل لتفتحه، ثم فتحت الواتساب

وردت على ابنتها البكر..

“أنا في السينما مع (نادين)، مش عارفة لسه هروح امتي، خروج إيه دلوقتي

الساعة 18:30 !”

أرسلت الرسالة وأرجعت رأسها للخلف لتسندَه على ظهر الكرسي، وأغمضت عينيها. لن تستطيع متابعة المعركة الآن وهي تعلم أنه ينتظرها معركة أشرس وأدمى مع (مايا)، إما على الواتساب في صورة رسائل متتابعة بحروف إنجليزية كبرى، أو مكالمة تليفونية سينوبها فقط منها الصداق وارتفاع الضغط، وفقرة مراجعة كل القرارات التي قد اتخذتها منذ أنجبت (مايا)، والتفكير في إذا كان هناك شيء كان من الممكن أن تفعله بطريقة مختلفة حتى يسفر عن كون (مايا) ابنة بارة وهادئة، وليس تينياً ثائراً في هيئة فتاة في الثانية والعشرين من عمرها بشعرٍ مائل للشقر وعينين عسليتين.

لحسن الحظ اختارت (مايا) أن تستكمل المعركة عبر الواتساب. حلو.. مفيش صداع النهاردة.

“I’m TWENTY TWO!”

“I can go out WHENEVER I WANT”

“Plus it’s the weekend fa what’s your problem?”

“I want the car in 30 minutes”

“Orrrrr”

“Hatedfa3eeli floos uber”

أحياناً كانت تشعر (ملك) أنها ابنة (مايا) وليس العكس. لا.. ليست ابنتها هي، بل ابنة زوجها من زوجة أخرى؛ فمنذ البداية وكانت العلاقة بينهما هكذا، كانت (مايا) تغيّر من (ملك) كلما تحدث إليها هاشم، والد (مايا) وزوج (ملك) السابق. تذكّرت (ملك) كيف كانت تصرخ (مايا) وتبكي عندما كان يقترب (هاشم) من (ملك)، أو يوجّه لها كلمة، كانت تمتعض عندما كانت (ملك) تجلس معها هي و(كريم) -ابنها الذي يصغر (مايا) بخمسة أعوام- في الأوقات

النادرة التي كان يرجع فيها (هاشم) منزلهم قبل الثانية أو الثالثة فجراً من عمله. كانت تطلب من (ملك) أن تحضر لها أي مشروب أو طعام حتى تتركها وحدهما، وتتعمد مضايقة (كريم) حتى يترك الغرفة ويذهب للمطبخ ليقف مع (ملك)، أو يذهب لغرفته هو ويجلس بمفرده.

لم تشهد (ملك) مثل ثورة (مايا) عندما أخبرها بقرار طلاقها منذ ثمان سنوات، ولم تنس الألم الذي اجتاحت صدرها حين صرخت (مايا) وترجّت أبيها أن يأخذها لتعيش معه، وأنها لا تريد أن تمكث مع "الست دي"، ولم تنس السنة التي تبعّت الانفصال، ومقاطعة (مايا) لها، كان سبيل الكلام الوحيد بينها في تلك الفترة هو (كريم)؛ تُعلمه (مايا) بمطالبها وينقلها هو لملك، التي أخذت تلبّي وتدلل لعل يحن قلب (مايا) عليها، مما أسفر عما كان يحدث الآن؛ أسلوب الأمر والسخط من قبل (مايا) لـ(ملك).

"اتنين وعشرين يبقى تقدري تروحي لوحك، انتي لسه واخدة المصروف امبارح تقدري تدفعي أوبر، وكمان أنا قايلة من 4 أيام إني هاخذ العربية النهاردة".

أرسلت الرسالة ثم ضغطت على زر القفل وأرجعت موبايلها داخل الحقيبة. تجاهلت (ملك) الاهتزاز المتواصل من سيل الرسائل الذي تبع كلامها. كانت المعركة قد انتهت، ولم يُقتل أحداً آخر من الأبطال. شعرت (ملك) بعيني (نادين) تتفقداهما، وجاوبت على السؤال الذي كان يجوب بهما دون أن تنظر إليها:

"مايا كانت عايرة العربية، قولتلها تاخذ أوبر."

"أبوها لسه مش راضي يجييلها عربية؟"

ارتفعت شفتا (ملك) من جانب واحد في ابتسامة ساخرة.

"ولا هيرضى، من امتى يعني؟"

استدارت (نادين) في كرسيها لتواجه (ملك)، وخفضت من صوتها، "طب ما هو عنده أكثر من عربية، ما يديها واحدة!"

هزت (ملك) كتفيها وتنهدت. "قولته، وهي قالتله، قالها فيهم مشاكل ويصلحهم ومش عايزها تركب مستعمل، وقالي أنا إنه مش هيركب بتي عربية من بتوعه اللي دافع فيهم دم قلبه وهي مبهدلة عربييتي أنا كده."

كتمت (نادين) صوتًا كانت تريد أن تطلقه لولا أنها في مكان عام ويوجد طفل في الصف أمامها. "يعني هي بتك انتي بس، مش هو كمان؟ وانتي العربية الوحيدة اللي حيلتك بقالها ست سنين دي تتبهدل عادي؟"
"يا ستي."

انتهى الفيلم وقامت (ملك) وانضمت للحشد المتجه للباب وبجانبها (نادين).

"وهي (مايا) ناقصة دلع؟ خليها تتعستف شوية."

خرجا من السينما، وأخرجت (نادين) موبايلها لتتفقده.

"على رأيك، عايزة نعمل إيه دلوقتي طيب؟" أدخلت موبايلها في جيبتها

الخلفي وعدت شعرها المصبوغ أزرق بأصابعها. "ناكل؟ نتمشى؟"

"عايزة أجيب محفظة جديدة."

شدت (ملك) الطرف الطويل من طرحتها بنقشة ألوانها فيروزي ووردي، ثم رمته من فوق كتفها ليتدلى على ظهرها. تأكدت أن الطرحة لم تكن قد انزلقت وكشفت الخصلات التي وقد بدأ يتغلغلها الرمادي، ثم اتجهت للمحل الذي قد اعتادت شراء حقائبها ومحافظها منه منذ سنين.

"طب بقولك إيه.. " أدخلت (نادين) يديها في جيبتها ونظرت أمامها وهما في

طريقها للمصعد. "تروحيني في طريقك؟"

"أكيد آه." ضغطت (ملك) على زر المصعد وتابعت نزوله من الأدوار الأعلى.
"ما احنا متفقين من امبارح."

"تمام، شكراً." سكتت (نادين) لبرهة. "تعدّيني بس ع الـATM اللي جنب
بيتي أسحب فلوس لو مافيهاش مشكلة."

رن المصعد ليعلن وصوله وفتح الباب، دخلت (ملك) وتلتها (نادين)،
وانتظرت حتى دخل باقي المنتظرين، وبدأ المصعد في الهبوط، قبل أن تستدير
لـ(نادين) وترمقها بنظرة لا تختلف كثيرًا عن نظرتها لـ(مايا) و(كريم) كلما حاولا
إخفاء شيء عنها.

"ما انتي لسه ساجبة قبل مانخش السينيا."

ابتسمت (نادين) بلؤم وهزت كتفيها. "ما انتي فاهمة بقى.. الخزين خلص."
"لحقتي؟!!"

هزت (ملك) رأسها وتنهدت، لقد سيّمت دور الأم المهيمن على حياتها منذ
اثنين وعشرين عامًا، ولكنها قد تقبّلت أن مع وجود (نادين) في حياتها ستظل الأم
والصديقة التي تحتاجها (نادين)، التي فقدت أمها في سن الثامنة، ستظل أمها، حتى
وإن كان فرق السن مجرد ستة عشر عامًا.

"مش كنتي لسه هناك من كام يوم؟ لحقتي تخلصي نص صندوق؟!!"

"جالي شوية صحاب امبارح بعد ما قفلنا." أمسكت (نادين) إحدى الحقائق
المعروضة وأخذت تتفقدها. "فضلوا سهرانين عندي لحد ثلاثة الفجر مثلاً، الحمد
لله الـ meeting النهاردة كان open air وعرفت ألبس النضارة، بس العروسة
طلّعت عيني."

كانت (نادين) تعمل كمنظمة مناسبات وأفراح، وكانت (ملك) تستمتع بسماع قصص تلك الأفراح والمصائب التي كانت تحدث، ومحاولات (نادين) لإنقاذها (والتي كانت أحياناً تنجح).

"عملت فيكي إيه؟" استقرت على إحدى المحافظ وتوجهت للكاشير، تتبعها (نادين).

"عايزة فرح أعلى من هولي وود وتدفع فيه أقل من خطوبة في بيت."

انتظرت (نادين) حتى حاسبت (ملك) وخرجا من المحل، ثم التفتت إليها.

"هتفكسي لمايا؟"

"مش فايقالها." أشاحت (ملك) بيدها. "ولسه خناقة إنها هتروّج متأخر، خليها مرة واحدة بقى."

ضحكت (نادين) ولفت ذراعها حول كتف (ملك).

"اللي يشوفك دلوقتي مايشوفكيش لما اتقابلنا أول مرة."

ابتسمت (ملك) ابتسامة خفيفة لم تصل لعينيها، ما زال يراودها إحساس بالذنب من آنٍ إلى آخر، منذ ذلك اليوم منذ سبعة عشر عامًا.. يوماً ما بعد ولادة (كريم) ببضعة أشهر، كانت (ملك) تتشاجر مع (هاشم) بسبب عدم موافقته على جلب شغالة أو مربية لتساعد (ملك) في تربية (مايا) و(كريم) والاعتناء بالبيت، وفي ذلك اليوم كانت أمها تزورها، وشاهدت الصراخ بين (هاشم) و(ملك) في صمت.

امتزج صياح (ملك) ببيكاء (كريم) وصراخ (مايا)، ولكنها لم تبك منذ أيام زواجهما الأولى، وكانت (ملك) ترفض أن يرى (هاشم) دمعها، انتظرت حتى غادر البيت ساخطاً، ثم سمحت لنفسها بالانقيار أمام أمها وأن تفصح لها، أمها.. الشخص الوحيد الباقي لها من القرييين، انهارت (ملك) وأعرّبت لها عن تعبها

وتعاستها في هذه الحياة، ولولا أنها كانت تحمل (كريم) في تلك اللحظة؛ لكانت
القت بنفسها في حضن أمها التي لم تحظَّ به كثيرًا في حياتها من قبل.

ارتعد قلبها عندما لم ترَ شفقة أو حزنًا على وجه أمها، بل امتعاض و غضب.

"انتي أمّ انتي؟ غيرك بتشيل ثلاث عيال ومش بتفتح بقها، مش معنى إنك
اتربيتي لوحك وباباكي الله يرحمه جابلي دادا تساعدني في البيت وانتي صغيرة إن ده
العادي، متضايقه عشان ابنك وبتتك بيعيطوا كثير؟! ده بدل ما تاخداهم في حضنك
وتحسسيهم إن ماتهم موجودة وبتحبهم؟! اللي طالع عليكي إنك عايزة شغالة تقعد
بيهم عشان ترجعي الشغل.. شغل إيه وانتي جوزك بيدخلك فلوس ماكتتيش
تحلمي بيها أصلًا؟! الشغل ده كان زمان لو كنتي عملي اللي في دماغك! احدي ربنا
ع اللي انتي فيه لا ياخذ النعم دي كلها منك، ده إيه القرف ده!"

و منذ هذا اليوم وهي تكتنم شكواها، تكبح عنانها ولا تتركها تخطو تجاه لسانها
ولا يتضح على وجهها. منذ هذا اليوم وهي تعلم أنها وحدها في هذه الدنيا.
كان(هاشم) مجرد زوجها بالاسم، يأخذ كل حقوقه منها وينسى واجباته منذ أن
أنجبت (مايا)، وأمها لظالما كانت العلاقة بينهما غير سلسلة.

تذكّرت (ملك) تقلبات أمها المزاجية، وعدم قدرتها على تدليل طفلتها
الوحيدة، على الرغم من عدم وجود فرق كبير في السن؛ فقد أنجبتها أمها عندما تمت
من العمر عشرين عامًا، ومع ذلك لم يكونا قريبين، كانت الأم بعيدة.. باردة، لم تنك
(ملك) الحنية إلا من أبيها وجدتها.

لا تعلم لماذا تعجّبت من رد فعل أمها ذلك اليوم! ولكنه ترك بصمته، ونفسي
بها كالسّم، فاكتأبت(ملك)بعدها لعدة أشهر، ولم يعفها هذا من جلد (هاشم) لها،
وتعليقات أمها الحادة، حتى تبلّدت المشاعر، وعاشت سنين دفيئة داخل نفسها...

"هنروح ولّا ناكل أو نشرب حاجة الأول؟"

أحست (ملك) بتعب يسيطر على جسدها فجأة، ويثقل ذراعيها ورجليها، تلفتت لـ (نادين) كي تقول لها أنها تريد أن تذهب لبيتها، ولكن اهتز موبايها مجدداً، وتذكرت ما كان ينتظرها بالمنزل.

"ناكل." ابتسمت لنادين. "ونشرب كمان، احنا وانا حاجة؟"

سحبت (مايا) نفساً عميقاً من الشيشة وحبسته بضع ثوان في رثيها، ثم أخرجته رويداً، ألقت بموبايها على الكنبه بجانبها ونظرت إلى (سلمى) و(مصطفى) الجالسين في كرسي واحد بجانبها، يتبادلان السجارة، و(سلمى) تجلس على رجليه وهو يحيطها بذراعه، وللمرة العاشرة في غضون الساعة التي قد أمضتها في بيت (سلمى) منذ مجيئها اشتعلت الغيرة بها، وتمنت أن يحضر طارق..

"خلي المذاكرة تنفعه."

"إيه؟" أخذت (سلمى) نفس ثم أعطت السجارة لمصطفى. "مامتك لسه

مابردّش؟"

"لأ." رفعت (مايا) اللّي إلى فمها، وأخذت نفساً عميقاً حتى غمرها طعم

الدراق. "مش عارفة أنا إيه المراهقة المتأخرة اللي هي فيها دي، سينا إيه وزفت إيه

والله"

"ما تسيبي الست تنفسح"، ضحك (مصطفى)، "مش يمكن مصاحبة ولا

حاجة؟"

أشعلت كلماته الغضب داخل (مايا)؛ مما جعلها تتلفظ؛ فضحك (مصطفى)

أكثر ومعه (سلمى).

"تصاحب إيه بس؟! والله أسيلها البيت فيها"

"ما انتي عايزة تسيبيه فعلاً يا (مايا)"، قالت (سلمى)، "ما تسيبيها تتجوز
عشان تخلعي"

"تتجوز واحد بعد أبويا؟! هبل هو؟"

"سييها"، أطفأ (مصطفى) السيجارة وأخذ رشفةً من زجاجة البيرة التي قد
تركها على منضدة بجانب الكرسيّ، "ده حتى مامتك -cute- ومايانش عليها
سنّها"

"سلمى"، أشاحت (مايا) بيدها وقد عبّس وجهها من الكلام، "خلي
صاحبك يسكت، أنا جاية أروّق مش يتحرق دمي أكثر"

وقبل أن يردّ أحدهما رنّ جرس الباب، وقفت (سلمى) من على (مصطفى)
حتى تذهب وتفتحه. "شكل (طارق) قرر يفكس وييجي"

انتفض قلب (مايا) واعتدلت في جلستها، ورّبت شعرها الطويل المموج
متجاهلةً ضحك (مصطفى) وسخريته منها. كان الكلّ يعلم أن هناك شيئاً ما بينها
وبين (طارق) منذ أن تقابلا في الجامعة منذ سنة، وحتى حين كان يواعد أخرى
غيرها، لطالما شعرت أن هناك انجذابٌ بينها وبينه، والآن أصبح الأمر واضحاً أكثر
بعدما زرعت الشكّ في عقل صديقه السابقة من خلال إشاعاتٍ نشرتها هي
(سلمى) بحرصٍ شديدٍ في دوائر أصدقائهم في الجامعة، مع حرصها على نفي التّهم
التي وُجّهت إليها من أشخاصٍ مجهولين عبر حسابها على الفيس بوك وتويتر؛ فقد
كانت صديقه تلك من (غمرة)، والتحقّت بجامعتهم الخاصّة فقط بسبب درجاتها
المرتفعة والتي أعطتها خصماً يكاد يصل إلى سبعين بالمائة، بل وأيضاً كانت تعمل
بجانب الدراسة حتى تساعد أهلها. أما (طارق) فهو يسكن في الرحاب وسيارته
(BMW) وأبوه رئيس مجلس إدارة أحد أهم الشركات المرموقة، وبالتأكيد سيضم

ابنه إلى الشركة بعد تخرجه، وسيعينه في منصبٍ مرموقٍ. لا تليق به وبعائلته ابنة (غمرة).

لا، ف(مايا) اختيار أنسب بكثير، تدرس إدارة الأعمال وأبوها وأمها لديها وظائفٌ مرموقة، وهي ابنة أرقى مكان بـ(مصر الجديدة)، وأبوها يسكن بـ(كومباوند بالتجمع). هي لم تؤذ طارق، بالطبع لا، هي ساعدته فقط في إنهاء علاقة انتهائية؛ فبالأكيد ابنة (غمرة) تعرفه فقط من أجل أمواله وعائلته. وهي أيضًا لم تؤذ هذه الفتاة؛ فكان لا بد أن تتعلم ألا تنظر للأعلى هكذا.

دخل (طارق) الغرفة مع (سلمى) وسلّم على (مصطفى). وقفت (مايا) وابتسمت قبل أن تحضنه وتقبله على حده. "كنت متأكدة إنك هتيجي ومش هتسييني"

ابتسم (طارق) ابتسامة صغيرة، وأخذ خطوة للخلف -كم هو خجول!-، وجلس على الناحية الأخرى من الكنية.

"خلصت ولقيتني زهقان قلت آجي أقعد معاكوا." نظر إلى (سلمى) التي كانت تشعل سيجارة أخرى ويدها زجاجة بيرة. "ماتجيبيلي واحدة من دول كده." "أجيبلك أنا؟" همت (مايا) بالوقوف، ولكنه أشار لها أن تجلس.

"خلاص سلمى هتتصرف، شكرًا."

مش عايز يتعبني، جلست بجانبه وأمسكت لِيّ الشيشة. مش راجل متخلف وهيقعد يقولي اطبخيلي واعمليلي.

رجعت (سلمى) ومعها زجاجة (طارق)، أعطتها إليه ثم عادت لمقعدها على رجليّ (مصطفى). "بقولك... لفت ذراعها حول رقبة (مصطفى) الذي أمسك بيدها وقبلها راسًا ابتسامة على شفيتها. "هتروحي بكرا outing عيد ميلاد ندى؟"

"آه مش ناقصة قفش." لفت (مايا) خصلة من شعرها حول أصبعها ونظرت لطارق. "هتيجي معايا، صح؟"
أشعل (طارق) سيجارة ولفظ الدخان قبل أن يلتفت إليها ويرد، "وأروح ليه عيد ميلاد واحدة ماعرفهاش؟"
"عشان you're my date مثلاً؟"

"انتوا رايحين كافيه يا(مايا)!" هز(طارق)رأسه. "مش لدرجة date يعني، روعي انبسطي وأنا هبقى أشوف الstories."
ضمت (مايا) شفيتها للأمام ورمقته بنظرة كلها -من وجهة نظرها- دلح.
"هتسييني أروح لوحدي؟ احنا لحد دلوقتي ماخرجناش مع صحابنا ك-couple، كل مرة يا انت مش بتيجي يا بتنزل وتنسى تقولي."
أخفى (طارق) تنهيدته في نفس السيجارة، وخذش خده الأملس -كم كانت تود لو أنه عنده لحية خفيفة!- وابتسم لها، "معلش، تتعوض إن شاء الله."
نظر إلى (مصطفى) وسأله وهو يرتشف من زجاجته، "هنروح نتفرج عالماتش بعد بكرة ولا إيه؟"

"آه، قشطة، أنا معاك." ضم (مصطفى) (سلمى) إليه. "لو المدام راضية."
"طب مانروح معاكوا." بادرت (مايا) بالقول بحماسة شديدة دون أن تلحظ نظرة (طارق) لمصطفى المليئة بالملل والعبوس، ثم دحرجة عينيه. "أنا وسلمى كان نفسنا نحضر ماتش في قهوة من زمان."

"لا ما هو...". ابتسم (مصطفى) لطارق بحرج، ثم التفت إلى (مايا)، "مش هينفع بقى عشان هيبقى معانا ناس تانية، والقهوة دي ماينفعش بنات تروحها."
"اشمعنى يعني؟" سألت (مايا) باستنكار، "إيه جو إن ماينفعش بنات تروح ده؟ طب على فكرة بقى، ده اسمه."-

"بس، بس، بس." وضع (طارق) يده على فمها ليسكتها وضحك؛ فتأكدت أنه كان يمزح معها. "المرّة دي عشان اتفقنا مع الشباب هنروح القهوة، والمرّة الجاية نبقى ناخذكوا كافيه، تمام؟"
بادرته بابتسامة عريضة. "Like a date?"
"آه طبعًا، وماله".

2

تفقدت (مايا) نفسها في الكاميرا الأمامية في موبايلاها، وتعمدت ألا تبين لسائق الأوبر أنها قد لاحظت عينيه عليها منذ ركوبها السيارة؛ فقد تركت شعرها المموج ينسدل على كتفها وظهرها، وكانت ترتدي فستان أسود يصل لبضعة سنتيمترات فوق الركبة، وتصل أكامه حتى الكوع، يظهر من الأمام ما يثير الانتباه فقط، هذا مع عينيها المكحلة وشفهتيها المطليتين نبتي داكن جعلها تحصل على صفير من سيارة بشارعها، وهزة رأس من زوجة البواب.

سيرى (طارق) ال stories، وسيندم أنه لم يحضر.

ركن السائق السيارة أمام الكافيه، وابتسمت له (مايا) وهي تحاسب، ثم نزلت ودخلت الكافيه وهي تشعر بعينه على ما كان لا يخفيه شعرها من ظهرها العاري، ونتيجة شهر من عمل تمارين ال squats بشكل يومي.

وجدت (مايا) أصدقاءها واتجهت إلى مائدتهم. في جزء من الثانية كانت قد تفقدت فستان ندى ووجدته ليس جميلاً مثل فستانها.

"ندى، كل سنة وانتي طيبة يا قلبي." حضنتها ولاحظت أنها رشت عطرًا من زارا وليس شانيل أو كالفن كلاين، أو مثل هؤلاء الماركات التي طالما حرصت (مايا) على اقتنائها. "إيه الفستان القمر ده؟ بجد فطيع."

"بجد؟" ابتسمت "ندى" ابتسامة عريضة وامتلاأت عيناها بالفرحة. "ربنا يخليكي يا (مايا) ميري."

"حبيبي." التفتت (مايا) إلى باقي المدعويين ولوحت بيدها.. "هاي! ازيكوا؟"

ثم تسمرت مكانها، وسكت قلبها لبرهة، ثم خفق بشدة، واختفت الموسيقى وترحيب الناس بها وكلمات "ندى"، اختفى كل شيء ما عدا ذلك الولد -لا، بل الرجل- الذي كان يجلس في الركن البعيد من المائدة، يتحدث مع شخص آخر ويشيح بيد، وباليد الأخرى ممسكاً كأس به عصير ليمون بالنعناع، ابتسامته تظهر ظل غمازات تحت لحية داكنة خفيفة، كان شعره قصيراً جداً وعيناه بنيتين، يرتدي نظارة إطارها أسود مستطيل، ويرتدي بنطال جينز وقميص أبيض بخطوط كحلي، أكمامه مشمرة حتى أسفل كوعه. لم تفهم لماذا شد انتباهها كذلك؟ و عندما شعر بعينها عليه والتفت لها وابتسم بعد برهة، لم تفهم لماذا لم تشح بنظرها بعيداً حتى لا يلحظ اهتمامها، وكيف حركت هذه الابتسامة خيوط قلبها كالماريونيت.

"مين-" أمسكت (مايا) بذراع "ندى" دون أن تلتفت عن هذا الرجل وهزته.. "ده؟"

"علي؟" قالت "ندى"، وحينها تأكدت (مايا) أنه لا يوجد اسم في العالم كله أحلى من "علي". "صاحب أخويا من أيام المدرسة واتربى معانا."
"ندى." وحينها التفتت (مايا) لها حتى يصل لها مدى أهمية الأمر. "انتي هتعرفيني عليه، ماشي؟"

"طب وطارق؟"

"طارق مين بس يا بتاعة انتي؟ انتي مش شايقة شكله؟"

نظرت له من فوق كتفها ورأت أن عينيه ما زالت عليها.. هي، وليس جسمها، نظرت مجدداً إلى "ندى" وقد احمرّت وجنتاها للمرة الثانية في أقل من ثلاث دقائق.
"هو مصاحب؟ قوليلي إنه مش مصاحب."

ضحكت "ندى" وهزت رأسها. "لا، فرکش من كام شهر، فيه كرسي جنبه فاضي، الحقيه قبل ما شيري تيجي عشان هتعمل زيك كده بالظبط."

اشتعل حب الملكية بداخل (مايا)، وبصعوبة مكثت في مكانها، فقط لتقول لندی، "بعينها."

ثم دفعت شعرها عن كتفها للوراء، وذهبت للكرسي الفارغ بجانبه، ووضعت رجلًا على رجل مما شد فستانها للأعلى. تعثر قلبها عندما لم تقع عينه على رجلها وأبقى عينه بعينها. ارتفع جانب واحد من شفثيه في ابتسامة أوجدت فوضى بداخلها.

"هاي."

"هاي." كان صوتها مبوحًا؛ فحاولت مجددًا بصوت طبيعي. "هاي." مد يده لها وقد ازدادت ابتسامته وظهرت الغزازات عن حق. "علي." وضعت (مايا) يدها بيده وشعرت بكهرباء تنتشر من أصابعها إلى جميع أرجاء جسمها. "مايا."

"حلو اسمك يا (مايا)." أشاح بيده للنادل دون أن يرفع عينيه عنها. "تشربي إيه؟"

تابعت (ملك) المسلسل وهي مستلقية على الكنب في غرفة معيشتها، شعرت ببعض من القلق يتسرب منها ويتبخر عندما سمعت باب الشقة يُفتح ثم يُقفل، وتتابع خطوات (كريم) حتى دخل الغرفة.

"إزيك يا ماما؟"

"إزيك يا حبيبي؟" انتظرت حتى ألقى بحقيته على الأرض، ثم ألقى بنفسه في الكرسي، ولاحظت أن السواد قد خف قليلًا من تحت عينيه، وأن كان بها بعض من الحياة. "عملت إيه؟"

"الحمد لله." تنهد وارتعش طرف فمه في ابتسامة. "هديت شوية." "ربنا يريح قلبك يا حبيبي." سكتت برهة. "انت عارف إنك تقدر تيجي تتكلم معايا في أي وقت، صح؟" أو ما برأسه ونظر لشاشة التلفزيون. "عارف، بس لسه مش جاهز، حلو إنك عارفة اللي فيها وخلاص."

"وبحبك بالظبط زي ما كنت بحبك من قبل ما أعرف، ويمكن أكثر كمان." ابتسمت له حتى يطمئن. "وهفضل أحبك."

أو ما برأسه مجددًا ورأت في وجهه ذلك الطفل البشوش الهادئ الذي كان دائمًا ما يحضنها ويقبلها ويجلس على رجليها وهي تقرأ رواياتها في البلكونة. كم كانت تشتاق لهذا الطفل أحيانًا، ولكنه ما زال ودودًا معها، يحضنها ويقبل رأسها أو يدها من حين إلى آخر، ويضع جانبًا من مصروفه حتى يجلب لها هدية في عيد ميلادها وعيد الأم، أو قطعة حلوى كلما مر بجانب محلها المفضل.

ولكنها تشتاق لرؤية الفرحة في عينيه، والخفة في حركته؛ فكان (كريم) يعاني من مشاكل نفسية، ويذهب أسبوعيًا لأخصائية بعيادة في المعادي، كان قد سُخِّصَ بالاكئاب منذ عام، ولكنه كان أفضل الآن، وإن كانت المشاكل ما زالت كامنة في رأسه، هي والسر الذي أفصح عنه لها أثناء أحد انهياراته، والذي لم يُحَ به لأحد غيرها هي والدكتورة، والذي يشك به أبوه وأخته.

السر الذي لا يتحدثون عنه أبدًا.

"كلت يا حبيبي؟"

"آه، كلت مع الشباب." أخذ يتابع التلفزيون برهة، ثم نظر إليها. "ماتقلقيش بجد.. أنا كويس."

"إن شاء الله دايماً يا حبيبي."

قررت (ملك) أن تغير الموضوع حتى لا يتوتر (كريم) ويذهب لغرفته. "تيجي نتفرج على فيلم سوا؟ أحمّرنا شوية بطاطس ونفتح إجازة البيسي اللي مخبئها من (مايا) ونسهر شوية، إيه رأيك؟"

"ماليش نفس أشوف فيلم قوي." ثم بادر بالقول عندما رأى تعبير وجهها المحبط. "بس هجيب الكتاب اللي بدأتها امبارح وهقعد معاكى وأقراه وناكل ونشرب عادي."

"ماشى." وقفت (ملك) وكتمت إظهار أي وجع أو تعب حتى لا يشعر بالذنب ويقول لها أن تلغي الخطبة. "قوم غير هدومك لحد ما أخلص."

"قولي بقي.. انتظرت (مايا) حتى أخرجت دخان الشيشة من فمها -مراعية أن تنفخ بعيداً عن "علي" لأنه لا يجب التدخين-، ثم استكملت حديثها. "بتشتغل ولا بتعمل إيه؟"

"آه، لسه بادئ شغل من يومين في شركة جديدة بتعمل أجهزة طبية." احتسى من عصيره، ورجعت لوجهه الابتسامة التي لم تفارقه منذ أن رآها. "وانتي؟"

"لسه بدرس، استنى." اعتدلت في جلستها. "شركة إيه؟ اسمها إيه؟"

"شيفنر ميديكا، اشمعنى؟"

ضحكت (مايا) وهزت رأسها. "الدنيا صغيرة قوي، مامتي مديرة هناك."

"بجد؟ مديرة team إيه؟"

"معرفش." هزت (مايا) أكتافها وحاولت ألا تُظهر عدم اهتمامها بعمل أمها، الذي كان أحد أسباب انفصالها عن أبيها. لن تغفر لها (مايا) أنانيتها التي دمرت

عائلتهم، ولكنها لا تستطيع إظهار مقتها لأنها أمامه في أول مقابلة بينهما.
"ماقالتيش."

"طب ابقى اسألها وقولي." "

ابتسمت (مايا) ورمقته بنظرة زادت من ابتسامته. "يعني انت ناوي إننا نتكلم

تاني؟"

"ده لو ماعندكيش مانع." سكت برهة وجعلتها نظرتة وما رأته فيها تأخذ

نفسها بصعوبة. "و برضه أوصلك النهاردة لو ماعندكيش مانع."

"وماعنديش مانع تاخذ رقمي برضه اللي عايز تاخده ده من أول القعدة."

ضحك "علي" ولم تهتم (مايا) إطلاقاً بنظرات الناس لها ولا همساتهم، ولا

نظرة الغضب في عيني "مصطفى"، هبقى أقول لطارق بقى إننا خلاص، يروح

يشوف البنت بتاعة غمرة بقى ولا حاجة. كيف لها أن تهتم بطفل مدلل

مثل (طارق) بعد أن قابلت رجل أحلامها هذا؟

شركة أمها كانت شركة ألمانية مشهورة ورائدة في مجالها، وكانت مرتبات الذين

يعملون بها جيدة جدًا، وكانت ملابس "علي" تبدو ثمينة، وكذلك عطره الذي كان

سيصيبها بالجنون، وكان معه آيفون من أحدث طراز، أحدث من موبايلها هي

شخصيًا، وتعلم أنه ثمنه غالي جدًا.

لا بد أن تجعله لها، لا يمكن لأحد آخر أن يأخذه منها!

"طب يلاً بينا عشان عندي مشوار الصبح." "مد" علي" يده في جيبه وأخرج

محفظة جلد بنية. "ولاً انتي عايزة تقعدي شوية؟"

"أنا! نظرت حولها، ثم اقتربت منه وهمست، "أنا ماكتش عايزة آجي أصلاً،

ندى صاحبتني وكل حاجة بس ماليش في جو الكافيهات ده قوي."

هدأت ابتسامته قليلاً وارتفع حاجبه الأيمن بضع مليمترات. "طب إيه الجح
بتاعك؟"

"يعني..". أخذت (مايا) نفساً ثانياً لتستجمع أفكارها، وتتوخى الحذر فيما
تقوله. "أماكن أروق شوية، يبقى فيها music أهدى شوية."
"آه، مش clubs يعني وكده؟"

"انت عندك مشكلة مع الclubs؟" تمت أن يقول لا؛ لأنها كانت تعشق أن
تراودهم وتشعر بنبض الموسيقى يتخلل جسمها وهي ترقص.
"مش مشكلة، بس..". هز كتفه وظهر على ملامحه بوادر الاستنكار.
"ماليش فيهم قوي، كل فين وفين."

حتماً ستستطيع تغيير رأيه إذا ذهب معها مرة ورقصت معه، فكّم من شاب
هجر ثوابته ومبادئه من أجل (مايا) من قبل، وحتى وإن أخذ "علي" منها وقتاً
أطول؛ فلن يصمد أمامها.

"نبقى نشوف الموضوع ده بعدين." أزاحت (مايا) خصلاتها من على كتفها
وأملت رأسها جانباً. "مش هنروح بقي؟"

3

قلّلت (ملك) سرعة المشاية الكهربائية في الجيم وألتقطت أنفاسها، بجانبها (نادين) تركض على مشايتها ونفسها منضبط، لعنت (ملك) السن وعدم ممارستها الرياضة من قبل أن تلتحق بالجيم منذ بضعة سنوات. أحيانًا عندما كانت تسنح لها الفرصة كانت تتفقد وجهها في المرآة وتحاول أن تسترجع ملامحها ما قبل التجاعيد التي اجتاحتها، وتتفقد جسمها وتحزن؛ فلم تستطع إرجاعه كما كان قبل إنجاب (مايا) و(كريم)؛ مما أثار غضب (هاشم) كثيرًا.

ولكن شخصًا مثل (عمرو) لم يأبه بمثل تلك الأشياء، وكان دائمًا يؤكد لها أنه يراها جميلة، وأن كل هذه العلامات ما هي إلا دلالات على مشوار نبيل في الحياة، كان (عمرو) يسبقها بالعمر سنتين، وعيّنًا بالشركة في نفس الوقت منذ خمس عشرة سنة، الفرق بينهما بضعة أشهر اندثروا مع السنين. كان هو يرأس الآن قسم البحث والتطوير وترأس هي قسم التخطيط الهندسي في شركة ألمانية تصنع أجهزة طبية. لم يحدث بينهما احتكاك كثير في خلال السنين الأولى لها في الشركة عندما كانت تعمل عملاً إداريًا، ولكن مع ترقيتها في السنة الثالثة اجتمعوا بمشروع ونشبت بينهما زمالة، وعلى مدار سنتين تحوّلت الزمالة إلى صداقة طفيفة.

عندما كانت تسترجع (ملك) ذكرياتها عن هذا الوقت استطاعت أن ترى دلائل على حقيقة مشاعرهما تجاه بعضهما في هذه السنوات، وتحوّل هذه المشاعر ونموها.

كان (عمرو) من لجأت إليه حين فاض بها الأمر مع (هاشم). تذكرت أنها منذ ثمان سنوات اتّصلت به وهي تبكي، وذهبت لتقابله في كافيه يبعد عن المكتب وبيتها أو أي من الأماكن التي كان يرتادها (هاشم)، وأفصحت له عما حدث بينهما، وأنها

قد طفح بها الكيل وتريد الطلاق. استمع لها وحاول أن يهدئها، بعد أن انتهت من شرب ثاني كوب قهوة لها سألها إن كانت تحب (هاشم) أم لا؟ لم تترث ولم تتردد قبل أن تحبره أنها لم تحبه قط، وأنها تزوجته فقط لأسباب خاصة لا تريد أن تتذكرها وتتحدث عنها، ولكن حين قررت أن تتزوجه كانت قد فقدت إيمانها بالحب كسببٍ للزواج أو كضمان لحياة سعيدة وتفاهم بين الزوجين، وأنها الآن تراجع تفكيرها هذا، ولكن لا تستطيع أن تحدد ما وجب عليها أن تؤمن به.

كانت تسأله أحياناً، في الأيام الأخيرة قبل انهيار أحلامها التي بنوها مع بعض لمدة سنوات، إذا كان لا يشعر بالندم أن أول زوجة له ستكون عجوز؟ وكان يرد ضاحكاً أنه لا يريد شابة حديثة التخرج، ولكن شخص ذو خبرة، ليس فقط فيما يخص غرفة النوم، ولكن الحياة والارتباط والحوار بين شخصين ناضجين.

أحسّت بقبضة حول قلبها عندما تذكرت كيف كانت تبيح له بكل أسرارها الدفينة ومخاوفها، وأحلامها ورغباتها التي لم تستطع الإفصاح عنها لـ(هاشم)؛ فلم تكن تلك طبيعة العلاقة بينهما.

هل يمكن لامرأة في سنها أن ينكسر قلبها مجدداً؟ هي لم تقابل من قبل امرأة في سنها تعيش قصة حب مستجدة وتمر بفراق، كانت قد اعتقدت أن في هذا السن لن يكون هناك أي تحكيمات عائلية في مصيرها، ولكن كم كانت مخطئة...

"سرحتي في إيه؟"

سحبت كلمات (نادين) من المكان الذي كانت به، وتلفتت لها. "العادي اللي

بسرح فيه."

رمقتها (نادين) بنظرة حانية بها شفقة. "حاولتي تتكلمي مع (مايا) وهاشم ثاني

في الموضوع ده؟ مش يمكن يغيروا رأيهم؟"

صدرت من (ملك) ضحكة ساخرة صغيرة، وهزت رأسها، "مش هيرضى يسيني أبقي لحد تاني، مش عقليته، ومايا بتحاول تضايقني وخلص." سكتت لبرهة وانعقد جبينها.. "مع إن بقالها فترة هادية ومش بتتكلم كثير، ولما بتقعد معنا بتركز في موبايلها وخلص من غير ما تتريق على كل حاجة بقولها."

"ييقى صاحيت." ابتسمت (نادين) بكامل ثغرها ولاعبت حواجبها. "طالعة لأمها البنت شاطرة."

"آه، وأنا شاطرة قوي زي ما انتي شايفة." التوت شفتها استنكارًا. "كل علاقتي ناجحة قوي."

"ع الأقل بتعرفي توقيعهم." "ما عدا جوزي." تنهدت (ملك)، ثم ضغطت على زر الإيقاف ونزلت من على المشاية، احتست بعض المياه، ثم أكملت، "بس ممكن تبقى مصاحبة فعلاً، هي ماقالتليش لا أنا ولا أبوها على حاجة كده قبل كده." نفّس في الخوف، وأحست باضطراب في ضربات القلب مما جعلها تستند على مسند يد المشاية. "ربنا يسترها ويبقى ولد كويس؛ عشان لا هتتكلم معايا ولا أبوها، وصحابها أصلاً مش أحسن حاجة."

أخذت نفساً عميقاً حتى تهدئ من نفسها، ولكنها كانت تحتاج لعمر وشدة الآن ليطمئننها. "الله أعلم هي صاحيت مين قبل كده وعملوا إيه مع بعض."

"اهدي بس." ضغطت (نادين) على زر الإيقاف وقفزت من على المشاية قبل أن يتوقف السير تحت أقدامها، ولفت ذراعها حول (ملك). "هتبقى كويسة يا (ملك) إن شاء الله، هبقى أتكلم معاها، هي بتحبني شوية."

"والنبي اعلمي كده." أحست (ملك) بذب رهيب، واجتاحها إحساس بالفشل خنق صدرها ودفع الدموع لعيونها. "أنا عايزة أمشي يا (نادين)."

"طب تعالي ناخذ حاجتنا ونمشي."

أسندتها (نادين) وهما في طريقهما لغرفة حفظ المقتنيات. "هرجع معاكي ع البيت وهتكلم معاها ونتظمن."
دعت (ملك) من قلبها أن تظمن على ابنتها فعلاً.

جلست (مايا) على مائدة في كافيه في مول قريب من الجامعة، ولم تستطع جمع رجليها عن الاهتزاز. تفقدت موبيلها حتى يمر الوقت وتفكر بأي شيء غير أنها تريد شيشة الآن، ولكن كان هذا المكان من اختيار "علي"، حتى لأنه لا يجب الشيشة ويختنق منها.

كانت قد اختارت مائدة أمام الباب حتى تلمحه وهو داخل، وبالفعل رأته وتعثر نفسها وارتسمت الابتسامة على شفيتها دون أن تدري. لمحها هو الآخر وارتسمت على وجهه الابتسامة ذاتها، وأسرع من خطاه حتى وصل إليها، وأمسك بيديها الاثنتين. لم يحاول حتى الآن وبعد مرور شهرين منذ أن التقت أن يحضنها أو يقبل خدها حتى، فقط يمسك بيدها، كانت تريد أن تترك الحركة الأولى له، ولكنها لم تتعود أن ترى مثل هذا التحكم في النفس من قبل؛ ففي علاقاتها السابقة كانوا يحاولون من أول لقاء لهم وحدهم أن يقبلوها أو يحضنوها. أحياناً كانت تشعر أنه ليس منجذباً إليها، ولكنها لمحت أكثر من مرة وهو يجاهد نفسه ألا ينظر لرجليها العاريتين أو ما يظهر من بلوزتها عندما تنحني - وكانت ترتدي فساتين وتنورات قصيرات وبلوزات واسعة أو مفتوحة حتى تثير اهتمامه وانجذابه-، ولكنه كان دائماً ما ينجح في تصويب بصره لوجهها.

"حبييتي." جلس أمامها وظل ممسكاً بيديها. "معلش اتأخرت عليكي،
اتزنقنا في meeting كلنا."

"مش مشكلة." مسحت بإبهامِها على ظهر أصابعه. "وحشتني."
"وانتي كمان." نظر إلى المائدة الخالية من الأكواب. "شربتي ولا لسه؟"
"كنت مستنياك." عبست شفيتها تدلّلاً. "بس يلا بينا عشان هتقوي كمان
شوية إنك لازم تمشي."

"مش بإيدي وانتي عارفة." شدّد قبضته على يديها ورفعها لشفيتها وقبلها،
احمّرت وجتها ووسعت ابتسامتها، قبّل يديها مرة أخرى ثم وقف. "أجيبك
إيه؟"

"ماجربتش حاجة هنا قبل كده.. فاجئني."

ذهب للكاشير ليطلب، ووجدت "مايا" نفسها تسرح فيه. في خلال
الشهرين الماضيين كانت قد تعلّقت به جدّاً، ولم تسأم من الكلام معه؛ فكانا يتبادلان
الرسائل على مدار اليوم حتى ينتهي هو من عمله وهي من جامعتها، وعندما
يرجعان لبيوتهما كانا يستكملان حديثهما على الموبايل لمدة ساعات، لأول مرة في
حياتها وجدت (مايا) نفسها مهتمة بما يقوله شاب لها عن نفسه وحياته، وإن كانت
متوجّسة قليلاً من كونه يسكن في سرايا القبة، وعمل أبيه في مصلحة الضرائب، وهو
بالنسبة لمايا مكان غير مرموق بتاتاً، ولا تعلم إذا كان أبوها سيوافق على هذا النسب،
ولكن كان يبدو على "علي" أنه ابن ناس، فربما سيكون أبوه مثله ولن يعرقل أبوها
الموضوع.

كان يُضحكها كثيراً، وكانت مبهورة بذكائه وثقافته الواسعة - كان يقرأ! لم
تقابل (مايا) قط ولدًا يقرأ غير أخيها-، ومثابرتة وعزمه لأن يثبت نفسه في العمل. لم
تلحظ (مايا) أية أمور كتلك من قبل في أصدقائها السابقين، ربما لأنّ لم تكن موجودة

بهم كل هذه الصفات. كان معظمهم من مدرستها وجامعتها، شباب مدللون لا يعرفون التعب والمشقة، لم يُطلب منهم من قبل أن يعملوا حتى يصلوا لشيء؛ فمنهم من دفع أبيه ثمن درجات تضمن نجاحه أو التحاقه بكلية ما، ومنهم من وعده أبوه بوظيفة في شركته فور تخرجه فلم يهتم بتعلم أي شيء، وأخذ وقته في التخرج حتى لا يواجه الحياة العملية.

لم تكن تبالي (مايا) بهذه الأشياء من قبل، ولكن الآن لاحظت أنها لم تبالي بوجودها من عدمه؛ لأنها لم تكن تعلم أن هناك طريقة معيشة غير تلك، طالما كانت تعتقد أن كل الناس دون مستواها هذا كانوا جهلاء رجعيين، يلهيهم الفقر عن الثقافة والتحضر، ولكن جاء "علي" وحطم مفاهيمها تلك؛ فلم يلتحق بمدرسة دولية على النظام الأمريكي أو الIG، لم يلتحق حتى بمدرسة خاصة، بل مدرسة تجريبية في سرايا القبة.

عندما سألته أين تعلم الإنجليزية أخبرها أن أباه باع شبكة أمه بعد وفاتها عندما كان عمر "علي" ستة عشر عامًا، وألحقه بدورات في القنصلية البريطانية؛ لأنه كان يعلم أن مستقبل ابنه يعتمد على إتقانه اللغة واكتسابه لَكُنَّة جيدة.

كان يحدثها عن كل شيء؛ آراءه السياسية والاجتماعية، طفولته وعلاقاته السابقة، حلمه أن يصبح مهندسًا منذ أن كان عمره ثمان سنوات، وعلاقته بابنة الجيران أثناء الثانوية العامة التي كادت أن تؤدي بهذا الحلم إلى هلاك عندما انتهت نهاية حزينه قبل بدء الامتحانات بأسبوع. حدّثها عن أمه وعلاقتها ببعض قبل أن تصاب بالسرطان، وعناؤه هو وأبيه حتى يدبّروا تكاليف علاجها الذي فقط أطال من عمرها سنة واحدة قبل أن تستسلم للمرض. حدّثها عن نحيب والده عندما لفظت أنفاسها الأخيرة وهي بحضنه في فراشها. كان "علي" صريحًا مع (مايا) في كل شيء، حتى الأسرار التي لم يُفصح عنها لأي شخص من قبل.

تأثرت (مايا) بكلامه كله، وفرحت بثقته بها، ولكن شيئاً ما بداخلها منعها من أن تبادل هذه الثقة، كلا.. كانت تثق به وتحترمه، لم تكن هذه هي المشكلة، ولكن لم تشعر (مايا) براحة تجاه فكرة أن تحكي له مشاكلهم العائلية، وعن علاقتها الغير موجودة بأمرها، وحبها الشديد لأبيها وانحيازها له. لم تحك له عن علاقاتها السابقة، فقط قالت له أنها سبق وأن ارتبطت، لم تكن تريد أن تخبره أن هذه العلاقات وصلت لمراحل حميمة جداً مع معظمهم، ولا أنها عندما تذهب للبارات والملاهي الليلية مع أصدقائها لا تشرب عصيراً أو مشروبات غازية مثلما كان يفعل هو. حتماً لن يتقبل أسلوب حياتها، ولن يحترمها إذا علم بكل ذلك؛ فكان الحل أن تُخفي عنه؛ لأنها لم تكن تريد أن تحسره.

شاهدته وهو يمزح مع الكاشير والعاملين، وهو شيء لم تره من قبل مع أصدقائها؛ فكانوا فقط يملون على الكاشير أو النادل طلبهم ولا يعيرونه اهتمامهم بعدها. حتى هي كانت تفعل مثلهم، حتى علق "علي" على هذا الأمر وبدأت أن تغير من طريقتها أمامه. لم يكن هذا الأمر الوحيد الذي اضطرت أن تغيره؛ فجاناب ذلك قللت من التلقظ أمامه، وبالسلام على أصدقائها الشباب بالأحضان أو تقبيلهم، هو لم يطلب منها أن تتغير، ولكنها لاحظت على وجهه العبوس، وخافت أن يهدد ذلك علاقتها؛ فقللت التلقظ واحتكاكه بأصدقائها لأضيق الحدود.

رجع "علي" لهايا بكوبين كبيرين من القهوة وملعقتين لتقليب السكر.

"جبتلك اللي بشره عادة هنا، شوفي كده لو عجبتك."

أخذت (مايا) رشفة صغيرة، ثم أضافت كيسين سكر للكوب وأخذت رشفة ثانية. "حلو قوي."

"كويس." احتسى "علي" من كوبه ومد يده فوق المائدة وأمسك بيدها.

"محاضرتك الجاية امتي؟"

"كمان ساعة المفروض." "تفقدت الجدول على موبايلها لتتأكد." "الجامعة تلت ساعة من هنا فتنام، معايا وقت."

"حلو، وأنا كمان محتاج أتحرك في نفس الوقت." "رن هاتفه وأخرجه من جيبيه، انعقد جيئنه عندما تفقده وبعث رسالة، ثم وضعه على المائدة بجانب كوبه." "حوار إن الواحد معاه تليفون شغل ده سحلة."

"هو ده مش موبايلك؟"

"لأ طبعًا." "ضحك مستنكرًا، "هشترى موبايل بالمبلغ ده ليه؟ ده تليفون ادوهُولي في الشغل أول يوم، وقالولي إني ليا عدد دقائق ونت معين في الشهر، يقضي مكالمات شغل وpersonal، وموبايلي القديم كان خلاص بيودّع فجّة في وقته."

أحسّت (مايا) بشيء من الإحباط بداخلها، كانت قد تغاضت عن أن سيارته من طراز سبع سنين سابقة، وأنه اشتراها مستعملة منذ سنة ويدفع أقساطها الآن، ولكنها ظلّت تقول لنفسها أنه معه نقود كافية لشراء الأيفون، والآن يقول لها أنه لم يشتره، وأن المكتب هو الذي أعطاه إياه؟ هل ملابسه تلك ماركات فعلاً أم تقليد؟ ولاحظت أنه لا يأخذها لمطاعم في فنادق غالية، ولكن أماكن متوسطة، نعم.. كان يجاسب كل مرة—لم تكن تحاول أن تدفع؛ فهي ليست رخيصة حتى تحاسب لنفسها—، ولكن الحساب كل مرة كان لا يزيد عن ثلاث مائة جنيه فقط، وهو ليس بمبلغ باهظ، أيعقل أن يكون بخيلاً؟ أو—ويا رب لأ بجد—فقيراً؟!

"مالك؟" راقبها وهو يرتشف قهوته. "ساكتة ليه؟"

"لأ مفيش." "تذكرت إعلان قد أرسلته لها (سلمى). "بقولك إيه.. فيه حفلة

عايزة أروحها يوم السبت، تيجي معايا؟"

"فين وبكام؟"

"ثمانية بالليل." سكتت لحظة، وركزت على وجهه، ثم استكملت، "ب300 مثلاً."

"آه." نظر "علي" بعيداً، ثم أخذ رشفة من قهوته، جلس صامتاً سارحاً لمدة دقيقة، ثم صوّب نظره لكوب القهوة.. "لأ، مش هعرف آجي معلىش."
"ليه يعني؟" شعرت (مايا) بعصبيتها تشتعل. "إيه المشكلة؟ وراك حاجة؟"
"لأ." رفع عينيه لها، ولم تقرأ الإحراج الذي كان يحاول إخفاءه، مشغولة هي بخيبة أملها أنه إما بخيل أو فقير، وأنه لن يستطيع أن يدلّلها. "بس مش هينفع يا(مايا)، أنا آسف، ممكن المرة اللي بعدها."

"بس أنا بجد عايزة أروّحها." تسلل الغضب إلى صوتها وبه بعض من التدلّل المستفز. "ومش هينفع أروح لوحدي، منظري هيبقى وحش قوي قدامهم."
"مايا!" تجاهلت الألم الذي بات واضحاً على وجهه. "بجد مش هعد-"
"خلاص." قاطعته مشوّحة بيدها. "فاكس، اتقفّلت ومش عايزة أروح."
"طب رُوحي واحكي لي عنها."
"خلىصنا يا علي." قالتها بنبرة صوت حادة وقد تجهمّ وجهها. "أنا همشي عشان ما أتأخرش."

وقفت وشدت حقيبتها من أعلى المائدة بعنف. "سلام."

انتفضت (ملك) في جلستها هي و(نادين) عندما سمعا باب الشقة يُفتح ويُقفّل، ثم صوت خطوات (مايا) المتجهة إليها.
"اهدي!" همست لها (نادين)، وأشارت لها أن تبقى مكانها. "هتكلم أنا معاها، خليكى برّه الموضوع."

غصبت (ملك) نفسها ألا تُظهر شيئاً على وجهها حتى لا تقلق (مايا) أو تجعلها تشك بأي شيء، صوّبت بصرها للتلفزيون حتى دخلت (مايا) غرفة المعيشة، وبدأ على وجهها العبوس.

"مايويّا." ابتسمت لها (نادين) وفتحت ذراعيها. "وحشتيني، تعالي هنا سلّمي عليّا."

ابتسمت لها (مايا) وأسّرت إليها، "وحشتيني انتي كمان قوي." حضنتها بشدة، ثم رمقت أمها بنظرة. "هاي."

"هاي حبيبي." حاولت ألا يظهرَ عليها شيء وابتسمت لها. "يومك كان إيه؟"

وقفت (مايا) وقد اختفت ضحكتها. "يومي زي أي يوم يا ماما، هيكون حصل إيه يعني؟"

"يا بت بطلي قلة أدب بقى." مزحت (نادين). "تعالي نرغي شوية، وانتي.."
التفتت إلى (ملك)، "اعمليلنا أكل، واخدة أجازة انتي وفاكرة نفسك هتريحي وكده؟ قومي اعمليلي حاجة حلوة يلاً."

"ماشي حاضر، ماتزوقيش." وقفت (ملك) واتجهوا ثلاثتهم خارج الغرفة، ذهبت (ملك) للمطبخ، واتجهت (مايا) و(نادين) لغرفة (مايا). أخذت (ملك) نفساً عميقاً في محاولة لتهدئة نفسها، وبدأت في تجهيز الطعام.

أغلقت (نادين) الباب خلفها هي و(مايا) وجلست على السرير الضخم.
"تعالي."

ربتت على السرير بجانبها،

"احكي لي جديدك إيه؟"

"أمي مسلطاي ولا إيه؟"

التوت شفتا (مايا) في ضحكة ساخرة، ولكن جلست بجانب (نادين).

كانت (نادين) مثل أختها الكبرى التي تأمل أن تكون مثلها؛ ف(نادين) تعيش بمفردها وتخرج كما تشاء وترتدي ما تشاء، وتجمع أصدقاءها في بيتها حيث يشربون ويحتفلون، وكانت تجلبُ رجالًا للبيت كلما أرادت، ولا يوجد أحد ليحاسبها على أفعالها. كانت تعلم (مايا) كل هذه الأشياء من خلال تصنّتها على أحاديثهم أحيانًا.

"مسلطاني إيه بس يا متخلفة انتي!"

أشاحت لها (نادين) بيدها أن تُسرِع.

"إيه جديدك؟ انجزي."

"وليه متأكدة إن فيه جديد؟"

"يا بت."

رمقتها (نادين) بنظرة، ثم أزاحت شعرها للوراء؛ لتكشفَ عن أذن مرصعة بالحلّقان.

"عليا الكلام ده؟ وانتي من امتي مألِكيش جديد؟"

حسنًا، ستحكي لها، وحتى إن قالتَ لأمها؛ فكالعادة لن تستطيع أن تفعل شيئًا.

"كنت بظبط واحد قابلته من شهرين كده، بس شكلي هفكس."

"ليه هتفكسي؟ ماله؟"

أخبرتها (مايا) عما كان يجول بخاطرها، وفرحت أن (نادين) لم يبدُ على وجهها حكم أو تزمّر. أحست باهتزاز هاتفها في جيبتها وتجاهلته، منذ أن تركت (علي) منذ بضع ساعات وهو يكلمها ويرسل لها رسائل وهي لا ترد.

انتهت (مايا) من كلامها وبقيت (نادين) صامته برهة، ثم تنهدت وأزاحت شعرها عن جبينها مرة أخرى.

"مايا، ممكن ماعهوش فلوس دلوقتي، عادي بتحصل."

"ماشي، مش هصاحب أنا واحد فقير يا (نادين)!"

اجتاحتها العصبية مجددًا.

"منظري إيه قدام صحابي؟ بجد بنروح أماكن فكسانة قوي وبقى محرجة قوي

وأنا بحكي لسلمى، صاحبها بياخذها انديامو وسموكيري على طول!"

"مايا، بلاش هبل والنبي."

دفعت (نادين) رأسها جانبًا وضحكت (مايا).

"الولد شكله كويس ويحبك، فكك من جَوّ بيوديني ومش بيوديني، مش

بالفلوس والله، اعقلي كده."

"حب إيه ونيلة إيه بس يا (نادين)!"

اكفهر وجه (مايا).

"الكلام ده فكسان قوي، كل ده بيروح أصلًا، المهم الحاجات اللي تخلي العيشة

كويسة، والفلوس دي أكثر حاجة بتخليها كويسة."

"غلط تمامًا الكلام ده."

تنهدت (نادين) ودعت وجهها.

"مايا، لو عيشتي مع واحد غني جدًا بس العلاقة بينكوا وحشة ولا هيفرق

معاكي فلوسه ومش هتبقى طايقة حاجة منه، وببساطة هو ممكن يبقى غني

وماتوليش من الفلوس دي حاجة، أو يذلك ويهينك بيها. الفلوس فعلاً مش كل

حاجة، المعاملة والاحترام أهم من أي حاجة. طب ما باباكي معاه فلوس، شايفة إن

جوازته هو ومامتك نفعت؟"

"لأ، هي اللي ماطمَرَش فيها."

ردَّت (مايا)،

"دي حاجة تانية، كان مقَّعدها في البيت معزَّزة مكرِّمة ومش حارمها من

حاجة وهي عايزة تشتغل وما تاخذش بالها منه، ماتزعلش بقى إنه سابها."

تجهَّمت (نادين) وارتفع صوتها قليلاً:

"مايا، انتي أصلاً بتقعدي تنزلي ع الفيس بوك إنك مع حقوق المرأة، ازاى

بتقولي كده وترجعي تكتبي إنك feminist؟ أمك تعبت ودرست وحقها يكون ليها

كيانها."

"الكلام ده في زمننا احنا."

قاطعَتْها (مايا) وقد ارتفع صوتها هي أيضًا واحمرَّ وجهها غضبًا.

"آه، البنات دلوقتي تدرس وتشتغل وتصرف على نفسها وتعمل اللي هي

عايزاه، مش واحدة في سنها! فاكرة نفسها واحدة عندها عشرين سنة عشان تُروخلي

السينما والجيم؟ بتظبط جسمها لين والله في السن ده؟ لسه عايزة تصاحب وتتجوز

دلوقتي؟ هو هبل وخلص؟"

"وطي صوتك لا تسمعك!"

"ما تسمع!"

صاحت (مايا):

"من امتي بخاف يعني؟ خليها تسمع عشان تفوق من المراهقة اللي هي فيها

دي! دي حاجة تقرف!"

مَشَتْ (ملك) بعيدًا عن باب غرفة (مايا)، ورجعت للمطبخ لتستكمل تحضير
المكرونه وصوصها الأبيض بالفطر.. وجبة (مايا) المفضلة، ومن كل حين إلى آخر
تتوقف لتمسح دموعها ولتأخذ نفسًا عميقًا يُذهب الألم المتفشّي في صدرها.

4

كانت (مايا) بغرفتها لاحقاً في اليوم ذاته تشاهد حلقة مسلسل على الالبتوب الخاص بها عندما رن موبايلها معلنا وصول رسالة. تجاهلته برهة، ثم شعرت بالغضب يتسلل منها رويداً، وبكفة الفضول ترجح. أمسكت هاتفها وفتحته لتقرأ رسائل (علي) لها.

"مايا"

"ردي عليا لو سمحتي"

"مايا أنا بحاول اكلمك بقالي ساعة!"

"مايا انتي مش بتريدي ليه؟؟"

"أنا قلقان عليكِ"

"او كوي انتي عملتي share لحاجة من شوية. الحمد لله إنك كويسة"

"مايا لو سمحتي ردي عليا"

"طب ممكن نتكلم بالراحة؟"

"مايا أنا بجد ماعيشش فلوس كفاية اجيب تذكرة دلوقتي"

"و بقولك كده وأنا محرج"

"طب ردي عليا ونتكلم"

كانت هذه آخر رسالة منه. أحست (مايا) بشعور طفيف من الذنب، ولكنها دفنته تحت غضبها وإحساسها بالحق. كانت (نادين) مخطئة، المال كان مهم. المال هو ما تحتاجه لتنهأ بحياة سعيدة؛ فبالمال تستطيع أن تقتني ما تشاء، وتساfer للأماكن التي تريد أن تزورها. كل الأشياء التي تسبب السعادة مصدرها المال.

و لكن لن يضر (مايا) اذا تحدثت معه وسمعته. كتبت له ردا وأرسلته،

"معلش كنت تعبانة شوية وروحت نمت"

"عايز تتكلم في إيه؟"

ما أن ارسلت رسالتها ووجدت (مايا) موبايلها يرن وصورتها معا في الخلفية.

انتظرت برهة ثم ردت. "الو؟"

"مايا،" تنفس (علي) اسمها، "حبييتي، انتي كويسة؟"

اخترق صوته قلبها بنبرة القلق التي لونتته، وشعرت بألم لم تشعر به من قبل، جعل نفسها يضيق وعينيها تترقق بالدموع. ذعرت من رد فعلها هذا، وان كانت لم تفهمه، أو لم تعط نفسها فرصة لتفهمه، ودفتته في مكان بعيد بداخلها، وشيدت حوله سور. وقررت أن تنساه.

"أنا تمام." ردت بصوت يغلبه البرود. "وانت؟"

"كنت قلقان عليك جدا."

"أنا تمام." رددت (مايا). "كنت عايز تتكلم في إيه؟"

"لسه عايزة تروحي الحفلة؟"

سكتت (مايا) برهة وتعثرت نبضات قلبها للحظة. لم تكن تريد أن تأمل أنه غير

رأيه، ولكن تسرب بعض الأمل من قبضتها. "مش هروح لوحدي..."

"هاجي معاكي،" قالها وانتفضت (مايا) من على السرير، محرصة الا يصدر

منها أي صوت، والا يظهر على صوتها أن ابتسامتها تصل من أذن إلى أخرى.

"هظبط الدنيا وآجي معاكي."

"يا علي،" سيطرت على صوتها ولم تظهر الحماسة التي كانت قد اجتاحتها.

"بجد مش حوار يعني."

"مش هبقى مرتاح لو نفسك في حاجة وما عملت هلكيش." تنهد واستكمل حديثه. "وانتي شكلك نفسك فيها فعلا. فهميني بس اجيب التذكرة منين والحوار إيه؟"

تذكرة؟ أي تذكرته هو فقط؟ لن يشتري تذكرتها أيضا؟ شعرت (مايا) بخيبة أمل، لكنها كانت تعلم كيف يمكن أن تجعله يدفع ثمن تذكرتها هي أيضا. كانت تستطيع أن تفعل ذلك بنفسها - كان مصروف (مايا) في الشهر أكثر من مرتبات معظم الناس - وأن تشتري تذكرته هو أيضا، ولكنها لم تكن تريد أن تسهل عليه الأمور وهما ما زالوا في بداية علاقتها.

"هبعثلك اللينك وتبقى تجيلنا التذاكر." أضافت بعض الدلع إلى صوتها. "علي، بجد ميرسي. انت مش عارف أنا هبقى مبسوطة إزاي لو روحنا." رد عليها (علي) بصوت مثقول خالي من الحماسة، "العفويا حبييتي. أهم حاجة عندي انك تبقي مبسوطة." بالفعل، كان ذلك أهم شيء.

جلست (ملك) مع (نادين) في شرفتها، تحسني من قهوتها. نظرت لنادين. "من اللي (مايا) قالت هتولك الولد محترم، بس أنا مش هتق أوى في الكلام ده عشان أكيد (مايا) مش هتقولك كل حاجة." خلعت نظارتها ودعت وجهها. "دماغي هتطق. من اللي بشوفه اليومين دول واللي بسمعه، أنا متأكدة إن بتي بتتيل الدنيا. ومش عارفة اععمل حاجة. لو قلت لأبوها مش هيعمل حاجة عشان مافيش دليل، ومش هيرزل عليها عشان تفضل تحبه، وهيجيبها فيا أنا ويقولي انتي اللي مش واخدة

بالك من عيالك. وأنا ماليش أي سيطرة عليها. " امتلأت عيناها بالدموع. " و انتي فالحة بس تقوليلي انتي مش أم فاشلة. "

"ملك،" استخدمت (نادين) تلك النبرة التي كانت تتحدث بها مع الموظفين الذي كانت تعمل معهم عندما كانوا ينطقون بالهراء. " انتي علمتيها الصح من الغلط ولا لأ؟ "

"لو كنت علمتها ماكتتش هبقي مرعوبة كده. "

"انتي قولتلها الصح من الغلط. " سكتت برهة. " هي كبرت وعارفة، كون إنها هتعمل الغلط دي حاجة مش فيإيدك. طبعا انتي أم وده صعب عليكي، بس هي مش هتتعلم غير لما تغلط، وكل حاجة ملحوقة. الدنيا مش هتنتهي. "

شعرت (ملك) بعصبيتها تثار. " ولما تجيلي في يوم حامل، ولا تموت وهي عند دكتور تحت بير السلم بيسقطها؟ "

"الشباب دلوقتي مش زي أيامك. انتوا ماكتتوش تعرفوا يعني إيه واقبي، ولا safe sex، ماكتتوش منفتحين زيهم. مش بقول إن(مايا) هتعمل كده، بس الشباب دلوقتي منفتحين ومع الانفتاح ده في وعي وثقافة، عندهم وعي جنسي أكثر من اللي عندك دلوقتي. ومايا مش هبلة، ولا جاهلة. "

"أنا مش عايزاها تغلط أصلا!"

"يعني احنا عمرنا ما غلطنا واحنا قدها؟ "

صممت (ملك)، ولم تستطع التفوه بكلمة. لم تكن تريد أن تتذكر، لم تكن تريد أن تفكر بالأمر. منذ سنين وقد سكرت باب الذكريات تلك ودفتها ونستها. ولكن الآن رجع ماضيها يراودها، وكانت تهرب منه ولا تريد مواجهته. " غلطنا. " قالتها بانكسار وإحساس بالهزيمة. " و بدفع تمنه دلوقته. "

ظهر على وجه (نادين) إحساسها بالذنب ولانت الحدة في عينيها وملاحظتها.
"انتي ماعملتيش حاجة غلط."

"هاتلي واحد من الأزهر يفتي بكده."

"الله غفور رحيم." ردت عليها بدون تردد. "مش استغفرتي وتوبتي؟
هتفضلتي تشيلي في ذنب لحد امتي؟"

"احنا مكتوب علينا كده يا(نادين). "مسحت دموعها وارتشفت من القهوة.
"مكتوب عالأم تشيل ذنب أي غلطة غلطتها من قبل ما تبقى أم عشان بأي حق
تربي ولادها وتعاقبهم لما يغلطوا نفس الغلطة. احنا المفروض قدوة ليهم، احنا
المفروض الفضيلة والخير المتناهيين."

"انتي مش ربنا!"

"و هل نظرتنا لأهالينا لما كنا في السن ده وأصغر كانت مختلفة أوي عن نظرتنا
لربنا؟"

أسكتت (نادين) كلامتها، وأسندت ظهرها على كرسيها وتنهدت. "الحياة مش
بتبقى أسهل كل اما تكبر شكلها كده. السن مش بيعلم."

"أنا كل شوية بتوه أكثر." هزت رأسها. "ربنا يحفظها، ومايعاقبنيش فيها."
انعقد جبينها. "ربنا مش شرير يا ملك. وانتي استغفرتي، وراعتيه في جوزك
وولادك، مش مطلوب منك أكثر من كده. هو اللي مدينا قدرتنا دي وعارف آخرتها
إيه."

"عايزة أنظمن على بتتي بس." لم تستطع (ملك) أن توقف دموعها. "عايزة
أنظمن عليها هي وابني ومابقاش نايمة كل يوم وأنا قلقانة عليهم."

"و حتى لو قفلتي عليهم وحبستهم في البيت عشان يبقوا تحت عينك،
هتفضلتي قلقانة عليهم. هيعيشوا ويغلطوا ويتعلموا وهيتجرحوا ويمرحوا والحياة

هتمشي، زي ما بتمشي معانا كلنا. " مدت (نادين) يدها وربتت على يد (ملك).
" عارفة إن ده صعب عليكي إنك تعمليه، بس انتي لو فضلتني كده هتتعبني أكثر.
عشان خاطري يا ملك، حاولي."
مسحت (ملك) دموعها بيدها الأخرى وأومأت برأسها. "هحاول."

وقف (علي) أمام مرآته وتفقدَ ملبسه؛ قميص كحلي، الكُمَّان مُشَمَّران حتى كوعه، جينز وحزام جديد بدلاً من القديم الذي كان قد تَقَشَّر، حذاء كحلي رياضي، وبعد زيارته للحلاق منذ بضعة ساعات كان شعرُه ولحيته مهتمدين. لبسَ ساعته ورشَّ على عنقه العطر المحبب لـ(مايا).

"رايح تخطب خلاص؟"

التفتَ (علي) لأبيه الواقف بباب غرفته وابتسم. "ومش هعزمك يعني؟"
 "ما خلاص مَن لقي أحبابه بقى." ضحك أبوه وخطا داخل الغرفة. "خارج

انت ومايا؟"

"آه، رايجين الحفلة." ربَّتَ (علي) على جيب بنطاله ليتأكد من وجود التذاكر.
 "لو ماطلعتش حلوة بجد هزعل."

"ماتزعلش على قرش اتدفع على حد انت بتحبه يا علي." ابتسم له أبوه وحلَّت
 على عينيه تلك النظرة التي عَلم منها (علي) أن أباه كان يجول في الماضي الآن. "حتى
 لو كان آخر قرش معاك."

"يا سيدي مش زعلان." تنهَّد (علي)، "بس أنا كنت واعدك أجيئلك شوية
 لبس جديد، والله أول ما أقبض كمان كام يوم هجيبلك أحلى حاجة."
 "ده يفرحني أكثر." ربَّتَ أبوه على كتفه. "وأنا شايفك قدامي فرحان كده ده
 يفرحني أكثر من لبس محل كامل."

أمسكَ (علي) بيد أبيه وقبَّلها، وقد لمعت عيناه بالدموع تأثراً. "ربنا يخليك
 ليا." منذ أن حكى لأبيه عما حدث وأمره أبوه أن يشتري التذاكر وهو يشعر
 بالذنب.

ربت الأبُّ على كتفه مرة ثانية، ثم اتجه لباب الغرفة، "ابقى احكي لي بكرة بقى،
شوية وهخش أنا." "

"حاضر." وضع (علي) محفظته في جيبه الخلفي والموبايل في الجيب الآخر.

"تصبح على خير."

"وانت من أهله."

تأكد (علي) مرة أخرى من التذاكر ونزل.

"هو ازاي مايعديش عليكي يعني؟" قالت (سلمى)، "بجد انتي مدلّعا
قوي."

"يا بنتي بقولك أنا كنت هنا من بدري." تفقدت (مايا) موبايلها ولاحظت أن
(علي) كان متأخرًا ربع ساعة عن ميعادهما، حادث ما في الطريق، ولكنها كانت
غاضبة من أسئلة أصدقائها لها وكان هو السبب، اكفهر وجهها ورفعت يي الشيشة
لفمها لتأخذ نفسًا عميقًا، ورجلها تهتز تحتها. ما زالت الحفلة أمامها ساعة على الأقل
حتى تبدأ، ولكنها كانت تريد أن يحضر معها منذ مجيئها.

في هذه اللحظة دخل (علي) الكافيه وأسرع إلى مائدتهم ما أن رآهم. "أنا
آسف." ربت على ظهرها وقبل رأسها سريعًا. "كان فيه حادثة وقتنا حبة
حلوين." صافح باقي أصدقائها. "وجيت بعدها سايق بسرعة."

أحست (مايا) بشيء بداخلها أراد أن يوبّخه على قيادته المتهوره، ولكن منعتها
نظرات أصدقائها وتعليقاتهم من قبل. "مش حوار."

شعرت بعينه تتفقد فستانها النبيتي القصير بالحالات العريضة وما أظهره من جسمها، ولكنها رأت في عينيه ضيقًا وغيره أكثر من إثارة، انحنى بجسده وهمس بصوت منخفض في أذنها. "مش قصير ومفتوح شوية ده؟"

"كنت لابسة شال عليه الصبح." هزت كتفيها واحتست من مشروبها الغازي. "وعادي يعني ألبس اللي عايزاه يا علي؟ فيه إيه؟"

جز على أسنانه. "ولما حد يضايقك؟"

"لا، ما هو أنا مش خارجة في حارة يعني." حرّكت أصابعها في شعرها من الأمام وأزاحته عن جبينها. "الناس هنا مش فلاحين عشان يقعدوا ييُصوا."

أغلق عينيه برهة وأخذ نفسًا عميقًا، وبدأت (مايا) أن تغضب بحق. يعني جاي متأخر وكمان متضايق؟ أشاحت بنظرها عنه وقالت، "فيه واحد من الكافيه هيعدي كمان شوية يشوف تذاكرنا، جبتها؟"

"آه." فتح عينيه وحاول أن يتسم لها، ولكنها لم تبادله ذلك، حقها أن تغضب. "ماتقلقيش، معايا."

"ماشي." أو مات برأسها. "وفيه minimum charge مية، أنا طلبت بس لسه هتعتشى واحتمال أعديهم." نظرت إليه ورفعت حاجبها. "فيها مشكلة؟"

ظهر على وجهه القلق وأحست بغضبها يزداد، لماذا كان مصمم أن يحسها أن كل هذا صعب عليه؟ إنه يعمل في شركة مرتباتها جيدة، ولا يعول أسرة على حد علمها؛ فلماذا كان قلقًا من صرف ثمانمائة أو تسعمائة جنيه في الليلة؟

"فيها مشكلة؟"

"لا يا حبيتي." هز رأسه ووسّع من ابتسامته رابتًا على ظهرها. "أي حاجة عشانك."

من هذا المكان البعيد بداخلها حيث دفنت (مايا) كل حنية وإحساس كانت تعتقده ضعيفاً بداخلها، استيقظ إحساس لم يراودها من قبل، ودقَّ على أبواب سجنه.. أحسَّت بدفءٍ ينبعث من هذا المكان ويملاً جسمها وكل مكان في روحها، ثم بدأ يسكن، ولم تستطع منع نفسها من أن تميل تجاه (علي) وتسند يدها على كتفه وتقبّل خده، رجعت للوراء ولاحظت أن وجتته قد احمرتا، ابتسمت له ابتسامة صغيرة يملأها رقة وشكر حقيقيان.

"شكرًا على كل حاجة يا علي."

تنهّد راحةً وأمسك بيدها وقد زادت ابتسامته واختفى القلق من ملامحه. "أي حاجة ليكي يا (مايا)."

تفقد (علي) الرسالة التي وصلته، ثم ربتَ على كتف (مايا) وقربَ فمه من أذنها حتى تسمعه فوق ضجة الحفلة. "مايا، هزّوح بسرعة وأجي، أوكي؟" التفتت له (مايا) وانعقد جبينها. "رايح فين؟" "الحمام. مش هتاخر."

أومأت له برأسها، والتفتت مجددًا للمسرح الصغير.

اتجه (علي) إلى باب الكافيه ومشى على الرصيف حتى وصل لتقاطع شارع جانبي، ومشى في هذا الشارع حتى رأى (هيثم) صديقه وهو يسند ظهره على سيارته، اعتدلَ (هيثم) عندما رآه، ومد يده في جيبه ليخرج محفظته. لم يستطيع أن ينظر بعيني (هيثم) وأبقى بصره على الأرض. "أنا آسف والله ع الموقف ده، اتزنقت وماكثتس عامل حسابي."

" والله عيب الكلام ده. " مد هيشم يده وبها بضعة مئآت الجنيهات. " احنا متربيين مع بعض وياما طلبت منك برضه، مفيش بيننا الكلام ده. " أخذ (علي) منه النقود ووضعها في محفظته. " هقبض خلال اليومين الجايين دول وهرجعهملك. "

" علي، أنا مش فارق معايا وانت عارف كده. " سكت حتى نظر له (علي). " بس أنا مش عاجبني اللي شايفه واللي انت حكيتة، اللي هي بتعمله ده مش صح خالص ومايطمنش. " " ما أنا لسه بشوف بقى. " حك (علي) وجهه وأوما برأسه. " مستني أشوف بس هي بتعمل كده في الأول بتشوف غلاوتها ولآ دي حاجة فيها. " " ماشي، خد بالك بس. "

" حاضر، معلش أنا لازم أرجع عشان ماتحسش إني أتأخرت. " وأراد أن يذهب أيضًا؛ لأنه لم يحتمل نظرة (هيشم) له ونظرته لنفسه، طالما كان يفخر بعزة نفسه وكرامته، ولم يتخلَّ عنها من أجل فتاة من قبل، ولكن (مايا) كانت مختلفة، شعر بأن لسبب ما كانت تحاول إخفاء صفات جيدة بداخلها، وتتقمص شخصية الفتاة المدللة التي لا تبالي بالآخرين، شيء ما بداخله كان يريد أن يعرفها أكثر، وينقب عن هذه الصفات حتى يجدها ويخرجها للنور. ودَّ أن يعرف لماذا هي خائفة من إظهار حقيقتها له، ولكنه شعر أنها ليست جاهزة أن تشاطره بتلك الأسرار، ولم يكن يريد أن يغضبها، كان يريد أن تحكي له عندما تشاء هي. حتى يتحقق ذلك، كان الأمر سيتطلب منه أن يكسب ثقتها ويجعلها تشعر بالراحة حوله، حتى تبدأ في إظهار شخصيتها الحقيقية التي من الأرجح أنها هي شخصيًا لا تعرفها، بضع من الصبر والتنازلات -المؤقتة- كان كل ما يحتاجه.

رجع (علي) إلى الكافيهِ وابتسم لـ(مايا) عندما التفتت له. "معلش
تأخرت شوية." "

انعقد جبينها قلقًا. "انت كويس؟"

"آه، زي الفل." "

كان يريد أن يقترب منها أكثر، ولكنه لم يكن يريد أن تتلوّن علاقتهما منذ بدايتها
بطابع جسدي، أحيانًا كان يرى في عينيها حنقًا من تحكّمه في نفسه، ولكنه أراد أن
يثبت لها أنها أكثر من مجرد جسد مثير. إحساسه أخبره أن علاقاتها السابقة كان جزءٌ
كبير منها مبنياً على هذا الأمر، وكان يريد أن تمرّ بتجربة مختلفة معه.

سرعت الفرقة في غناء أغنية إيقاعها بطيء، بدايتها موسيقى الجيتار وهي
آلة (علي) المفضلة، والتي طالما كان يريد أن يتعلّمها، بدأ المغني في الغناء، واخترقت
الكلمات واللحن قلب (علي)، وارتجفت في صدره.

... لا تطلعي فوق، عالم مجنون..

عم بحفر نازلك.. عم بحفر..

تمايلت (مايا) مع الموسيقى، ووجد (علي) نفسه يأخذ خطوة للأمام حتى كان
يفصل بين ظهرها وبينه بضعة السنتيمترات. أحست (مايا) به ولكنها لم تلتفت له،
بل مالت للخلف حتى أسندت ظهرها على صدره، شعر بنبضات قلبه تتسارع، حتى
شك أنها تستطيع أن تشعر بهم. ضاق نفسه واستجمع كل قواه حتى لا يحضنها،
ولكنه لم يكن يريد أن يصدّها ويجرحها؛ فمدّ يداً واحدة ووضعها على خصرها.

أمسكت (مايا) بيده تلك وشدتها حتى لفت ذراعه حول خصرها،
وأسندت يده على بطنها ولم تترك يده، بل شبكت أصابعها معًا وظلت ممسكة به.
خسر (علي) صراعه مع نفسه ولفّ ذراعه الآخر حولها وأمسك بيدها الأخرى،
وضمها له، غير مبالي بجسمه المرتجف.

...بس بدِّي أفلِّك.. قصة أسير..

ضل يجفر.. تيوصل ويهرب..

وبس شاف الشمس.. كانت عم تغرب..

أما (مايا) فكان قلبها يعدو في صدرها، وكان هذا الإحساس الذي قد دفعها منذ قليل أن تقبله على خده ينمو بداخلها، حتى فقدت السيطرة عليه، والآن اجتاحتها وهي بين ذراعي (علي). لم تكن أول مرة لها بين ذراعي شاب، وكانت قد تخطت هذه المرحلة مع معظمهم، ولكن مع (علي) كانت تشعر بإحساس مختلف، شعرت أن لمستها لها معنى آخر.. دافع آخر، لم يكن يلمسها ليُلبي رغبة أو إثارة، بل لتوصيل أو تأكيد إحساس. بدأ يراودها شعور بالخزي بسبب لمسات الآخرين لها، وبدأت تشعر بالغثيان عندما تذكّرت نظراتهم لها، وكيف قبلت بلمساتهم وكلامهم، وها هنا (علي) يلمسها بحذرٍ حتى بملابسها تلك التي لا تترك للخيال الكثير، بدأ جسمها أن يرتعش، وانهمرت الدموع من عينيها.

"مايا؟"

استدارت حتى لا يراها أصدقائها، ونظرت لـ(علي) بعينين تملؤها الخوف والخزي والضعف، وقالت له بصوت خافت، "مش عايزة أحكي."

"أنا ضابقتك؟"

رأت في عينيهِ خوفاً وإحساساً بالذنب، وفوراً أنزَلَ يديه، وأخذ خطوة للوراء.

"أنا آسف.. ماكتشش أقصد."

بيدين ترتعش أمسكت (مايا) ذراعيهِ وشدته تجاهها. "مش انت." مسحت بأصابعها على ساعديه حتى وصلت ليديه، وأخذتها في قبضتها. "أنا..." نظرت حولها والدموع ما زالت تنهمر، اختنقت من كثرة الناس وأحسّت بأنفاسها تُكتم. "علي، عايزة أمشي."

"تعالى." أخذ حقيبتها ثم أخرج من جيبه ثلاثمائة جنيه، ووضعهم تحت كوبه. "يلا."

خطت نحوه ولفّت ذراعه حول كتفيها وضمها له، شقّ طريقهما من خلال الحشد.

...خليكي..بركان بيتغزل فيكي..

خلي الجذور تحميكي..

بترجى فيكي..

خرجنا من الكافيه إلى الهواء الطلق، وشهقت حتى تأخذ نفسها، وقفا على الرصيف برهة، وكان الوقت قد تأخر؛ فكان الشارع هادئًا وغير مكتظ، اتكأت (مايا) على (علي)، ووقفت تلتقط أنفاسها وتهدئ من نبضات قلبها السريعة، أحسّت بذراع (علي) حولها وهو يرشدها تجاه سيارته.

"انتي مش معاكي العربية، صح؟"

هزت رأسها ولم ترد، مشيا حتى سيارته وفتح الباب لها وأسندها لتجلس، ثم أغلق الباب ولفّت حول السيارة ليركب من بابه، في هذه اللحظات القليلة التي ابتعد بها عن (مايا) راودتها نوبة قلق، وكانت ستبدأ أنفاسها في التسارع مجددًا، ولكنه دخل السيارة وأغلق بابه وساد السكون، وبدأت أن تهدأ رويدًا.

مد (علي) يده ببطء وأمسك بيدها. "مايا، حصل إيه؟"

لم يكن لديها ردّ، كانت الأفكار تدور بسرعة في رأسها وتشابك وأفكار أخرى تختبئ (مايا) منها حتى تحمي نفسها، وشعرت بضجة في رأسها لم تستطع أن تتحملها، تذكّر جسدها.. تذكر عيونًا ألتهمتته، وأصابع تفقدته، تذكّرت أذنها كلمات تقنعها أن هذا عادي ومقبول، أنها ستستمتع، أن كل صديقاتها يفعلون ذلك، أنه جسمها وهي حرة، وألا تحبسه خلف جدران بناها مجتمع متخلف.

تذكّرت أنها كانت تريد أن يرى أحد بها شيئاً يستحق الانتباه، وكان جسمها أسهل شيء يمكنها تهذيبه وتغليفه لجذب الانتباه.

"مايا؟"

رفعت عيناها لـ(علي)..(علي)الذي كان يفعل كل شيء تطلبه منذ أن تقابلا، ولم يطلب حتى الآن أي مقابل، ولم يلمح حتى لذلك، الذي كان يغض بصره عنها كلما حاولت إثارته، الذي كان من الممكن أن يأخذ منها ما كانت هي تقدّمه له دون أن يطلبه، كان يستحق هو جسدها.

اقتربت منه ومالت حتى تعبر المسافة بينهما، وأغمضت عينيها قبل أن تلتقي شفثاهما.

"مايا."

جاء صوته من مكان أبعد مما كان المفروض أن يجيء منه، فتحت عينيها ووجدت أنه قد مال بعيداً عنها.

شعرت (مايا) وكأنها قفزت في بحيرة من ثلج، رجعت في كرسيها وأشاحت نظرها عنه وقد احمرت وجنتاهما، كانت رخيصة.. رخيصة وسهلة و....

"مايا."

أمسك بيدها وشدها قليلاً حتى تنظر إليه. "أنا عايز، بس انتي أغلى عندي من كده، ومش عايز دي تبقى أول مرة بيننا."

اخترقت كلماته الثلج قليلاً، ولكنها كانت مُحرجة وتشعر بالرفض والرخص، ولم تتعود (مايا) الشعور بهذه الأشياء من قبل، حاولت أن تدفنها مجدداً، ولكن غرّزت كل هذه المشاعر والأفكار مخالبها في ذهنها ورفضت أن تُحبس من جديد.

تحرك (علي)، وقبل أن تستطيع (مايا) أن تتحرك هي الأخرى شعرت بشفتيه على جبينها، وهدأت العاصفة في رأسها وسكنت الأصوات، قبلها مجددًا ثم وضع أصبعه تحت ذقنها وجعلها تنظر إليه. "أنا مش برفضك، أنا بختارك لحظة أحلى تفتكريها." قبل جبينها مجددًا، وارتعش قلبها في صدرها، وشرخ وتفتت، ثم أعاد التقاط شظاياها وتجميعها. "مايا..."

نشجت (مايا) مرة قبل أن يلفّ (علي) ذراعيه حولها ويضمها إليه، لفت هي ذراعيها حول رقبته وأسندت رأسها على كتفه وبكت في صمت، وهو يربت على ظهرها ويهمس لها أن كل شيء سيكون على ما يرام، أنه لن يتركها ولن يؤذيها، وأن مكائنها عنده أعلى من أي شخص.

بكت (مايا)، وبدأت أن تلملم أشلاء أسوارها، وشرعت في بنائها من جديد، لن تقبل أن تكون ضعيفة مجددًا، وستثبت لـ(علي) أنها قوية، ستثبت له أن كل هذا مجرد لحظة ضعف، ستبعد بضعة أيام حتى تتمكن من التحكم في مشاعرها وأفكارها، وتدفعهم من جديد.

لن تضعف (مايا)، ولن تقبل أن يحرك أي شخص قلبها مثلما فعل (علي) منذ قليل، حتى (علي) ستركه خلف الأسوار، لن تستطيع أن تثق به لهذه الدرجة، لن تستطيع أن تعطيه هذه القوة، قد يقرر يومًا ما أنه لا يريد لها أو يضجر منها، أو تخسره لأي سبب من الأسباب، وستنكسر.. لا، هذا أفضل.. أن تحمي نفسها من الألم أفضل من أن تجرب وتطلق العنان لهذا الإحساس الذي جعل قلبها يرتجف. ظل (علي) يواسيها ويقدم لها وعودًا، وظلت (مايا) تبكي.

6

اتبع (علي) رائحة القهوة من غرفته لمطبخ بيته، وتثاءب. "صباح الخير." وقف والده عند البوتجاز يقلّب القهوة في الكنكة ولم يرفع عينه عنها. "صباح النور"

ثم ذهب (علي) ليقف بجانبه. كان (علي) يشبه أباه في هيئته وطوله، ولكن غلبت على ملامحه ملامح أمه، وكانت شخصيته مزيجًا ما بين الاثنين؛ حيث حسّ فكاهاة أمه وهدوء أبيه، حساسيتها وحبه للعمل، كان دائمًا ما يشكر الله أنّه قد أنعم عليه بأهلٍ طيّبين قلوبهم ممتلئة بالرحمة؛ فلا يتذكّر مرةً ضربه بها أو أهاناه بلفظٍ أو فعلٍ، يتذكر كيف كان أبوه يجلس معه بعدما أخطأ ويتناقش معه فيما فعل ويقنعه ألاّ يفعل ذلك مجددًا، وكيف كانت أمه تحاول أن تفعل الشيء نفسه، وكيف كانت تحضنه وتقبّله حين تفقد أعصابها.

نظر (علي) لأبيه ولاحظَ لحِيته الممتلئة بالشيب والتجاعيد المتفرّعة من عينيه، والتي كانت تخطّ جبينه وتُقوّس شفّتيه، شعرَ بِنغزّة في قلبه؛ فأبوه يكبر وما زال (علي) يحتاجه.

"رجعت امبارح متأخر." قالها (علي) وذهب ليحضّر الفطور. "لقيتك نايم قلت بلاش أصحيك."

"كنت ما بين الصحيان والنوم لحد ما سمعتك رجعت." رفع أبوه القهوة قبل أن تفور وسكبها في فنجانين. "غسلت الهدوم النهاردة."

"آه، خدت بالي." وضع (علي) رغيفي خبزٍ بلديّ على البوتجاز وأشعل النار مجددًا. "كنت هعملهم النهاردة"

"قلت أخليكَ تريح في أجازتك." جلس أبوه على المائدة الصغيرة في مطبخهما، ووضع الفنجانين عليها. "علي!"
شعر (علي) من نبرة أبيه أنه منزعجٌ من شيء ما، نظر له من فوق كتفه.
"أيوه؟"

"قميصك كان ريحته حريمي." لمعت عيناه اكفهرًا. "مش أنا كلمتك في الموضوع ده قبل كده؟"

غمر (علي) إحساسًا بالذنب، أكتمه أنفاسه وأشعره بنغزٍ في قلبه، أطفأ النار ووضع الرغيفين في طبق وضعه على المائدة أمام أبيه، وأحضر باقي طعام الإفطار ووضعه على المائدة، ثم جلس وأسند مرفقيه عليها ونظر لأبيه.

"أنا عارف إنه غلط." احتسى من قهوته وتنهَّد. "بس هي حالتها امبارح ما كانتش أحسن حاجة، وكانت بتعيط ورمّت نفسها في حضني ماعرفتش أعمل إيه."

هزّ أبوه رأسه وبدأ في تقطيع الرغيفين وتقسيمهما عليه هو و(علي). "ترفض.. ترفض عشان لسه مش من حقتك تلمسها، عشان ممكن لأي سبب ما يحصل نصيب، وإيه بقى ساعتها؟! البنت بينها وبين نفسها هتبقى متضايقه."

لم يُرد (علي) أن يأخذه تفكيره للمكان الذي يحاول تجنّبه منذ أن قابل (مايا)، لم يكن يريد أن يفكر أن حضنه لها سيؤثر في نفسيته وهي على الأرجح كانت قد تحطّت مرحلة الحُضن مع غيره من قبل؛ لأنه كان يعلم أنه إذا ترك نفسه يفكر بتلك الطريقة فلن يؤدّي به لمكان جيد.

أوما برأسه ونظر لأبيه. "مش هيحصل تاني، هفكر في طريقة أفهمها بيها ده من غير ما أحرجه، هي من وسط مُنفتح شوية، بس كويسة والله وبحاول أطلعها منه."

"خذ وقتك واعرفها كويس، وما توعدهش بحاجة غير لما تتأكد."

تذكر (علي) وعوده لها البارحة عندما كانت تبكي، تذكر وعده لها أنه لن يجرحها ولن يتركها وأنه سيظل بجانبها، عبس وجهه ورأى في عيني أبيه أنه فهم ما كان يجول في خاطره.

"طب يبقى خليك قد كلمتك بقى." بدت في عيني أبيه تلك النظرة التي كان معناها أنه قد بدأ أن يشرّد في ماضيه. "ما تجرحهاش."

تعهد (علي) بينه وبين نفسه أن يفعل كل ما بوسعه وألا يفعل ذلك.

لم تذهب (مايا) لجامعتها في اليوم التالي ولم تردّ على رسائل أصدقائها ولا رسائل (علي) ومكالماته، مكثت في سريرها طوال اليوم تشاهد مسلسلاً على (اللابتوب) الخاص بها وتأكل شوكولاتة ورقائق البطاطس، قامت فقط لتذهب للحمام، وتجاهلت (كريم) عندما رأته في الرواق.

ما زالت تحاول فهم ما حدث البارحة، ولم تكن جاهزة لمواجهة (سلمى) والآخرين وأسئلتهم، لم تكن تريد أن تخبرهم عما حدث ولم غادرت بسرعة هي و(علي) دون أن تقول، ولأول مرة منذ أن تعرّفت عليهم بدأ الشك يساورها، هل كانوا أصدقائها بالفعل؟ لماذا بدأت تشعر أنّها وحيدة فجأة ولا يوجد حولها من يفهمها؟ إلا (علي)؛ فكان ذلك يقلقها أكثر من كونها وحيدة، هل كان هذا الخوف سبب اختيارها هؤلاء الأصدقاء؟ وسبب دخولها كل تلك العلاقات التي لم تتضمن معرفة حقيقية ولا تعمق في المشاعر؟ هل أحبت (مايا) أحدهم؟

بحثت في ذكرياتها حتى تجد جواباً لهذا السؤال، هل اهتمت من قبل أن تتعرّف على أسرار أحدهم أو عمّا كان يجول في أعماق أجزاء أرواحهم؟ هل اهتمت يوماً بشيء غير الخروجات والتنزه والصور والوقت المفرح؟ هل كانت تريد ذلك من (علي)؟

شعرت برهبةٍ تجتاحها عندما طرقت باب هذا السؤال ولمحت ما مكث ورائه،
أحكمت غلقه مجدداً وعادت للخلف في ذهنها.

لا، لم تكن تريد (مايا) أن تحب، لم تكن تريد أن تغامر بقلبها ومشاعرها فقط
لينظر قلبها في النهاية مثلما حدث مع أبيها، حكى لها أبوها كيف كان يجب أمها
لسنواتٍ عدةٍ قبل أن يتزوجها، وأنها رفضته مراتٍ عديدةٍ قبل أن توافق على أن
يخطبها، وأنه أراد أن يعطيها كل شيءٍ ويوفر لها حياةً سعيدةً مرفهةً، ولكنها لم تثق به
وأرادت أن تعمل وتستقل عنه بما لها حتى تطلب الطلاق بعد إنجابها الأطفال الذين
كانوا سيضمنون لها حريتها من أهلها، وأنها انتظرت حتى تُوفيت أمها قبل أن تطلب
الطلاق.

لن تسمح (مايا) أن يحدث هذا معها؛ فقد تقبل الزواج فقط لتتحرر من قيود
أمها وحتى يكون لها بيتها الخاص بها، وستتزوج شخصاً يحبها مثلما أحب أبوها
أمها، ولكنها لن تفعل به كما فعلت أمها، بل ستكون زوجةً جيدةً بمزاجها؛ ستدلل
وتحافظ على جمالها، وستطلب منه أن يوفر لها خادمةً تتولى أمور المطبخ وتنظيف
البيت؛ حتى تتفرغ هي لعملها في الصباح ولتعتنه في المساء، وكان (علي) مرشحاً
رائعاً لهذا المنصب، فقط كان عليها أن تحمي قلبها وتُعير (علي) اهتماماً ظاهرياً؛ حتى
يطمئن لها ويستمر في العلاقة، ولكنها لن تتعلق به، لن تحبه؛ فـ(مايا) أذكى من أن
تقع في غلطة أبيها.

استلقت (ملك) على سريرها في الظلام ومرّ الوقت دون درايتها به، مرّ
(عمرو) بالمكتب بجانبها ولم ينظر إليها حتى "خمسین سنة ورجعتي تاني للي حصل
قبل كده!"، استعرضت شريط ذكرياتها مع (عمرو) وكيف بدأت صداقتها،
وكيف فرحت عندما أضافها على (الفيس بوك) وأرسل لها رسالةً فور قبولها طلب

الصداقة، وكيف تحدّثنا تلك المرة لساعاتٍ مرّوا كالدقائق حتى بزوغ الفجر، تذكّرت شهور المراسلة والمكالمات بعد طلاقها، وقبل طلبه منها أن يتقابلا لشرب القهوة، كيف تلعثم وهو يطلب ذلك وكيف شعرت أنها مراهقة من جديد تعيش قصة حبّ مع زميلها وتُخفيها عن عائلتها.

تذكّرت أول مرة اعترف لها بحبه، كانا في (كافيه) بمولٍ بعيدٍ عن بيتها وبيت (هاشم)، وكانا قد فرغا من طعامهما عندما مدّ (عمرو) يده وأمسك بيدها، وقال لها تلك الكلمة التي لم يتفوّه بها (هاشم) منذ بداية معرفتها به، تذكّرت كيف احمرّت وجنتاها وأشاحت بنظرها بعيداً وقد ارتسمت على وجهها ابتسامةٌ يسودها الخجل، ردّدتها له وابتسم بثغره كله.

تذكّرت رسائل العشق التي كان يرسلها لها باستمرار وإلحاحه على زواجهما وبكاؤه في سيارتها عندما ذهبت له بعد شجارها مع (مايا) و(هاشم) بسبب رغبتها في الزواج، كيف انهارت (مايا) وهدّدتها ألا تراها مجدداً، كيف لعب (هاشم) دور الغنم الضحيّة أمام (مايا) وسؤاله لها عما أخطأ هو به في زواجهما والفرق بينه وبين (عمرو)، وكيف تحوّل من غنمٍ لذئبٍ عندما تركتهما (مايا) وهدّدها بأن يُفشي سرّها (لكريم) و(مايا) ويجعلها يكرهانها، تذكّرت نحيبها هي و(عمرو) في السيارة، وكيف وعدّها ألا يتخلّى عنها وأنه لن يستطيع أن يحبّ أخرى بعدها ولا أن يتزوج، تذكّرت كيف ترجمته ألا يفعل ذلك وأن يبحث عن سعادته، وكيف بكى وأخبرها أنها هي سعادته، تذكّرت (ملك) الأسرار التي ائتمنته عليها وخاوفها ومشاعرها التي أعطته لها هي وثقتها، كيف باحت له أنه من أعادها للعالم وبثّ الحياة في روحها من جديدٍ وأشعل بها شعلّة كانت قد انطفأت منذ زمنٍ، وتذكّرت كيف بدأ يتعد عنها تدريجيّاً بعدما علم برفض (مايا) و(هاشم) لزواجهما، وكيف اختفى عن وجهه الإحراج وهو يقدم عذراً أبعد من الآخر حتى وصل بها الأمر أنهما كفا عن السلام،

فكأنه قد سكب عليها محيطًا من الثلج وأخذها من جديد.
لم تتصوّر (ملك) أبدًا أنها ستشعر بهذا الشعور مجددًا في حياتها، بالأخصّ في
سنها هذا، ولكنها الآن تأكدت أنه مهما كبر وشاخ القلب فبإمكانه أن ينفطر كقلب
الشابّ تمامًا.

في تمام الحادية عشر وست دقائق مساءً.. رنّ هاتف (مايا) وظهرت صورتها مع
(علي) في الخلفية، أوقفت المسلسل وأمسكت الهاتف وظلّت تنظر له حتى كادت
المكالمة تنقطع، مررت إبهامها على الشاشة لترد:
"ألو؟"

"انتي فين من الصبح؟"

بدا على صوت (علي) القلق وكانت نبرته حادّة. "قلقتيني عليكِ."
"أنا آسفة."

حاول الشعور التي قرّرت (مايا) ألا تعطيه اسمًا بالظهور والخروج من سجنه،
ولكنها دفعته بعيدًا وتجاهلته؛ مما أسفر عنه شعورها بنغزٍ في صدرها. "كنت عايزة
أقعد لوحدي شوية."

نقل لها هاتفها تنهيدته وسكوته. "طب انتي كويسة دلوقتي؟"
"آه." اختنق حلقها من رغبتها في البكاء، وأخذت نفسًا عميقًا لتهدأ. "أحسن
دلوقتي."

"صوتك مش كويس." سكت برهةً وكانت قد لانت نبرته وتسرب الحنان
بداخلها؛ مما قبض على قلب (مايا) واعتصره. "حبيبي، مالك؟"
وضعت (مايا) يدها على فمها لتكتم نشيجها، ولكن انزلقت من عينيها بضع
دموعٍ، تحكمها في ذاك الشعور الغير مسمى بدا لها كمهمةٍ شبه مستحيلة إذا استمر

(علي) في استخدام تلك النبرة معها وإظهار مشاعره بتلك الطريقة؛ فكان ذلك يُذبل من أسوارها ويضعفها، وشعرت بإرادتها تتآكل شيئًا فشيئًا كلّما سمعت صوته.

"فيه دوشة كثير." همست (مايا) وأغلقت عينيها. "بحاول أركز."

"طب اتكلمي معايا."

"لأ." هزّت رأسها وأسندت جبينها على كفها. "عايزة أفهم لوحدي، مش

حاجة فيك بس أنا عايزة أفهم كل ده لوحدي."

"طب هقدر أكلّمك أتطمّن عليكِي ولا عايزة تبقي لوحدي؟"

"لأ، عادي." حرّكت (مايا) نفسها في السرير حتى استلقت فيه وأسندت

رأسها على الوسادة. "نتكلم ونخرج حتى، بس على السبب الجاي مثلاً عشان

ماليش نفس أخرج اليومين دول."

ربّما كانت صريحةً معه زيادةً عن اللازم، ولكنها لم تستطع أن تُخفي عنه كل

شيء، لم تستطع أن تجمع نفسها لهذا الحد معه.

"ماشي يا حبيبي نزل، شوفي عايزة تروحي فين وأنا معاكي."

"تمام." سكّنت برهةً، ثم أفصحت عن الطلب الذي كان يتردد بداخلها ويُلحّ

أن يُطلب. "علي؟"

"إيه يا حبيبي؟"

ابتسمت رغماً عن نفسها، وعلمت أن أيّ لفظٍ آخر لن يُقارن بذاك بالأخصّ

بصوت (علي)، تآكلت أسوارها مجدداً وقررت (مايا) أنها تستطيع أن تشيدها مرةً

أخرى في الصباح، ولكن الآن صوت (علي) في أذنها.

"ممكّن تخليك معايا لحد ما أنا؟"

"أكيد."

وسكنت أسوارها في مثواها الأخير.

"يعني أجيب ده ولا ده؟"

تفقدت (ملك) الفُستائين في يديّ (نادين)، وأشارت إلى الفستان الأخضر الداكن في يدها اليسرى. "ما عندكيش اللون ده، هاتيه."

"ماشي، يلا بينا." أرجعت (نادين) الفستان الآخر لمكانه، وتوجهها إلى الكاشير. "مش هتشتري حاجة؟"

هزت (ملك) رأسها. "ماليش نفس." كان قد مر ثلاثة أشهر منذ أن مرّت بجانب (عمرو) ولم ينظر إليها، وتجاهلته (ملك) في المكتب، ومسحت رسائله القديمة وصورهما معًا، شعرت بإحراج تجاه نفسها؛ ففي سنّها هذا تمسح صورًا ورسائل وابتتها بسن زواج، في سنّها هذا ما زالت تنخدع في الرجال وتؤمن بقوة المشاعر، تؤمن بقدره الحب أن يهزم كل العقبات، مثلها مثل ابنة السبعة عشر عامًا.

"هتخلّيني أجيبك على ذوقي ومش هترضي تلبسيه."

ردت عليها (ملك) بابتسامة صغيرة لم تصل لعينيها، لم تكفيها الشهور الماضية لاستجماع تلك الطاقة التي كانت تحتاجها حتى تتمكن من التظاهر بأنها بخير، أقنعتها (نادين) بالخروج اليوم بعد عناء طويل، كانت تخرج فقط لتذهب للمكتب ولشراء مستلزمات البيت التي لم تستطع طلب توصيلها للمنزل، وللجيم؛ حيث أخرجت الكثير من طاقتها السلبية التي طبقت على نفسها.

قد حاول (كريم) أن يفهم منها ماذا حدث؟ لم ترد أن تخبره، وأخبرته كذبة عن مشاكل في الشغل حتى تلهيه، وفي الثلاث شهور تلك لم تحاول أن تقضي معه وقتًا كثيرًا حتى لا تضطر بالتظاهر، وأشعرها ذلك بالذنب؛ لأنها كانت تعلم أنه يحتاج إليها ولوجودها في حياته، كانت تريد أن تكون (ملك) أمًا جيدة، وربما لذلك

تخلّت الأمهات عن حياتهن وكيانهن واستقلاليتهن؛ حتى يتفادوا أية مشاكل أو إلهاءات قد تأخذ من وقتهن وتستنفيذ من طاقتهن للتعامل مع مشاكل أولادهن.

تعهدت (ملك) أن بداية من الغد ستنسى كل شيء له علاقة بـ(عمرو)، وستكرّث وقتها وطاقاتها لـ(كريم) و(مايا) أولاً وشغلها ثانياً، أي شيء آخر كان ثانوياً وليس له مكان بلائحة أولوياتها، ستحذفه من حياتها وتعود نفسها ألا تعيره اهتماماً في المكتب حتى بعقلها، ستسترد طاقتها وتركز في الأشياء المهمة.

أخرجت (ملك) موبايلها من حقيبتها، وكتبت اسم (عمرو) في شريط البحث على الفيسبوك، لابد أن تحذفه من حياتها تماماً الآن، ظهرت صفحته وحركت إبهامها على الشاشة حتى تستطيع حذفه، ثم انقبض قلبها وتعثر.

توقّفت (نادين) عن الكلام عندما لاحظت (ملك) وقد تسمرت في مكانها بضع خطوات وراءها.

"ملك؟ فيه إيه؟"

لم ترد (ملك)، فقط أعطتها الموبايل لترى بنفسها صورة (عمرو) في خطوطه لامرأة تسمى (سارة الشيخ)، ترقرت عيناها بالدموع، وسالت على خديها، ونظرت لـ(نادين) والحيرة والقهرة مرسومان على وجهها، عبّس وجه (نادين) ولعت عيناها غضباً.

"ده مايتزعش عليه يا(ملك) ولا يستاهلك، انتي شايقة منظر اللي هيتجوزها دي؟ ده شكله اتبهل في عقله والله."

لم تُجر (ملك) (نادين) اهتماماً؛ فكانت قد رجعت في الزمن قرابة السبعة وعشرين عاماً، عندما تلقت خبراً مثل ذلك، وشعرت بالإحساس ذاته، حفرت وحفرت حتى وصلت لمكان بعيد وعميق بداخلها وشيّدت حولها قلاعاً، دفنت كل أحاسيسها، وردمتها بكل ما أوتيت من قوة، ستنسى.. ستنسى مثلما فعلت من قبل،

لن تترك لحظة واحدة فارغة في يومها لتفكر بالأمر، ستشغل نفسها بالشغل والبيت والجيم، ربما تستطيع أن تقرأ من جديد، أو تتعلم لغة جديدة، أو أية هواية أخرى ستستهلك الوقت وتجعله يمر بسرعة.

ستنسى (ملك)، مثلما نسيّت من جاء قبله.

انعقد جبين (مايا) وضمت شفيتها. "دي قهوة!"

كتم (علي) ضحكته وأوماً برأسه. "آه."

نظرت له (مايا)، "دي قهوة بلدي بجد، مش زي بتوع التجمع." صوّبت

نظرها مجدداً للقهوة. "هو أنا ينفع أقعد هنا عادي يعني؟"

"تعالى يا (مايا)." أمسك بيدها وقادها لمائدة على الرصيف. "هجييك

مكان ماينفعلش تقعدى فيه يعني؟ اقعدى بس."

جلست (مايا) وهي قابضة على حقيبتها، وظلت تنظر حولها بقلق، كانت

القهوة هادئة وغير مكتظة اليوم، بها بعض الرجال الكبار ومائدة واحدة فقط بها

شباب أصغر من (مايا)، جلست على كرسي خشبي طرازه قديم، وظلت تتلوّى به

وتعبث بشعرها حتى قرّب (علي) كرسيه منها وأمسك بيدها. "اهدي."

نظرت له وقد وسعت عينها قليلاً. "أنا هادية أهو مفيش حاجة." بادرت

بابتسامه مرتعشة. "أول مرة أقعد فى قهوة أصلاً، هو احنا فين تانى؟"

"عباسية." أشار (علي) لصبي القهوة. "هتشرى إيه؟"

عبس وجهها مجدداً اشمزأزاً. "عندهم كوبايات ورق هنا؟"

ضحك (علي) وهز رأسه. "يا (مايا) احنا مش فى ستارباكس يا (مايا)؟!"

ماتخافيش، لما بيلاقوا حد زيك كده بينصفوا الحاجة كويس."

"طب شوف أقرب مستشفى فين عشان أنا مش هطلع سليمة من هنا."
تنهّدت وأسندت ظهرها على الكرسي. "شاي؟ بتشربوا شاي هنا، صح؟"
"محسّساني إنك برّه مصر والله." جاء الصبي وطلب (علي) لها كوبيّ شاي
بالنعناع. "بس.. آه هو ده برّه مصر اللي عرفاها."
"اتريق اتريق." ضربته على ذراعه مزحًا، وقد اختفى القلق من على
وجهها قليلاً. "أنا أبويا لو عرف إنك جيتني هنا هيقنتك ويقتلني."
"بس نروح بار عادي؟"

ضربته مجددًا، ولكن ضحكت. "ده على أساس إنك بتودّيني أصلاً."
بالفعل لاحظت (مايا) أنها قلّلا الخروج في هذه الأماكن، وأخذها (علي)
لأماكن لم تكن ارتادتها من قبل، وتعجّبت (مايا) أنها راقت لها تلك الأماكن، وقلّلا
حتى الخروج مع أصدقائها الذي لم يعجبهم (علي) ولم يعجبه هم الآخرون، لم تشعر
بإراحة عندما رافقها (علي) عندما كانت تقابلهم، ووجدت نفسها لا تمنع
عندما قلّلت مقابلتهم، وجدّت أيضًا أنها تستمتع بوقتها معه أكثر، ومع أصدقائه
أيضًا؛ فقد عرفها (علي) على أصدقائه منذ شهر، وخرجا معهم مرتين بعد ذلك،
وأضافوها على الفيسبوك، وكانوا حتى يتبادلون معها النكت والصور، أحسّت
(مايا) بقبول منهم جعلها ترتاح حولهم وتكون على طبيعتها نوعًا ما، طبيعتها
الجديدة التي كانت تكتشفها (مايا) الآن، وليس طبيعتها التي كانت تظهرها أمام
أصدقائها هي من قبل.

أما (علي) فكانت قد سمحت له بالاقتراب أكثر ومعرفتها بطريقة أعمق،
حكّت له عن طلاق أبيها وأمها، وإحساسها تجاه الأمر برمته، حكّت له عن علاقتها
الغير وطيدة بـ(كريم) وميله للعزلة، واستمعت لحكايات (علي) عن أمه المتوفاة،
ووجدت نفسها تكاد تبكي عندما أخبرها تفاصيلًا أكثر عن مرضها وآخر لحظاتها

معه هو وأبيه على فراش الموت، حدّثها عن أبيه وعلاقتها ببعض، كيف كان يأخذه أبوه معه أحيانًا لعمله في مصلحة الضرائب في عطلة الصيف، وشربهما عصير القصب كل يوم جمعة بعد الصلاة، حتى بدأ (علي) عمله في شيفر ميديكا وتحول يوم الجمعة ليوم عمل، حدثها عن هدوء أبيه وحنينه عليه، واكتشفت (مايا) أن هناك آباء لهم دور في حياة أولادهم أكثر من مجرد بنك وشخص دائيًا مشغول يروونه من آن إلى آخر.

لم تكن بينهما أسوار عالية الآن، فقط احتفظت (مايا) ببعض الأشياء لنفسها وأظهرت له الباقي، بجانب الأشياء التي أصبحت تكتشفها معه في نفسها. وكانت تقنع نفسها أنها ستتمكن من تشييد تلك الأسوار وقتها تشاء، وقتها تشعر بخمول من ناحية (علي) أو برود وعدم اهتمام منه.

جاء الصبي بالشاي وسكرية ووضعهم على المائدة. "تؤمري بحاجة ثانية يا باشا؟"

"ألف شكر."

"أي حاجة يا ست الكل؟"

هزت (مايا) رأسها. "شكرا." انتظرت حتى مشى ونظرت ل(علي).

"ابقى قوللي يا ست الكل."

ضحك (علي) ووضع ملعقتين سكر في كوب وقلبه ثم وضعه أمامها.

"الصبي بتاعك أنا؟"

"يعني أنا مش ست الكل؟" أخذت رشفة صغيرة من الشاي واستطعمته

قبل أن تكمل. "وآه، انت بتاعي عامة."

كان (علي) ممسكا بكوبه ويرفعه لفته عندما قالتها (مايا)، وأنزل الكوب ووضعته على المائدة وعلى وجهه ابتسامة عريضة. أمسك بيدها وقبلها. "ده فخر لينا يا ست الكل."

احمرت وجنتاها ولكنها دحرجت عينيها. "ماتخذش على كده بس." "يا(مايا). " اخذ رشفة كبيرة من الشاي. "يا(مايا) احنا بقالنا تقريبا ست شهور ولسه ماسمعتش أي حاجة منك."

لم تتعود (مايا) أن تعبر عن مشاعرها من قبل، ولا أن تقول كلام مثل الذي أراد (علي) سماعه. ولم تسمعه من قبل حتى، فكان أصدقائها يسخرون من مثل هذا الكلام وينعتونه بالمحن والهراء، وكانت (مايا) قد تعودت هذا البرود والجفاء، وإظهار المشاعر الوحيد الذي عرفته كان يتمثل في خروجة أو هدية باهظة، وتعاملات جسدية. حتى تلك اللحظة لم يكن قد تبادلها هي و(علي) أي اعترافات، ولكن كان الأمر واضحا. جزء منها كان يريد أن يسمع هذا الكلام منه، والجزء نفسه كان يريد أن يرد بمثله.

قررت أن تمزح حتى تخفي عدم قدرتها وحيرتها تلك. "عايز تسمع كلام الأفلام ده انت، صح؟"

"لأ مش عايز كلام أفلام، لأ." مال تجاهها وخفض من صوته. "بس انتي عارفة إني I like you، صح؟"

احمرت وجنتاها وخفق قلبها ونظرت بعيدا حتى تخفي ابتسامتها. "اه، الموضوع واضح حبتين."

"طب وإيه؟" شد يدها حتى تنظر له. "لوحدي أنا في الحوار ده؟" تلوت (مايا) في كرسيها وهزت رجلها ضاحكة. "علي والله ما ليا في الكلام ده."

"معلش تعالي على نفسك."

تنهدت وكان قلبها يخفق بشدة في صدرها وارتعشت يداها. شدد (علي) من قبضته عليها للحظة ثم أرخاها ولم تستطع (مايا) أن تنظر بعينيه وترى ما بها من مشاعر. أشاحت بنظرها ليديها وقالت بصوت خافت. "و أنا كمان."

زفر (علي) نفس كان قد حبسه وقبل يدها. "يا ريتني كنت خدتك أي مكان غير ده."

"لا، بالعكس." لاقت عينيه ومسحت بإبهامها على أصابعه. "ده مكان كويس جدا."

"طب خلصي الشاي بقى عشان نروح مكان أحسن شوية."

احتست (مايا) الشاي ولم تترك يده.

هزت (نادين) رِجلها وتفقدت ساعة الموبايل، جلست في سيارتها في المعادي منتظرة قدوم (عمرو)، كانت قد اتّصلت به اليوم الذي تلا رؤية (ملك) لخبر خطوبته، واتفقا أن يتقابلا في سيارتها حتى لا تفضحه في مكان عام، ما زالت تشعر بسخط رهيب تجاهه هو و(هاشم) بسبب ما فعلاه في (ملك)، (ملك).. التي كانت بمثابة الأخت والأم لها، (ملك).. التي كانت ترعاها وتسمعها وتنصحها، لم تستحق (ملك) كل تلك الصدمات.

سمعت طرقة على زجاج سيارتها، ونظرت لترى (عمرو) واقفاً على الرصيف، شاحب الوجه يسوده التوتر، فتحت له الباب وانتظرت حتى كان قد أغلق الباب قبل أن تبدأ.

"إيه اللي انت هيبته ده؟"

"نادين!"

"لا، انت تخرس خالص لحد ما أخلص!" صاحت به وقد لمعت عيناها غضبًا. "ملك؟(ملك) اللي تعمل فيها كده؟ انت نسيت انتوا كتتوا إيه بالنسبة لبعض؟ ليه ماتكلمتش معاها؟ ليه ماشرحتش؟ يعني إيه بقوا عادي كويسين وفجأة كده تقطع معاها وتجيلك تتكلم معاك ماترودش عليها؟ طب إيش حال ماكُنْتِش عارف اللي فيها يا عمرو! إيش حال ماكُنْتِش تعرف اللي حصلها والي لسه بيحصلها! يعني هي وثقت فيك وحكتلك وكانت هتخسر بنتها عشانك، وانت تعمل فيها كده؟"

"أنا عملت ده عشانها." رد بصوت يرتعش. "في الأول فكّرت أقولها وأنسحب بالراحة، بس ماقدرتش أواجهها.. ماقدرتش أوجعها كده، قلت لو عملت اللي عملته ده هتكرهني وهيبقى أسهل عليها تنساني." "ضحكت (نادين) بسخرية وهزت رأسها. "كلام واحد ماخَلَصش مدرسة، مش واحد يقدر يبقى شايل أحفاده دلوقتي." "أنا نيّتي كانت سليمة."

"انت دمرتها." قالتها (نادين) بحدّة. "انت دمرتها أكثر ما هي كانت مدمّرة، ويا عالم هتفوق من اللي حصل ده امتي، بس أنا هفضل وراها لحد ما أقنعها إنك ماتستاهلهاش، ولحد ما تكرهك وبعدين تنسأك خالص، وماتفكّرش تكلمها ولا تبصّلها حتى تاني،(ملك)دي تنساها تمامًا وتنسى إنك عرفتها، لقسّمًا بالله يا عمرو همسح بكرامتك اللي مش موجودة دي أصلًا الأرض."

أوما برأسه وسأل بصوت خافت، "ممکن أبقى أتظنّ عليها منك؟" "انزل من عربيتي دلوقتي." جزّت على أسنانها. "وما تكلمّنيش أنا كمان، انسانا احنا الاتنين خالص."

لم يرد (عمرو) ونزل من السيارة.

فتح (علي) باب بيته وسمع صوت عمته في المطبخ وابتسم، كان يحب عمته جداً، وكانت الشخص الوحيد الذي رعى أمه في مرضها عندما اضطر أبوه أن يذهب لعمله، وكان (علي) يذهب لمدرسته ودروسه، وتذكر نحيبها في الدفنة والعزاء في البيت هنا منذ عشرة سنوات، ترك مفاتيحه على المائدة الصغيرة بجانب الباب وتوجه للمطبخ.

توقفت عمته في منتصف حديثها، وبادرته بابتسامة واسعة. "حبيب قلبي، أزيك؟"

حضرها (علي) وربت على ظهرها. "وحشتيني، أنا تمام، أزيك؟ إيه المفاجأة الجميلة دي!"

"بتقول ما عندهاش أكل في البيت." رد أبوه وهو يحتسي من كوب شاي.
"جئت تاكل عندنا."

"تنور، أهلاً وسهلاً." جلس (علي) بجانب أبيه. "عامل إيه؟"

"الحمد لله." ربت أبوه على كتفه. "انت عامل إيه؟" "والجماعة

عاملين إيه؟" ابتسمت له عمته ابتسامة خبيثة، ثم رجعت تقلب محتويات المقلاة.

ضحك (علي) ونظر لأبيه، "طب كنت تديني فرصة أحكيلها."

"وانت مستيني آجي عشان تحكي لي يا واد انت؟" خفضت النار، ثم

جلست معها حول المائدة. "بس أبوك بيقولني زي القمر، وريني صورتها كده، واحكي لي."

حكى لها (علي) عن (مايا) ورأت صورة لها على موبايله، حكى لها كيف

تقابلاً والمكالمات بعدها والمقابلات، واختلاف (مايا) من بعد الحفلة، كيف كان

معجب بها - وإن كان قد اعترف لنفسه منذ فترة أن مشاعره تجاهها قد تعدت

الإعجاب - ، وكيف كان يريد أن يأخذ خطوة رسمية ويقابل أهلها، وأن يذهب

لأمها بالمكتب ليتعرّف عليها.

استمعت له عمته، وسألته عندما انتهت، "متأكد إنك عايزها خلاص؟"
"أنا اعرفها بقالي تقريباً ست شهور، ولسه هعرفها أكثر لما نتخطب."
سكتت عمته برهة، ثم أوامت برأسها ونظرت للأبيه. "وانت شايف
إيه؟"

هز كتفيه. "أنا عايزه يستنى يعرفها أكثر، بس برضه مايصحش يقعد كل
ده من غير ما يقابل أهلها، مش عايزين الناس ياخدوا منّا موقف من أولها،
وشكلهم ناس عاليين شوية."

"واحنا مش قليلين يا بابا." عبس وجه (علي). "أهلها وأنا وحضرتك
كلنا متخرجين من جامعة القاهرة، الفرق بس كل واحد عايش فين، وهي عارفة أنا
جاي منين وظروفي إيه وقابلاني، والأهم من كده أنا مش مكسوف من أي حاجة."

"ومفيش حاجة تتكسف منها لا انت ولا أبوك." رمقت عمته أباه بنظرة.
"ابنك مهندس زي الفل، مليون بنت تتمناه."

"يا ستي أنا عارف." تنهد أبوه. "بس مش كل الناس بتفكر كده، عامة..
اتكلم معاها وافهم منها أهلها دماغهم إيه، وشوف امتى عايز تتقدملها وأنا أكيد
مش هقولك لأ."

"وأنا تكلموني وتعرفوني إيه اللي بيحصل أول بأول." وقفت عمته وذهبت
للبوتاجاز لتتفقد الطعام. "ولو فيه جلسة هطلع أردّ عادي."

"معقولة دكتورة زيك تعمل كده؟" ضحك (علي). "طب الشباب
ونفسيّتهم تدمّر عادي يا دكتورة نوال؟"

ضحكت عمته وأطفأت النار. "معلش، هعرف أظبطهم، ماتقلقش."

خفق قلبُ (علي) في صدره وارتعشت يداه وهو يقف أمام باب المكتب المغلق، قد مر أسبوعان وهو يفكر في هذا القرار، وقد أخبرَ (مايا) ليلة البارحة بقراره، وبعد تردد دام ساعتين وافقت على فكرة (علي). رفع يده وطرق على الباب، وفتحه ودخل عندما سمع إذن الدخول من داخل المكتب.

جلست (ملك رفاعي) -إحدى كبار المديرين في الشركة، والتي كان يهمس مهندسوها بكفائتها كمديرة قسم من أقوى أقسام الشركة- خلف مكتبها، مرتدية سترة رمادية وبلوزة بيضاء وطرحه مزركشة لونها أبيض في أسود، تنظر له من خلال نظارة إطارها أسود بعينين طبق الأصل من عيني (مايا)، ترمقه بتلك النظرة التي قد اعتاد أن يراها بعيني (مايا) وهي تتفقد شخصًا وتعاينه.

"أيوة؟"

بلع (علي) ريقه، وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يتحدث، مراعيًا أن ذلك ليس فقط أول تعارف بينه وبين تلك المديرية ذات الصيت في المكتب، بل أيضًا من قد تصبح يومًا ما حماته.

"أستاذة ملك.. " دخل (علي) وقفل الباب وراءه. "أنا(علي)يوسف، بشتغل

في قسم التنفيذ."

تجهم وجهها برهة، ثم راق وأومات برأسها مشيرة له أن يكمل. "كنت حابب أفاتح حضرتك في موضوع لوده وقت مناسب."

أشارت لكرسي أمام مكتبها. "اتفضل يا(علي)اقعد، قدامي ساعة قبل ما

أمشي، وحظك كان عندي اجتماع واتلغى."

"شكرًا يا فندم." جلس (علي) وأسند كفيه على رجليه. "بتأسّف إني
هكلم حضرتك في موضوع شخصي كده في الشغل، بس أنا كنت حابب أفاتح
حضرتك في الموضوع وجهاً لوجه بدل التليفون."
"خير يا علي؟"

أخذ نفسًا عميقًا، وقد تنملت أصابعه وتسارعت دقات قلبه. "أنا اتعرفت
على بنت حضرتك الآنسة(مايا) من كام شهر، وفي الحقيقة كنت حابب أعرف نفسي
لحضرتك."

"آه." أومات برأسها مجددًا وابتسمت له ابتسامة صغيرة أراحته قليلًا.
"انت بقى اللي بنتي قاعدة بتكلّمه طول اليوم؟"

بادلها بابتسامة خجولة. "بنت حضرتك شخص مهم جدًا ليّ، وأنا حابب
أتعرف عليها أكثر، وفي أقرب وقت أجبب بابايا ونيجي نتعرف على حضرتك
وبابا(مايا)."

"أهلًا وسهلاً." وسعت ابتسامتها، وإن كانت لم تصل كليًا إلى عينيها.
"بس كلّمني عن نفسك أكثر يا ريت يا علي."

"أنا متخرج من هندسة القاهرة." حاول أن يتحكم في صوته حتى لا
يظهر عليه مدى توتره. "اتخرجت من ثلاث سنين واشتغلت في شركة مصرية،
وبعدين من حوالي ست شهور جيت هنا، أنا وحيد مامتي وبابايا، مامتي اتوفت من
عشر سنين، وأنا وبابايا عايشين مع بعض في سرايا القبة، وهو مدير في مصلحة
الضرايب." سكت ليلتقط أنفاسه وابتسم لها. "مش عارف أقول إيه تاني."

"أنا برضه خريجة القاهرة. سياسة واقتصاد."

"مايا قالتلي، آه." استرخى قليلاً عندما لم تُبِد أي ازدراء من سكنه في سرايا القبة. "وقالتلي برضه إن أستاذ(هاشم) خريج تجارة، ممكن يكون هو وبابايا كانوا في نفس الدفعة."

"هنعرف لما يتقابلوا إن شاء الله."

"عند حضرتك أي أسئلة ليّا؟"

"لا." "سكتت برهة." "بس عندي طلب."

"أو مبريني حضرتك."

"نُحَد بالك من (مايا)، حُطَّها في عينيك، أنا محترمة جداً إنك جيت كلمتني، وهسمحلُّكوا تتعرفوا على بعض أكثر قبل ما تاخذوا أي خطوة رسمية، مقابل ده مستتية منك ماتخونش الثقة دي وتحافظ على (مايا)."

"ماتخافيش حضرتك." "شعر (علي) في تلك اللحظة بعاتق المسؤولية يقع

على كتفيه، ووجد أنه لا يبايع." "بتتك في عينيا."

جلست (ملك) في شرفة منزلهم تحتسي كوب نسكافيه. كانت (مايا) بغرفتها، حتما تتحدّث مع (علي) عما حدث اليوم في مكتبها، بدا عليه أنه شاب محترم، وأنه فعلاً يجب (مايا)، وإن لم يكن قد استخدم هذا اللفظ أمامها؛ فقد رأت في عينيه ذلك الشعور، أرادت أن تتحدّث مع (مايا) عن هذا الأمر وتسألها رأيها فيه، ولكنها خشيت من رد فعلها، ولكن لا بد أن تتحدّث معها في هذا الأمر.

احتست (ملك) آخر رشفة نسكافيه وقامت لتذهب لـ(مايا). وجدت أن قلبها يرتجف من التوتر ونهت نفسها، "خايفة تتكلّمي مع بتتك؟! ده إيه الخيبة دي!" "طرقّت على باب غرفتها، وانتظرت بضع ثواني ثم فتحت الباب، وجدت

(مايا) مستلقية في سريرها تسمع أغاني وتراسل أحداً على موبايلها. "مايا؟"

رفعت (مايا) عينيها لها ولم يكن بها الضجر والسخط التي تعودت (ملك)
أن تراهما كلَّما نظرت إليها (مايا). "أيوه؟"

"ممكّن نتكلم شوية؟"

انعقد جبينها. "عن إيه؟"

"عن عليّ." دخلت وقفلت الباب وراءها. "قالك إنه جه كلمني

النهاردة؟"

"قايي من امبارح." نظرت لها (مايا) بدفاعية. "عايزة تتكلمي في إيه؟"

"انتي عاجبك؟" جلست (ملك) على حافة السرير. "هو شكله محترم

قوي."

"ما هو محترم فعلاً، وأكيد عاجبني، هصاحبه ليه لو مش عاجبني؟"

بدأت العصبية بالظهور في نبرة (مايا)، وتكدّر قلب (ملك) وكتّم نفسها، لم

تكن بحالة تسمح لها بالدخول في شجارٍ مع (مايا).

"مايا، أنا جايّة أتطمّن بس، مامتك وعايزة أتطمّن، مش أكثر."

"مامتي! آه." ضحكت (مايا) بسخرية. "عايزة نمثل إنا أم وبتتها بقي

والجوده؟ ماتيجي تضرّيلي شعري بالمرة وأقعد أحكيك عليه."

"يعني أنا ممنوع آجي أتكلم معاكي خلاص؟" بدأ صوت (ملك) أن

يرتفع. "خلاص اتبرّيتي مني ومابقتيش بنتي؟"

"ومن امتي يعني كنا بتكلم؟ انتي جاية تكتشفي دلوقتي إن مَفِيش بيننا

الكلام ده؟ ماما، بقولك إيه.. أديكي قابليته وعملتي فيها مامتي قدامه، لما يبقى

ييجي يتقدم هنعملك منظر قدامه ونخلص، غير كده فُكك مني."

"انتي بتعملي كده ليه؟! بدأت (ملك) أن تفقد أعصابها وتصيح. "أنا عملتك إيه عشان تعملي معايا كل ده؟"

"لا مفيش، دمرتي أبويا وبيتنا بس."

"كل ده عشان كنت عايزة أشتغل؟" سمعت (ملك) الباب يُفتح خلفها، وبعد لحظات شعرت بيد (كريم) على كتفها. "ما كل الناس بتشتغل! وحقي بعد ما دخلت كلية زي دي وتعبت فيها إني أشتغل، ونقيت حاجة مواعيدها تبقى كويسة ومش في مجالي عشانكوا، أنا عمري ما ندمت إني خلّفتكوا يا (مايا)، بس أنا ليا حق يبقى عندي حياتي."

"مفيش أم بتقول كده!" صرخت (مايا) وقد احمرّ وجهها، "مفيش أم بتفكر في نفسها وتبقى عايزة تشتغل وابنها لسه عنده كام شهر! ده غير طريقتك مع بابا.. كمية البرود اللي كنتي بتتعامللي معاه بيها، هو ماكانش مقصّر معاكي في حاجة! كل اللي كنتي بتطلبليه كان بيحجيهولك، ماكانش يستاهل منك كل ده!"

تفاقمت الحقيقة داخل (ملك) وأرادت أن تصرخها في وجه (مايا) حتى تعلم حقيقة أبيها، ولكنها كانت تعلم أن (مايا) لن تفهم ولن تصدقها، وستتهمها بأنها تحاول تشويه صورة أبيها المعصوم من الخطأ أمامها، وتلك كانت حربًا لم تُرد (ملك) أن تخوضها مع (هاشم)؛ لأن الحال حتمًا سينتهي بها خاسرة.

"خلاص." تنهّدت (ملك) وكانت قد تبخرت منها كل الطاقة. "خلاص يا (مايا)، خلىنا كده، لما يبقى رايح يتقدم لأبوكي أبقي قوليلي، ولو عايزاني أعملك أي حاجة هعملها، يمكن انتي مش شايفاني مامتك، بس انتي لسه بتتي." ربت على كتفها (كريم) وأسندها لتقف. "يلا يا ماما."

لم تردّ (مايا)، فقط أمسكت موبايلها وصوبت نظرها لشاشته، ألم (ملك) صدرها وتعسّر نفسها، لم تكن قادرة على التحمل؛ فنصف حياتها حتى الآن كان

مشقة وحزن وألم، ولم تكن قادرة على...

"التمثيل ده."

سمعت (ملك) همسة (مايا) وكادت تقع، نظر (كريم) إلى أخته بعينين

يشبهان عيني أبيه في غضبه.. "اخرسي يا(مايا)! اخرسي بقى!"

ظلت (مايا) صامته حتى غادرت هي و(كريم) غرفتها ودخلاً غرفة نوم

(ملك). هز صوت رزع (مايا) للباب الأرض والحوائط حولها، وما أن وصلت

(ملك) لسريها حتى ارتمت فيه، وقررت أنها لن تذهب للمكتب غداً وستمضي

اليوم نائمة في سريها.

جلس (كريم) في السرير بجانبها ولفّ ذراعه حولها. "انتي محتاجة

تقوليلها."

لم تستطع حتى هز رأسها. "مش هعمل فيها كده، لأ." حاولت أن تحرك

نفسها حتى تستلقي، ولكن نفّس الألم في جسدها وعبس وجهها وهي تتأوه.

"وانت وعدتني إنك مش هتقولها."

"مش هقول." ساعدها (كريم) وأخذها في حضنه، ونبّض الذنب

بداخلها، ليس دور الابن أن يواسي أمه، بل كان عليها أن تكون صخرة أمامه. "بس

انتي محتاجة تقوليلها، ماينفعش تفضل مخدوعة فيه."

"كريم!" اختنق صوتها وامتلات عينها بالدموع. "مش قادرة دلوقتي لو

سمحت."

"مش ناوية تقوليلي إيه اللي مضايكك؟ مش احنا المفروض صحاب

برضه؟"

هزت رأسها وهي تبكي. "مش المفروض تشيلني، أنا أمك."

"ولو ماشلش أمي أشيل مين؟" قبل رأسها. "احكي لي بس."

"عمرو خطب."

ساد الصمت في الغرفة برهة، ثم ضمَّها (كريم) إليه وردَّ عليها بصوت منخفض يملؤه السخط. "ما يستاهلكيش، والله ما يستاهلك، ولا أبويا يستاهلك، انتي أحسن منهم كلهم."

"أنا تعبت يا (كريم). لم تستطع التحكم في بكائها. "تعبت من حاجات ماينفعش أمَّ تتعب منها، ماينفعش أتعب من حاجة غيركوا."

"ماما!" رجع (كريم) للخلف حتى يقابل عينيها. "انتى مش مجرد أم! انتى إنسانة، وحييتى، وهو خلي بيكي وجرحك، حقك تزعلي وتتعبى، واللى يقول غير كده يبقى عنده مشاكل." حضنها مجدداً. "مش هتبقى أم وحشة لو انضايقتى عشان حاجة مالهش علاقة بينا، انتى مش بتاعتنا بس، انتى (ملك) نفسك الأول." علا صوتٌ نحيب (ملك).

"عيطي يا ماما، عيطي ومانحسّيش بالذنب، وأنا موجود جنبك ومش هسيبك، أنا مش هسيبك."

تشبَّت (ملك) بابنها وبكت.

"مالك؟"

أوقفت (مايا) تحريكها للطعام بشوكتها ونظرت لـ(علي). "بفكر." "ما أنا خذت بالي." طرقت بأصبعه على جبينها. "مكشرة وباصة للطبق كأنه شتمك بالأهل." أمسك بيدها ومسح بإبهامه على أصابعها. "بتفكرى في إيه؟"

هل تشاركه هذا الأمر أيضًا؟ لم تستطع (مايا) أن تقرّر إذا وجب عليها إخبار (علي) بمشاكلها مع أمها ومشاعرها المعقدة تجاهها، أم تحافظ على صورة

العائلة الشَّبه متماسكة أمامه؟ ولكنها منذ ذلك الشجار الذي دار بينها وبين أمها منذ بضعة أيام ويراودها إحساس بالذنب كانت قد تعلمت رده منذ سنين طويلة، حتى نسيَتْ وجوده، والآن مع كل تلك التغيرات بها صحًا من جديد وبدأ يزعجها.

"يا بنتي احكي لي، مالك؟"

تنهَّدت ونظرت له، وقرَّرت أن تمدَّ ثقتها به لتشمل قشور هذا الأمر وليس تفاصيله. "بتتخاقق مع باباك؟"

كان (علي) في تلك اللحظة يرفع كوب مشروبه ليأخذ رشفة، وتوقف لحظة عند سؤالها، ثم احتسى منه. "أكيد، زي أي أب وابن، اشمعني؟"

"أنا وماما علاقتنا مش كويسة." عدلت من شعْرِها وأبعدته عن وجهها. "بتتخاقق كثير، أو يعني هو مَفيش كلام بيننا غير خناق، ما أفِتكرش وقت ما كُنَّاش كده، بس أنا على طول شايلة منها." سكتت برهة. "زهقت من الحوار ده."

"طب انتوا ليه علاقتكوا مش كويسة؟ إيه السبب؟"

"عشان أنا مش مسامحاها في اللي عملته في بابا!" خفَّضت من صوتها بعدما لاحظت التفتُّات بعض الأشخاص الجالسين على الموائد الأخرى حولها لها. "هو كان بيعاملها كويس جدًّا، وهي كانت عايزة تسيبنا وتشتغل، وماكانتش كويسة معاه."

"ما تحكي مش على اللي بينهم." رد عليها (علي). "ما تعرفيش فيه بينهم إيه، يمكن

حاجات مش عايزين يحكوها، وبالنسبة لموضوع الشغل فين المشكلة مش فاهم؟" كم كانت تكره (مايا) هذا السؤال. "تشتغل ليه وهي وراها ولاد تربيهم وجوزها مش مخليها عايزة حاجة؟"

حدَّق بها (علي) غير مصدِّق. "لا والله عيب على وعيك وتفتِّحك وثقافتك إنك تقولي كده، الست متخرِّجة من سياسة واقتصاد وعايزها تقعد في البيت؟!"

تعالى شوفيها في الشغل.. وحش في الشركة، رجالة بشنبات مايقدرُوش يفتحوا بوقهم معاها."

ازداد إحساسها بالذنب، ولكن.. بالتأكيد كان يوجد سبب مقنع لتوتر العلاقة بينها وبين أمها، بالتأكيد لم تنشأ (مايا) وبدخلها شيء ينفرها من أمها، تذكرت أنها منذ وأن كانت طفلة وهي تفضل أبيها عن أمها، وحتى الآن، ما زالت تتشوق لرؤيته وقتما يتفرغ لها من عمله.

"مايا!" قرب (علي) كرسيه منها وربت على ظهرها، وكادت تلك الحركة أن تنسيها محور حديثها برمتها. "قربي لمامتك ومالكيش دعوة بعلاقتها مع أبوكي، دي حاجة بينهم هما الاتنين، وماينفعش تتصايقي منها عشان بتشتغل، ما أنا أمي كانت بتشتغل، وأبويا عمره ما اتصايق منها، ولا أنا، المفروض تفخري بيها عشان اللي هي حقته ده مش قليل."

أومات (مايا) برأسها حتى ينتهي الحوار هنا، وشرعت تحكي له عن موقف ما حدث في الجامعة في الأسبوع الماضي، ولكنها أخذت تفكر في موضوع أمها، لا.. كان (علي) مخطئًا، لم يكن على دراية بكل ثنايا الموضوع، لم يعلم أنها من طلبت الطلاق من أبيها، وظلت تلح عليه حتى حقق لها مطلبها. لم يعلم أنها بعد الطلاق ببضعة أشهر أرادت أن تتزوج من رجل ما قابلته في المكتب، كانت تشعر بالفضول حول ذلك الرجل، وفكرت أن تسأل (علي) عليه لعله يعرفه، ولكنها قررت ألا تفعل ذلك؛ فقد يستنكر رغبة أمها في الزواج بهذا السن، وكانت (مايا) تريد أن تظهر هي وعائلتها أمامه بأحسن صورة، كلا، لن تفتح في الموضوع مجددًا؛ فهو لا يعرف كل ما يحتاج أن يعرفه حتى يكون رأيًا، ولا هي تستطيع أن تشاطره تلك التفاصيل.

وجدت (مايا) نفسها تتفقد (علي) وهما بسيارته لاحقًا، وهو يتحدث عن مشروع عينه عليه مديره، ووجدت نفسها تسرح في ملامحه؛ عيونه الداكنة المكحلة برموش سوداء كثيفة، واللحية الخفيفة، والفم الذي خطف أنفاسها كلما ابتسم أو ضحك، والغمازتين اللتين كادا يفقداها صوابها، والذراعين اللذين شعرت وهي محاطة بهما بالأمن والطمأنينة، واليدين اللتين لم تسأم بعد من الإمساك بهما، وجدت أنها لن تستيقظ يومًا ما بجانب (علي) وتندم أنها اختارته لتكمل حياتها معه.

"بصّالي كده ليه؟"

أحضرها سؤاله للحاضر، واحمّرت وجنتها خجلًا. "إيه؟"

ابتسم لها (علي)، ثم أرجع نظره للطريق. "كتتي بصّالي وساكته وبتضحكي، بتفكري في إيه؟"

لم تُردّ (مايا) بكلمات، بل مالت تجاهه وقبّلته على خده، شعرت بشهيقه البسيطة، وعندما مالت بعيدًا لاحظت احمرار وجهه. "كنت بفكر أعمل كده."

تنهد (علي) وأرجع رأسها للوراء وأسندها على الكرسي. "مايا..."

"إيه؟"

لم يرّد (علي)، ولكنه فجأة ركن السيارة بجانب الرصيف وتجاهل صياح السائقين الآخرين، اعتدل في كرسيه ليواجهها وأمسك بيديها، وظل صامتًا.

"علي؟" هزت أيديها. "فيه إيه؟"

ظل (علي) سارحًا برهة، ثم أخذ نفسًا عميقًا ورفع عينيه لها، وخفق قلبها وسار بجسدها رعشة لما رآته بها، لم تستطع أن تشيح بنظرها بعيدًا، ولا حتى أن ترمش بعينيها، فقط نظرت بعينيها، وقرأت بها ما تلفظ به بعد بضعة ثواني.. "فيه حاجة عايز أقولها لك يا (مايا)." مسح بإبهاميه على أصابعها ولم ينظر بعيدًا. "بحبك."

حدّقت به (مايا)، وثار بداخلها ذلك الشعور الغير مسمّى، والتي ازدادت رهبتها منه يوماً بعد يوم، خفق قلبها بسرعة وبشدة، وزفرت أنفاسها بصوت كاد يشبه الشهيق، أحسّت بحرارة في وجهها، ثم تنمّل في جسدها بأكمله، ارتعشت يداها في قبضته وبدأ القلق يتسرّب داخل عينيه.

"مايا؟"

لم تعرف بِمَ ترد عليه؛ فقد خشيت تلك الكلمة طوال حياتها، ولم تردّها إلا لأبيها وأصدقائها، وفي تلك اللحظة اكتشفت (مايا) أنها لم تعيها يوماً ما معهم؛ لأنها لم تخش قولها معهم، ولكنها الآن شعرت أنها على حافة الهاوية، وذعرت (مايا) من احتمالية الوقوع، نظرت بعيني (علي)، ورأت فيها ما كان يجب أن يشعرها بالأمان، وحدّثها صوت بداخلها أنها تستطيع أن تثق به، ولكن لا! كان ثمن تلك الثقة باهظاً جدّاً، ولن تغامر بقلبها كذلك، لن تحبه.. لن تعطيه تلك القوة، ولكنها ستردّد الكلمة له كما لو كانت تردّها لأصدقائها، بدون معنى.

ابتسمت له (مايا). "وأنا كمان."

ظل (علي) يحدّق بها لبضع ثوان، ثم ابتسم ابتسامة صغيرة وقبّل يدها. "كنت فاكرك هتطلّعي عيني لحد ما تقوليها."

"ليه أعمل كده؟ أكذب أو اخبي ليه؟"

"مش لسه من كام يوم قولتيلي ماليش في الكلام ده ومعرّفش إيه." أدار السيارة من جديد، وانتظر حتى تحرك بها، وأكمل كلامه، "قولت بقى مش هترضي تقوليها والكلام ده."

انزعجت (مايا) من شعور الذنب الذي راودها في تلك اللحظة، هل كان يجب ألا تقولها له إن لم تكن تعنيها؟ ولكن إن لم تكن فعلت ذلك لكان (علي) جرح، وقد يتسبب ذلك في انتهاء علاقتها، حاولت (مايا) أن تخرس ذلك الصوت وتجمحه، وردت على (علي). "لا، ما انت تستاهل إني بريستيجي يروح وأقولك الكلام ده عادي."

ضحك (علي)، ولكنها لاحظت أن ضحكته لم تصل لعينه. "ده شرف لينا ده."

شعرت (مايا) بنغز في قلبها، ومالت تجاهه، وأسندت رأسها على كتفه، ويدها بيده على رجله. "الشرف ليأ أنا يا علي."

جلست (نادين) في شرفتها تستمع إلى موسيقى العود ويدها كأس نبيذ أحمر، ويجانبها على السور زجاجة ممتلئة حتى النصف، ارتشفت من الكأس وتجاهلت جارتها في الشرفة المقابلة لها وهي ترمقها بنظرات احتقار وكرامية، وتجاهلت الرجل في الشرفة المجاورة لتلك الجارة، والذي كان يرمقها بنظرات من طبيعة أخرى جعلتها تريد أن تكسر زجاجتها على رأسه.

لم تكن غريبة عليها تلك النظرات، رأتها كثيرًا في أعين بعض العرسان التي كانت تعمل معهم؛ تتفقد العروس لئسها ووشمها، وتنظر لها باشمئزاز، ثم تضع يدها على يد خطيبها كأنها تحميه من أن يُفتن بـ(نادين)، وتبقي عينها على (نادين) تراقبها حتى تتأكد أنها لا تحاول إغراء العريس، الذي بدوره يتفقد (نادين) ويلتهمها بعينه وعلى شفثيه ابتسامة تجعلها تريد أن تتقيأ.

تعوّدت (نادين) ولم تعد تتأثر؛ فلن يجرحها شيء مثلما جرحتها عمتها التي ربتها بعد وفاة أبيها وأمها في حادث منذ أن كانت طفلة، عندما نعتتها بأقبح

الصفات وطرقتها من بيتها عندما كانت (نادين) قد بلغت تسع عشرة سنة، ألمها قلبها عندما تذكّرت تلك الليلة.. عندما ضربتها عمتها وظلت تصرخ بها وتنتعها بالعاهرة التي حاولت إفساد ابنها، وطرّدتها وهي بقميص نوم مقطّع حافية القدمين، ولم تسكّت حتى بعدما تجمع الجيران، ولم تسمح لـ(نادين) بأخذ أية ملابس تسترها، ولولا كرم أحد الجيران وطيبته لكانت نامت في الشارع هكذا، أخذها أحد الجيران شقته، وكان رجلاً عجوزاً أرملاً، ابنه يعيش في باريس، وسمح لها أن تستعمل تليفونه لتكلّم إحدى صديقاتها، التي جاءت لها هي وأخوها وأحضرت لها ملابس، وأخذتها لتعيش معهم.

تذكرت (هند) وحضنها لها وهي تبكي في سريرها إثر ما فعلته بها عمتها، تذكّرت كيف أقنعت أمها أن تأوي (نادين) حتى تستطيع أن تعمل وتؤجّر شقة بمفردها، تذكّرت كيف شاركتها غرفتها وملابسها، واشترت لـ(نادين) بعض الملابس الجديدة، كيف بكت عندما أجّرت بالفعل (نادين) شقة وتركت منزلهم.

تذكّرت (رؤوف) أخو (هند)، كيف انتظر حتى غادرت منزلهم قبل أن يطلب منها أن يقابلها في مطعم قريب من بيتها الجديد، وافقت وشيء ما بداخلها حثّها ألاّ تخبر (هند) بطلبه، ذهبت لتقابلة بعد أن انتهت من عملها، وتذكّرت كيف وقف وابتسم لها عندما وصلت المطعم، وكيف بادلتها الابتسامة وجلست في الكرسي الذي كان قد شدّه لها.

"طب يا سيدي. انتظرت حتى جلس هو وأكملت، "أديني جيت أهو،
إيه مناسبة الخروج دي؟"

"شوفي الأول تحبّي تاكلي إيه ونتكلم، ممكن؟"
"ممكن."

طلبنا الأكل، وسألها عن عملها وحالتها بعد سكنها بمنزل بمفردها، سألتها عن عمله بالبنك وإذ كان يريد أن يكمل هناك أم يذهب لمكان آخر، تحدّثنا عن أشياء عدة وهما يأكلان، ثم جاء النادل وأخذ أطباقهما الخالية، ودفع (رؤوف) الحساب بعدما حاولت (نادين) أن تدفع حسابها، وخرجا ليتنزها، بدا على (رؤوف) التوتر، وظلّ ساكتاً برهة، ثم أخذ نفساً عميقاً وبدأ الكلام، "نادين..".

لاحظت (نادين) ارتعاش يده وأخفت ابتسامتها.

"كان فيه حاجة أنا عايز أقولها لك بقالي فترة، بعدين حصل الي حصل، وماكانش الوقت مناسب، وماحبّش أفاتحك في الموضوع وانتي معانا عشان ما أخرجكيش."

حقّق قلبها في صدرها، ولكنها تظاهرت بعدم الفهم ورسمت على وجهها نظرة بريئة. "موضوع إيه؟"

"هقولك.. بس بطلب منك بس نخلي الكلام بيننا لو هترفضي، ممكن؟"

أومأت برأسها، متأكدة أنها لن ترفض أي طلب منه. "أكيد."

أخذ (رؤوف) نفساً عميقاً آخر ووجّه نظره للأرض. "أنا بحبك

يا(نادين)، وعايز أتجوزك."

تعثرت نبضات قلبها ولم يسع وجهها الابتسامة التي رسمتها عليه كلياته.

"وأنا كمان بحبك يا رؤوف."

ابتسم هو الآخر، وببطء شديد مدّ يده وأمسك بيدها.

"بجد يا(نادين)؟ مش عايزك تكوني بتقولي كده عشان مكسوفة أو مجبرة."

"إيه الي هيجبرني؟" وقفت وجعلته ينظر إليها.

"أنا بحبك من أيام ما كنا عيال وبنلعب مع بعض كلنا في الشارع، وكنت كل شوية أحسّ إنك انت كمان حاسس حاجة ناحيتي، وبكذب نفسي عشان مش عايزة أعشّم نفسي وأتوجع في الآخر لو لقيتِك حبيت واحدة تانية." "لم يستطع أن يخفي من عينيه ما كان يشعر به، وأحسّت (نادين) بفرحة لم تشهدها من قبل، ولكن جاءت الغيوم وغطّت على تلك الفرحة عندما تذكّرت ما حدث في بيت عمته.

"رؤوف، انت فاهم اللي حصلّي في بيت عمتي، صح؟" "تجهّم وجهه، وبدأ أن يمشي مجدّداً، ويده ممسكة بيدها. "فاهم، ولو أطول أقتله عالي عمله أعملها." "مش ده اللي أقصده." "أشاحت بنظرها بعيداً. "أنا قصدي اللي عمله، أنا مش بنت يا رؤوف، هو خد ده مني." "ومالكيش إنك تدفعي تمنه." "جعلها تنظر له ولم يتردّد في كلامه. "انتي مش غلطانة في حاجة يا (نادين)، ومش معيوبة، انتي أنصّف بنت عرفتها وهيبقى شرف ليّا لو قبّلتي تبقي معايا وتتجوزيني."

شيء ما بداخلها انكسر، وانهمرت من عينيها الدموع، وشعرت بـ(رؤوف) يقترب منها ببطء، منذ أن فعل ابن عمته بها ما فعل وهي تخشى اقتراب أي رجل منها، ولكن شعرت جسدّها بالأمان من اقتراب (رؤوف) لها، وتلاشى بعض السّم الذي كان يملؤه عندما شعرت بشفتيه تقبل جبينها.

أوقفت (نادين) رحلتها في عمر الذكريات وأخذت رشفة كبيرة من كأسها جعلتها تترنح برهة قبل أن تستقر رأسها، تذكّرت تلك القُبلة الأولى على جبينها، وشعرت بطيف تلك القُبلة الآن.

أغمضت (نادين) عينيها ونشجت، محاولة عبثاً أن توقف الدموع والألم الذي اجتاح صدرها، رفعت رجليها ودفنت وجهها بين ركبتيها، تعودت (نادين) قسوة الحياة، تعودت اشمئزاز الناس منها وشهوة بعض الرجال لها، ولكنها حتى وبعد مرور أكثر من عقد ما زالت لم تتعود ألم فراقه، واقتقادها له، بكت (نادين) حتى أصبح الألم يمكن احتماله.

نفذ النييد في كأسها، وضعت جانباً وأمسكت الزجاجاة من عنقها وتركت الشرفة، بيدها الأخرى موبايلها، بحثت في قائمة الاتصال حتى اختارت اسم رفيق الليلة، أرسلت له رسالة تسأله أن يحضر؛ فهي كانت بحاجة إلى دواء نسيان أقوى من النييد.

انتهى الفيلم وأطفأت (ملك) التلفزيون، وأحاطها السكون مجدداً. لم تردّ عليها (نادين) طوال اليوم، وظننت (ملك) أنها مشغولة مع عملاء جدد، ولكن عندما حلّ المساء ولم تردّ على رسائلها أو تتصل بها فهمت (ملك) أنها إما مع أصدقائها التي أبقتهن (نادين) بعيداً عن ملك، أو أنها مع صديق واحد فقط.

رجع (كريم) من جلسته حوالي الساعة السابعة ودخل غرفته ولم يخرج منها حتى نام منذ قليل، وكالعادة مكثت (مايا) بغرفتها وتجاهلت (ملك) تماماً.

أحسّت (ملك) بالوحدة تجتاحها من جديد، في مثل هذه الأوقات كانت دائماً ما تتصل بـ(عمرو) أو ترسل له على الواتساب، وكان يؤنس وحدتها ويتحدث معها حتى يدخل عليها النوم، منذ أن انتهى كل شيء وهي تحاول أن تذكّر نفسها بما فعله بها، وكيف أنهى كل شيء بينهما، كلما شعرت أنها تشتاق له، كلما تذكّرت كل اللحظات الحلوة بينهما.

قامت (ملك) واتَّجَهَتْ لغرفتها، جرَّت قدميها حتى وصلت ورمت نفسها بالسريـر، وجدت نفسها هنا كل يوم، مرهقَةٌ بعد يوم آخر من التظاهر بأنها بخير..
بأنها تتطلَّع لبضع سنوات أخرى في هذه الحياة التي لن تستطيع مفارقتها حتى يأذن لها الله. لن تستطيع أن تترك ابنها، كانت مضطرة أن تبقى، وتُقَوِّى، وتحمِّل وتُثابِر، وكان عليها أن تخلق ما يدفعها للأمام.

هل مرَّ فعلاً سبعة وعشرون عامًا -نصف عمرها- منذ آخر مرة شعرت بسعادة؟ كيف مرَّت السنين والعقود وهي لم تهناً يوماً؟! كيف تحمَّلت كل تلك الأيام والليالي؟! شعرت (ملك) بحملٍ ثقيل، تراكمت شذراته عبر السنين، وها هو يطبق على قلبها الآن بعدما لاحظته، غداً ستستيقظ، وستضطر أن تقوم من سريرها، وتلبس، وتذهب لعملها، وهي لم تكن تريد فعل ذلك، كانت تريد النوم، النوم حتى يتحسن الأمر، أو حتى تلفظ نفسها الأخير. مر سبعة وعشرون عامًا وما زال أمامها مثلهم تقريباً، دمعت عينها عندما راودتها تلك الفكرة، وزاد الألم حتى كادت تصرخ منه، ولكن من سيلحقها؟ (مايا)؟! (مايا) لن تهتم، وستسخط منها إن أزعجتها من نومها، (كريم)؟ كان به ما به، ولم يكن دوره أن يتعامل مع مشاكل أمه.
كانت (ملك) بمفردها.. بمفردها تمامًا الآن، تذكرت أشخاصًا كانوا بحياتها وذهبوا دون سابق إنذار، تذكرت (كارولين).. صديقتها منذ الحضانة وحتى سنين الجامعة، كانت أختها التي لم يرزقها الله بها، لا تستطيع أن تعدّكم مرة أمضت الليلة في بيت إحداهما، وكم مرة سافرت (كارولين) مع (ملك) وأسرتها لقضاء المصيف معاً، وفجأة.. بعد أربع سنوات من تخرُّجها، وحين كانت تمرّ (ملك) بأسوأ فترة في حياتها، اختفت (كارولين)، وعلمت بعدها أنها سافرت.

لماذا كان يتركها الجميع؟ ماذا كان بها حتى يهجروها ولا ينظرون خلفهم؟

لماذا كان من السهل جدًا الاستغناء عنها ورميها؟

ابتلَّت وسادة (ملك) بدموعها، وبدأ الصداع ينبض برأسها مجدداً، كانت قد سلّمت منه هو والدموع لبضع ساعات فقط، وكان تورّم أعينها قد بدأ يذهب، ولكنها كانا رفيقيها تلك الأيام؛ حتى قرّبت أن تنسى شكلها دون العينين الحمرابين والوجه المتورم، حتى صارت تتفادى المرأة وقتما تستطيع.

استسلمت (ملك) للبكاء، وحاولت ألا تصدر أي صوت عالٍ قد يوقظ (مايا) أو (كريم).

"مايا!"

"معلش، آخر محل بجد."

"مايا، انتي قولتي كده على آخر خمس محلات." رمقته بنظرة كلها رجاء

وتدلل. "يا(علي) لو مانزلتش معايا هنزل مع مين؟"

ضحك وسمح لها أن تجره داخل محل آخر. "يعني معروف إننا مالناش في

الحاجات دي، ماتاخدي حدّ من صحابك البنات؟"

وقفت (مايا) وانعدت جبينها. "قيدم قوي الكلام ده على فكرة، مش كل

البنات بتحب تعمل shopping، ومش كل الولاد بتكرهه."

"طب الولد ده مايحبش." رفع يده، وابتسمت له (مايا) فوق كتفها

وبدأت تتفقد الملابس حولها. "بس بنزل عشانك بس."

"طب انت مش هتشتري حاجة؟" تفقدت بعض البلوزات واختارت

مقاسها منهم، وأكملت تفقداً قبل أن تذهب بحصيلتها لغرفة القياس. "انت عمرك

ما بتشتري لما بنزل."

"عشان مابشتريش من هنا." عدل من قبضته على أكياس التسوق التي

جعلته يحملها لها. "فيه أماكن معينة بجيب منها."

"وليه ماتشتريش من هنا؟" أضافت (مايا) فستاناً لحصيلتها، وتجاهلت

انعقاد جبين(علي)عليه. لن تغير من لبسها له، هو اختارها وهي تلبس قصيراً

ومفتوحاً، ليس من حقه أن يطلب منها أن تتغير الآن، كان قد مرّ زمن هذا التفكير

الرجعي. "لازم تلبس ماركات يا(علي)عشان منظرك، الناس تقول إيه؟"

"مش بهتم بكلامهم." هز (علي) كتفيه. "وهو لبسي اللي هيحدد أنا مين ولا أنا ابن ناس ولا لا؟"

"لو انت لايس لیس نضيف أكيد هتفرق." ردت (مايا). "ع الأقل في الشغل هتقدر تشتغل في مكان حلو وهيرقوك، مش هيرقوا أي حد يعني." "وأنا مش عايز أترقى عشان لبسي، مش شغال موديل أنا." بدأ أن يتجهّم، ولكن (مايا) كانت على حق؛ لم يعد العالم هذا المكان الفاضل الذي يحكم فيه الناس على بعضهم البعض بسبب ما كان بداخلهم، العالم يهتم الآن بالمناظر، ولن يستطيع أشخاص قليلون تغيير ذلك، لماذا كان (علي) بهذه السذاجة؟ لماذا كان عليها أن تشرح له بديهيات هذا العالم؟ ألم يكن هو من سكّانه أيضًا؟

"علي، الناس في الأماكن دي بتحب اللي شبههم." تنهّدت واستكملت حديثها، "وانت عشان تبقى شبههم لازم تلبس زيهم وتروح نفس الأماكن اللي بيروحوها، وتعمل نفس الحاجات اللي بيعملوها، غير كده مش هيخلوك تشتغل معاهم عشان انت مش زيهم."

"ده على أساس إني رايح أشتغل في حضانة؟" بدأت (مايا) تتعصب. "ما هو بالتفكير ده آه، بجد انت لسه فاكّر الناس بتبصّ لى جواك والكلام القديم ده؟ كبرنا يا(علي) والله ع اهل ده." "كلامي هبل؟!"

"واحد بيشتغل بقأله كام سنة ولسه ساذج وفاكر إن الدنيا ماشية زي في الأفلام." بدأ صوتها يعلو. "فاكر إنهم هيرقوك عشان شغلك بس؟! بجد يا(علي) الحوار ده لا بيحصل في الحكومة ولا الشركات الكبيرة." "طب(مايا).. أنا همشي وشكرًا كده على النهاردة." جزّ على أسنانه ولم ينظر لها. "انفضلي شوفي هتاخدي إيه عشان نمشي وأوصلك."

"جو القفش ده بقى." زجّرت (مايا). "أجيب إيه بس بعد ما سدّيت نفسي!" رمّت الملابس على مائدة عرض صغيرة بجانبها واتجهت للباب. "اتفضل روّخني يلاً."

مشياً في صمت حتى وصلا لسيارته، وظلّت (مايا) مكفهرة طوال الطريق، ظل (علي) ساكناً، وقد محا من على وجهه أية دلالة على ما كان يشعر أو يفكر به، نزلت (مايا) من السيارة دون أن تقول أي شيء وتجاهلت مكوثه في مكانه حتى تأكّد من دخولها العمارة.

كانت (ملك) تقرأ رواية قد أوصى بها (كريم) عندما فُتِحَ باب الشقة وعصفت (مايا) للدخل، محمرة الوجه وعابسة، ويدها ما لا يقل عن عشرة أكياس تسوّق، لم تُقل شيئاً واتّجهت لغرفتها وقفلت الباب وراءها بعنف.

تركت (ملك) روايتها والقلق يراودها، اتّجهت ببطء لغرفة (مايا)، وطرقت على الباب. "مايا؟"

"سيبيني لوحدي!"

صرخت (مايا) من الداخل وبدا على صوتها البكاء.

ذهبت (ملك) للمطبخ وشرعت في تحضير بعض المكرونة لـ(مايا)، وقطّعت لها قطعة "براونيز" كانت قد أعدتها البارحة، أرادت أن تعطيها بعض الوقت لتهدأ قبل أن تسألها عما حدث؛ فقد تصرخ بها فقط عندما تسألها دون أن تقول شيئاً جارحاً.

انتهت من تحضير الطعام، ثم سكبت لـ(مايا) كوباً من مشروبها الغازي المفضل، واتّجهت لغرفتها وطرقت على الباب، كان قد مرّ حوالي ساعة، وتمتّت (ملك) أن تكون قد هدأت في ذلك الوقت. "مايا، معلىش افتحي أنا شايلة حاجة."

فتحت (مايا) الباب وكانت ما زالت تبكي، ولكنها رمقت (ملك) بنظرة تحدّ بها شيء من الدفاعية. "نعم؟"
رفعت (ملك) الصينية. "عملتلك أكل، حسيتك رجعتي بدري
وماتغدتيش."

خطت (مايا) داخل غرفتها وجلست على سريرها. "رجعت بدري عشان
الغباء والنكد اللي مالهومش لازمة، انتي ستّ مديرة وبشتغلي في نفس الشركة اللي
هو شغال فيها، والنبي قوليلي.. هترقي واحد بيلبس أي كلام ومش نفس جوّ بقيّة
الناس اللي في القسم؟ ولا هتنقي واحد ماشي معاهم كلهم؟"
"طب فهمني بس." جلست (ملك) أمامها ووضعت بينها الصينية،
وأخفت عن وجهها الفرحة العارمة التي بثت في روحها الحياة لأن (مايا) كانت
تتحدث معها من دون غضب (موجه لها على الأقل). "حصل إيه وأنا أقولك؟"
سردت لها (مايا) شجارها مع (علي)، وأرادت (ملك) أن ترطم رأسها في
الحائط من غباء ابنتها وسطحيتها. انتهت (مايا) من سرد الشجار.. "أنا عملت إيه
بقى غلط؟"

سكتت (ملك) برهة قبل أن تتحدث، وحاوت أن تصيغ كلامها بطريقة
لا تُغضب (مايا). "بصي.. الكلام اللي قولتيه بيحصل فعلاً وعندنا كمان، بس ع
الأقل مش عندي ولا عند مديره." كرهت أنها تتحدث عن (عمرو) بالخير، ولكن
الأهم من ذلك مساعدة ابنتها. "علي من أشطر الناس في قسمه، ويسمع عنه كلام
كويس جدّاً، والكلام ده واصل للمديرين كلهم، وزوّه حلوة في المكتب، ومعظم
الناس بتحبه، ما شاء الله بشوفه ماشي بيسلم على ده وعلى ده، ويخرجوا مع بعض
وكل حاجة، واتعرف على كام مدير برضه."

"ماشي، بس لما ييجوا يرقوا مش هيرقوا واحد مش شبههم."
"ما هو عادي.. مش مختلف الاختلاف الفطيع اللي انتي فاكراه." ابتمت لها (ملك). "كان أنا بشوف لبسه حلو عادي مافيهوش حاجة، وحتى لو، مش هيحكموا عليه عشان لبسه، في الأول وفي الآخر هو مطلوب منه يكون شاطر في شغله وأمين، طبعا لازم يبقى واجهة، بس هو (علي) شكله كويس جدا ومتربي جدا وشاطر جدا جدا في شغله."

"بس بابا قالي قبل كده إن هو بيرقي الناس اللي بتهم بشكلها ولبسها، وبيشوف الناس دي مستوى يليق بالمكان ده ولا لا."
عشان باباكي مهزق وفاضي وتافه، وعنده عقدة نقص بس مش أكثر، كتمت (ملك) أفكارها ولم تتلفظ بها.

"يعني هي مدارس في الآخر، بس عندنا الدنيا مش ماشية كده." انتظرت حتى بدأت (مايا) في الأكل. "بس فيه حاجة بقي، انتوا وقفنوا زعقنوا لبعض في نص المحل كده؟"

"لأ، طبعا." قالتها (مايا) وهي تمضغ. "نفتكري يقدر يزعلي؟ أنا اللي زعقت."

عبس وجه (ملك)، ولكنها تحكمت فيه بسرعة قبل أن تلمحه (مايا).
"حبيبي، ماينفعش نزعق كده، هو له احترامه وماينفعش تقللي منه، زي ما هو بيديكي احترامك بالطبط." "ما هو عصبي."

"مش مبرريا (مايا)، ومش عشان اختلفتوا في الرأي تتخانقوا، عادي.. هو له وجهة نظره، وأكد ممكن يكون حس من كلامك إنك بتقوليله من الآخر إن

شكّله عِرة، انتي ماتعرفيش ظروفه إيه، ممكن يكون عادي مش زي بقية صحابك
يقدر يصرف المبالغ دي على هدوم."

"لأ، ما هو أنا مش عايزة واحد فقير يعني!"

مرت الأيام وسمعت (مايا) كلمات أمها بصوت ابنتها، وردّدت لها الكلام
نفسه الذي كانت قد قالته لأمها من قبل. "مش بالفلوس يا (مايا)، ممكن واحد يبقى
ماعهوش ويعيشك في جنة من طريقته معاكي وحبّه ليكي، (علي) ولد كويس، ركّزي
في ده."

"ما بابا كان كويس، وكمان كان معاه فلوس، وبرضه ماكنّيش كويسة

معاه."

لم تُقلها بلّوم أو بغضب تلك المرة، بل بحيرة وتساؤل، كأنها تريد أن تعرف سر
العلاقة الناجحة.

تنهدت (ملك). "بلاش تركّزي على علاقتي أنا وباباكي، الموضوع مُعقّد
ومش هيعلمك أي حاجة محتاجة تتعلميها، (علي) ولد كويس، بلاش تكابري
وصالحيه."

انعقد جين (مايا)، وفي تلك اللحظة رجعت طفلة (ملك) مجدداً، تغضب
من أشياء صغيرة وتُعانِد، وألمها قلبها، ولكن ألم من نوع آخر، ألم به عذوبة. "مش
كده أبقى بنزل من نفسي؟"

"الاعتذار على حاجة عملتها غلط مش هيقبل منك." قامت (ملك)
وقبلتها على رأسها، لم تتذكر آخر مرة سمحت لها (مايا) بذلك، وملاّت تلك الفكرة
روحها بالخزن، قد أضاعا عمراً بأكمله في حرب بدون سبب، ولم تهتأ (ملك) بعلاقة
جيدة بابتنة انتظرت وصولها بلّوعة حتى تُضيف للحياة معنى، وكبرت (مايا) دون أن

تعرف طعم حب أمها لها ولا حضنها. "كلميه صالحيه، ماتعرفيش الاعتذار لما بييجي من حد بنحبه لما يكون واجعنا بيعمل إيه."

نظرت لها ابتتها بحزن. "أنا وجعته؟"

كانت تلك النظرة بصيص أمل لكون ابتتها أكثر مما كانت تدعيه، بصيص أمل أنها بها عمقاً أكثر مما كانت تسمح به لنفسها. "وفي إيدك تضييعي الوجع ده."
تركتها (ملك)، ودمعت عينها مجدداً، ولكن من الفرحة.

جلس (علي) مع أبيه في غرفة معيشتها، يتظاهر بمشاهدة مسرحية على التلفزيون، كان منعقد الجبين، تلمع عيناه غضباً وألماً لم يعترف بوجوده، قد حاول أبوه أن يفهم منه ماذا حدث، ولكنه لم يكن يريد أن يخبره، لم يكن يريد أن يخبره بكرامته التي دهستها (مايا)، ألمه صدره وحلقه من الدموع الذي أبقاها وراء سدّ ولم يسمح لها بالسيل.

رن موبايله ورأى اسمها وصورة كان قد صوّرها لها على غفلة وهي تداعب كلباً رأته في الشارع ضاحكة، انقبض قلبه وظل محددًا بالشاشة والموبايل يرن، كان يشعر بالفضول ولكنه لم يكن يريد أن يأمل أنها تتصل للاعتذار، لم تكن (مايا) من نوع الأشخاص الذي يعتذر.

"مش هترد؟"

صوّب (علي) نظره لأبيه وما زال جبينه منعقدًا. "مش عارف."

حدّق به أبوه. "انتوا متخانقين؟"

أوماً (علي) برأسه، توقف الموبايل عن الرنّ وحلّ السكون المكان بعدما أطفأ أبوه التلفزيون. "آه."

"طب رد عليها، خليها تقول اللي عندها."

"هتتيل الدنيا أكثر." تنهّد (علي) وأسند رأسه على ظهر الكنبه. "مش عايز أديها فرصة تعمل كده."

"عشان تسامحها بسرعة؟"

كان يقلق (علي) من مدى فهم أبيه له، وكأنه يسكن رأسه. "مين قالك هسامحها بسرعة دلوقتي؟"

ابتسم له أبوه. "ما اللي قبلك ساعوا، جت عليك؟"

رن الموبايل مجدداً، وتردد (علي) لبضع ثوان قبل أن يقف ويتجه لغرفته.

ردّ قبل أن تقفل (مايا). "ألو؟"

"أنا في سرايا القبة." بالكاد سمعها من كثرة الضوضاء. "معرفش فين، بس

الGPS جابني هنا، فيه كشك جنبي وتقريباً محطة مترو."

خفق قلب (علي). "بتعملي إيه في سرايا القبة؟"

"لا مَفيش، قلت أتمشى، هكون بعمل إيه يا علي؟ جاية أشوفك."

نبض به الأمل. "طب انتي لوحده؟"

"أوبر مستيني، أقولّه يمشي ولا يستني؟"

"طب هبعثلك على الواتساب مكان تجيلي فيه، بدل ما أخليكي واقفة لوحده

عندك."

بدأ (علي) في خلع ملابس البيت وارتداء جينز وسترة خفيفة "هودي". "انتي

لابسة إيه؟"

"جينز وهودي."

شكر (علي) ربّه أنها لم ترتد شيئاً يلفت لها الانتباه—وإن كانت (مايا) في حد

ذاتها ملفتة للانتباه حتى وإن ارتدت عباءة. "طب يلا تعالي، مستنيكي."

وصلت (مايا) العنوان ولم تكن تريد أن تنزل من السيارة، حارة! كان (علي) يسكن بحارة.

"تؤمري بحاجة ثانية يا أستاذة؟"

ترجعني بيتي تاني. "لا، شكرًا." أخذت نفسًا عميقًا ونزلت من السيارة على رجلين ترتعش، حاوطةً أشخاص كثيرين في شارع ضيق للغاية غير مرصوف يكاد يسعُ لسيارة واحدة، جرى حولها أطفال يلعبون بكرة، ومرّ من جانبها رجلٌ على درّاجة يحمل فوق رأسه عيش بلدي ويصيح حتى يشتري أحد منه، رأت غسيلاً منشورًا في شرفات بها دجاج وحمائم حيّة، وشبابٌ في الشارع كانت دائمًا ما تتفادهم عندما تراهم، وبناتٌ في عباات كانت دائمًا ما تسمتزن منهنّ وتتعتهنّ بلفظة "بيئة"، ووسط كل ذلك، وقف (علي)!

أسرعت في خطاها نحوه وكأنه يشد روحها، الأمان.. كان (علي) الأمان. "تعالِي." لم يقل شيئًا آخر قبل أن يمر داخلًا بباب عمارة، اتّبعته (مايا) وصعدا خمسة طوابق قبل أن يفتح (علي) بابًا، ووجدت نفسها على سطح عمارة مليء بأطباق الدش وبعض الخردوات، قادها (علي) لمصطبة ونفضها قبل أن يجلس عليها. رآته (مايا) يراقبها، وجلست بجانبه وقلبها يرتعش في صدرها. "أنا جيتلك."

ملأ الحذر عينيه. "عايزة تقولي إيه؟"

"انت مش قليل يا علي." ارتعش صوتها. "وده ماكانش قصدي، أنا طريقتي في التفكير في الحاجات دي مختلفة عنك، وببصّ للأمر بشكل مختلف، بس أنا مش بقلل منك، انت مش قليل، لا بالنسبالي ولا بالنسبة لأي حد، وأنا آسفة ع الطريقة اللي كلمتك بيها."

"انتي مستعريّة مني؟! " تلون صوته بالألم ولم ينظر إليها. " مايا، لو مستعريّة مني يبقى احنا بنعمل إيه؟ "

نظر حوليها. " ده بيتي.. ده المكان اللي اتربيت فيه، الهدوم اللي بلبسها قدامك دي أنصّف حاجة عندي، وبرضه انتي شايقة إنهم قليلين، أنا مش هعرف أعيشك في كومباوند، ولا هعرف أخرجك خروجات صحابك كل أسبوع. " سكت برهة، وعندما تكلم كان بصوته انكسار حطّم قلبها وأسوارها وأغمرها بإحساس بالذنب وكرهية تجاه نفسها، امتلأت عيناها بالدموع واجتاح الألم صدرها.

"أنا عمري في حياتي ما حسيت إني قليل، ومن ساعة ما قابلتك وأنا بحاول ماحسّس ده. " نظر لها أخيراً، وأرادت أن تهرب وتختبئ مما رأته، ومما أحسته. " النهاردة انتي حسّستيني بده، مش بس كده، انتي قولتية وأكّدتيه، لو أنا مش مناسبك قوليلي، ونفضّها سيرة. "

نشجت (مايا) وأمسكت يديه. " علي، انت مش قليل، أنا اللي غلط، أنا بحاول.. بحاول أبقي أحسن... "

أشاح بنظره عنها ولم تحتمل (مايا) الألم، لم تمر بهذا من قبل، لماذا كان كل شيء شعرته معه شديداً وحاداً؟ لماذا فعل بها ذلك؟ " انت أهم حد في حياتي، وأنا خايقة.. أنا بحس حاجات عمري ما حسيتها وخايقة منها، ومش بعرف أقولها ولا أفهمها. "

"ممكن واحد من عندك يبقى أحسنك. " دحك عينيه وتنشق، رأت بعينه دموعاً وقد احمرّت. " تحسّيله حاجة أريحلك وتقدري تستحمليها، تحببه من غير ما تقرفي منه. "

"أنا مش قرفانة منك!" صاحت وهي تبكي، "الموضوع بس جديد عليّ، أنا لسه بتعلم، علي.. ادّيني فرصة تانية أرجوك، أنا مش عايزة أخسرك. " قامت

وركعت أمامه حتى ينظر لها، رفع رأسه ونظر بعيداً وقد وسَّع عينيه حتى لا يبكي.
"انت مش عارف انت إيه بالنسبالي، بس أنا هعرّفك وهحسّسك بده، أدّيني فرصة
تانية بس."

"مش لازم تعملي كده، محدش غاصبك، وأنا مش بطلب منك ده."
"أنا عايزة أعمل كده!"

"فيه ناس تانية ممكن تسعدك أكثر مني." هز رأسه. "أنا هفضل كده، مش
هوصلّك."

"حد تاني؟" نظرت له بانكسار. "بتبيّني يا(علي) لأي حد تاني؟"

في لحظة صوّب نظره لها ولمعت عيناه غضباً وألماً. "انتي مش حاجة تتباع!
انكسر شيءٌ بداخلها لم تكن تعلم بوجوده، وشعرت بكل شيء ينهار بداخلها،
كم من شخص عاملها من قبل كأنها شيءٌ يُقتنى ويتباهى به أمام الآخرين، ويتركه
عندما يزول بريقه؟ كم من شخص لم يعاملها كإنسانة، حتى باتت هي نفسها تفكر
في نفسها كشيء؟"

أجهشت (مايا) في البكاء وانحنت رأسها. "ماتسيينيش..."

سكتت (علي) برهة، ثم سمعت (مايا) شهيقاً، ثم كانت ذراعاه حولها يضمّاهما
لصدر يهتز بالبكاء كصدرها، لفّت (مايا) ذراعها حول عنقه ودفنت رأسها ما بين
عنقه وكتفه، وبكا هما الاثنان، وحولها أطلال أسوار هُدّمت، وحقائق زائفة، علمت
(مايا) في تلك اللحظة طبيعة الشعور الغير مُسمّى، وتشبّثت بـ(علي)، وظلّت تردّد
له أنها آسفة.

ربتت (علي) على ظهرها، وتراجع للوراء حتى ينظر بوجهها، مسحت دموعه
بأصابعها، وأدار هو وجهه كي يقبل كفها. "بحبك يا(مايا)."

تلثم لسانها وانعقد، ولم تستطع ترديدها له، وقعت عيناها على شفثيه وصاحت لها كل خلية بجسدها أن تقبله؛ فتلك كانت اللغة الوحيدة التي تعرفها (مايا) من لغات الحب.

ولكنها لم تكن لغة يريد أن يحدثها بها (علي)، ليس الآن على الأقل، كان يريد أن تتقن اللغات الأخرى بفصاحة حتى يحين وقت تلك اللغة.

"علي!" نظرت بعينه وأرته حيرتها وقلة حيلتها. "مش بعرف أعمل غير ده.

"

وضع (علي) كفيه على خديها وقبل جبينها، ثم ضمها لصدره ولف ذراعيه

حولها. "هتتعلم."

شدت من ذراعيها حول خصره. "سامحتني؟"

"أكيد." تنهد، "ما اللي قبلي ساعوا، جت عليا؟"

رجع (كريم) من درسه ووجد أمه تستمع لفيروز وتُذندن وهي ترتب غرفة المعيشة، وقف (كريم) مكانه وشعرَ بهمَّ ينزاح من على عاتقيه، وجد على وجهها ابتسامة بسيطة، وحركتها أخفّ وكأنها هي أيضًا قد أزيح عنها همّ. استدارت أمه ورأته واقف يشاهدها، وسّعت ابتسامتها وتركت ريشة التنظيف على المائدة. "اتغديت يا حبيبي؟"

"لسه." وضع حقيبته على الأرض ودخل الغرفة. "إيه الرّوقان ده؟" "مايا جت بدري وانت بره وكانت بتعيط." ابتسمت أمه، ثم أسرعت في إكمال حديثها عندما رأت الحيرة والتوجس على وجه (كريم). "اتخائقت مع علي، بس خلّتني أتكلّم معاها وسّمت كلامي ونزلت تصالحه." "مايا قعدت تتكلّم معاكي؟! تلونّ صوته بالدهشة.

"وماتخانقتوش؟!!" لم يتذكر آخر مرة حدث ذلك، بل لم يكن يعرف إن كان حدث ذلك من قبل أم لا، نظر بعينها ورأى فرحة عارمة بهما، وبادها بابتسامة. "ليكون ربنا هداها أخيرًا؟"

"والله خايقة عليها." أكملت أمه ترتيب الغرفة. "طالعة لباباك، تخيل راحت تقول لعي يجب لبس نضيف عشان يرقوه في الشغل."

اعتقد (كريم) أن أخته قد ورثت كل ما هو قبيح من أبيهما، حتى وإن كانت لم تقضٍ معه وقتًا كافيًا حتى يؤثّر عليها لتلك الدرجة، ورثت منه عصبيته وقسوته، كلامه الجارح وغروره، تكبّره على الآخرين وسطحيته. "طب هي فعلاً راحت تصالحه ولا هتروح تكملّ خناق؟"

هزت أمه كتفها وهي تعدلُ من مفرش المائدة. "أتمنى تكون بتصالحُه فعلاً." نظرت له أمّه. "أنا حاسّة إنه خير ليها، حاسّة إنه هيعقلها شوية وياخد باله منها." "والله أنا الولد صعبان عليا." ضحك (كريم). "طب لو هو كويس زي ما بتقولي ليه ندبسه في (مايا)؟"

"بس يا ولّا." ضحكت أمه وجلست على الكنبة، ذهب (كريم) وجلس بجانبها. "يمكن يعدلها، وهي شكلها بتحبه، أنا ما أفتكرش إني شوفتها بتعيّط على حد قبل كده."

"ماشى، على الله يطلع كويس فعلاً." سكت برهة، ثم نظر لها بعد أن استلقى على الكنبة. "انتي مش سألتيني ع الغدا؟ ما يلاً يا ماما هموت من الجوع."

جلست (مايا) بجانب (علي) على المصطبة، وأكلت ملعقة أخرى من طبق الأرز بلبن الذي قد أحضره لها (علي) منذ قليل. "أنا عايزة أعيش هنا."

ضحك (علي). "والرعب اللي كان في عينك وانتي نازلة من العربية ده كان إيه؟"

"ما انت هتحميني." أنهت الطبق ووضعت جانبًا.

"مش انت ابن المنطقة وكده؟ تقولهم إني تبكك فهيسبيوني في حالي."

"انتي مصاحبة محمد رمضان يا (مايا)، في إيه؟" انتهى هو الآخر من طبقه وتنهد. "البتاع ده أنا مابزهقش منه."

"أنا متوقع منك تحبيلي واحد كل مرة نتقابل." وضعت (مايا) الأطباق جانبًا حتى تستطيع أن تجلس بجانبه وتسند رأسها على كتفه. "عجباي القعدة هنا قوي."

أمسك (علي) بيدها. "والدوشة؟"

"مش مركزة فيها." كانت تريد أن تقول له أنها لم تلحظ الضوضاء منذ أن جاء هنا؛ لأنه أخذ كل تفكيرها، ولكنها لم تُرد أن تبدو "محمونة" ويهزأ منها. "لو المكان اتنصّف وشيلتوا الكراكيب دي على جنب هيبقى حلوقوي."

"مش عايز أقولك إن ساعات شوية جيران بيطلّعوا هنا يقبلوها عُزرة."

"وجايني هنا وسايني أعجب بالمكان؟! " رفعت رأسها لترمقه بنظرة،

وابتسمت حين قبل جبينها. "ممكن نبقى نيجي نقعد هنا؟"

"ممكن، بس مش كثير."

انعقد جبينها. "اشمعني؟"

"مش عايز حد يتكلم." تنهد (علي). "هتخايق وهتبقى لقطه مش لطيفة."

أرادت أن تعترض وتسال لم قد يتدخلون؟! ولكنها امتنعت عن ذلك، لاحظت نظرات الجيران بالعمارات المحاولة، وكيف تهاست النساء وهن ينظرن إليها هي و(علي)، ولكنها لم تأبه بمثل هؤلاء الناس، ولا كلامهم، لطالما تجاهلتهم (مايا)، وتظاهرت بعدم وجودهم معها في المجتمع، جهلاء! مجموعة من الجهلاء لا يعرفون غير النميمة، لا يملكون من العلم والثقافة ما يليهم عن مثل تلك الأشياء.

"أنا مايمتنيش رأيهم في حاجة."

"ولا أنا." ردّ (علي). "بس مش عايز يبصورك كده."

شدّدت (مايا) قبضتها على يده. "خلاص مانحيش كثير، بس برضه هتجيبلي

رز بلبن."

"عينيا يا ستي، يا سلام!" ضحك (علي). "وأخذك قهاوي كمان."

"وتعلَّمْني ازاي ألعب طاولة."

"وأعلِّمك ازاي تلعب طاولة، أي أوامر تانية؟"

"لا، كفاية عليك كده النهاردة." أخرجت (مايا) موبايها وتفقدت الوقت.

"أنا محتاجة أتحرك، مش عايزة أتأخر وأتخايق، مش عايزة اليوم يقفل وحش."

"ماشي، تعالي أوصِّلك." قاما واتجها للباب، آخذين معها الأطباق الفارغة

والمعالق التي رموها بسلة مهملات بجانب الباب.

"مش لازم توصلني بجد." نزلت هي الأول وتبعها (علي). "ممكن آخذ

أوبر."

"بس يا(مايا). " ربت (علي) على رأسها والتفتت له متجهمة. "فاكراني واحد

من بتوع التجمع بتوعك دول؟"

"على فكرة صحابي بتوع التجمع بيوصلوني كثير." خفصت من صوتها حتى

لا يسمعها الجيران وينزعج (علي). "فمَش انتوا بس الي جِدعين."

"جِدعان، مبدئيًا." ضحك (علي)، ورمقته بنظرة أخرى. "يلا يا(مايا)، يلا

أنا غلطان إني جبتك أصلًا."

كانا قد وصلا الدور الثالث عندما فُتح أحد الأبواب وخرجت بنت ذات شعر

أسود طويل ترتدي قميص نوم قطنيّ أبيض وعليه ورد أحمر وأزرق، ممسكة بيدها

كيس قمامة، لمحتها ورصدت (مايا) نظرتها الخجلة لـ(علي) واحمرار وجنتيها، وكيف

أشاحت بنظرها بعيدًا. "ازيِّك يا علي؟" نظرت البنت لـ(مايا). "أهلاً وسهلاً."

"ازيِّك يا زينب؟" ابتسم لها (علي). "عاملة إيه؟ إيه أخبار المذاكرة؟"

"تمام الحمد لله." أومأت برأسها ولم تُلَقَّ عينيه. "الملازم الي بعتَّهالي مع أبويا

ساعدتني كثير، كتر خيرك."

"يا ستي، على إيه بس." وسعت ابتسامه (علي) لها، واستيقظ بداخل (مايا) إحساس آخر كانت قد شعرت به من قبل بدرجة أقل بكثير عما شعرت به الآن. "لو عايزة أي مساعدة قوليلي، أنا تحت أمرك."
لقت (مايا) ذراعها حول خصره وتجاهلت كيف تخشّب جسده. "مش هتعرفني؟" ابتسمت (مايا) حين رأت عيني البنت تلحظ ذراعها، وعبوس وجهها أماً، ونظرتها التي صوبتها تجاه الأرض.
"مايا، دي زينب جارتنا." رد (علي). "باشمهندسة الحتة، زينب.. دي (مايا)."

تحدّثت (زينب) بصوت خافت، "ازّيك؟"
"تمام." نظرت (مايا) لـ(علي) وشدّدت من قبضتها. "مش قولت هتوصلني؟ احنا اتأخرنا فوق قوي." أوماً برأسه وقد اختفت الابتسامه عن وجهه.
"يلاً بينا." صوّب نظره لـ(زينب). "بعد إذنك يا زينب."
"اتفصلوا." أفسحت لها الطريق حتى يمرّ، وأحسّت (مايا) بعيني (زينب) عليها، اضطرت أن تُنزل ذراعها من حول خصر (علي)، ولكنها أمسكت بيده وضمّرت أصابعها معاً.

ظل (علي) صامتاً حتى خرجا من العمارة واتجهوا لجراج قريب قد ركن به سيارته. "مايا، ليه عملي كده؟" تظاهرت (مايا) بالبراءة. "عملت إيه؟"
لم ينظر لها (علي)، ولكنه لم يترك يدها. "ليه مسكّيني كده قدامها؟"
هزت (مايا) رأسها. "ما أنا بعمل كده على طول، فين المشكلة؟"
"انتي عارفة أنا قصدي إيه." نظر لها ورأت بعينه غضباً أشعل ذلك الإحساس بداخلها أكثر. "وأنا عارف إنك فهمتي اللقطة وقصديّ عملي كده، ليه تضايقيها؟"

"وانت متضايق قوي كده ليه؟ فرقت في إيه يعني هي اتضايقت ولا لا؟ انتوا صحاب؟"

"أكيد لأ، زينب مالهش في الكلام ده."

"مالهش إنها يبقى عندها صحاب؟"

"ماينفعش يبقى عندها صحاب ولاد." تنهد (علي). "مفيش الكلام ده هنا."

"عيب يعني؟"

"آه."

"طب خلاص هي مش صاحبتك، انت متضايق ليه؟"

"هي زي أختي." وصلا السيارة وفتح لها (علي) الباب، أكمل كلامه بعدما ركب هو السيارة وأدارها. "يمكن أنا بالنسبالها مش كده، بس برضه.. ما أحبش إنها تضايق."

"بس هي تبصلك كده وأنا مش مهم أتضايق ولا لأ."

"مايا، البنت كان وشها في الأرض طول الوقت." بدأ أن يتعصب. "هي مابصتليش أصلاً، ومش دي اللي يتغار منها."

"آه، فتروح تذاكرها عادي وهي تقعد تتسهوك عليك، صح؟"

"تتسهوك إيه؟! هي مالهش في الكلام ده أصلاً." ارتفع صوته. "يا بنتي دي واحدة من الجامعة للبيت ومابتخرجش أساساً، ده لولا إن أبوها كان بيدرسلي عربي في ثانوي وصاحب أبويا كان قتلها عشان وفت اتكلمت معايا دلوقتي."

"أولاً.. إيه التخلف ده؟! أبقت (مايا) نبرتها هادئة. "ثانياً.. البنت هتموت وتصاحبك أصلاً؛ فحقي أبقى عايزة أفهمها إنك مع حد تاني بها إنها ماجاتش منك."

"مش عايز أجرح مشاعرها."

"بس أنا عادي، صح؟"

"وانتي مشاعرك هتجرح ليه؟" صاح بها. "شوفتيني بفكر فيها؟! شوفتيني

جُبت سيرتها قبل كده أصلاً؟! شوفتيني بصَّيت لحد تاني غيرك قبل كده؟"

"أحنا فعلاً هنقفل اليوم كده؟" رعشت صوتها عمداً. "يعني أنا غلطانة إني

بغير عليك؟"

تنهَّد (علي) وأمسك بيدها. "يا حبيبي بجد مافيش داعي، زينب زي

أختي،(مايا).. مش أنا بجد اللي يتغار عليًا. انتي واثقة فيا، صح؟"

"أكيد."

"طب خلاص مالك بقي؟" شدَّ يدها وقبَّلها. "واليوم كان هيقفل حلو

وكلنا رزُّ بلبن وحاجات."

"انت اللي اتخانقت، مش أنا."

"خلاص حقك عليًا." ابتسم لها. "هبوس راسك لما نركن."

ابتسمت (مايا) وأسندت رأسها على ظهر الكرسي، كم كانت تحب الانتصار.

جلس (كريم) في شرفة منزلهم يجتسي كوبَ شاي أخضر بالنعناع، وييده الأخرى

كتابٌ جديد قد اشتراه البارحة. في الكرسي المقابل له جلست (ملك) ويدها هي

الأخرى الكتاب الذي كان قد أوصاها به. لحسن حظها ساد الهدوء في شارعها

الليلة، واستطاعا أن يستمتعا بأغاني أم كلثوم التي قد قامت بتشغيلها (ملك) على

موبايلها.

سمع (كريم) باب الشقة يُفْتَحُ وَيُقْفَلُ، ومال للأمام حتى تراه (مايا). " مايا، احنا هنا. "

وضعت (ملك) كتابها أمامها على المائدة وانتظرت حتى جاءتها (مايا). " عملتي إيه؟ "

تمنى (كريم) ألا تكسر (مايا) قلب أمها وترد ببرود أو استهزاء مثلما تعودا منها، ولكنه تنفس الصعداء عندما ردت (مايا) بهدوء. " لأتمام، اتصالحنا وقعدنا شوية. " ابتسمت لها أمه ابتسامة عريضة. " شوفتي بقى الموضوع سهل أزاى؟ " " بعد كده بلاش كلام متخلف بقى. " ضحك (كريم). " ما صدقنا لقينالك واحد عدل. "

" بس يلا. " ضربته (مايا) على رأسه، ولكنها كانت تبتسم هي الأخرى. " بس هو ماكانش سهل خالص عامة، كان قافش قوي. " " ماشي، بعد كده خلي بالك بس. " رمقتها أمه بنظرة جعلت قلبه يعتصر. " بس برافويا (مايا)، فخورة بيكي. "

دحرجت (مايا) عينيها ولكن ليس بحدة أو استخفاف. " عادي يعني، ماعملتش حاجة كبيرة. " " بنتك كبرت يا حاجة خلاص. " قال (كريم). " مين هتبقى أم العروسة خلاص؟ "

" بس يا (كريم)! " ضربته (مايا) مجددًا، ولكنها لم تستطع إخفاء الضحكة عن وجهها.

" ابتدي يا ماما جييلها الجهاز. " " بس. "

" وعلمها طبختين تلاتة كده تستر بيهم نفسها. "

"كريم، هتضرب بجد."

"وابتدي خسي يا (مايا) بقى عشان شكلك يبقى حلو في الصور."

"حلو غصب عنك." احتست آخر رشفة من كوبه وتراقصت بعيداً عن يده

التي كادت تضربها. "أنا هدخل أغير هدومي وأنام، تصبحو على خير."

"وانتي من أهله." ردّد (كريم) وأمه. انتظر حتى سمع صوت باب غرفة (مايا)

يُفَقَل قبل أن ينظر لأمه. "ده شكله هداها فعلاً، قومي صليلها ركعتين بسرعة."

ضحكت أمه، وآلم قلبه فرحاً لسماح هذا الصوت منها مجدداً؛ فقد كان حُرِم منه

لبضعة أشهر، ودعا (كريم) رباً لم يكن متأكداً أنه ما زال يسمعه، بأن يطيل من حالة

السلم تلك في بيتهم، ويُبعد أباه عنهم!

جلست (نادين) في شرفة أحد المطاعم المطلّة على النيل وزفرت نفسًا به دخان من سيجارتها، منتظرة وصول عميلة جديدة وخطيبها.

جلست سارحة في النيل وانعكاس الشمس على مياهه، وخصلات شعرها تتمايل مع الرياح الخفيفة، اقترب الشتاء منهم رويدًا، وراودها إحساس ما بداخلها أنه سيأتي ومعه شرّ، سرّت بجسدها رعشة جعلتها تدخن بشراة حتى انتهت من تلك السيجارة وأشعلت واحدة أخرى.

"نادين حافظ؟"

جاء الصوت من ورائها وأرجعها للحاضر، رفعت (نادين) عينيها ورأت العميلة؛ شعر كستنائي مموّج ووجه يملؤه النمش به عينان خضراوان واسعتان، كانت ترتدي فستانًا زيتيًا وبه حزام جمليّ، تصل أكمامه حتى كوعها، ابتسمت لها (نادين).

"حضرتك أستاذة لبنى؟"

بادلتها العميلة بابتسامة ومدّت يدها. "معلش أتأخّرت عليك، كل ده بندور على ركنة لحد ما خطيبني قالّي انزلي وهجيلك."

صافحتّها (نادين) وانتظرت حتى جلست أمامها.

"لا ولا يهملك. طريقتكوا كان طويل؟"

"جاين من المهندسين، فميش بعيد قوي، لأ." طوت (لبنى) شعرها وراء أذنها. "ومعلش برضه لغينا المواعيد كثير، شغل (عاصم) مواعيده مش مضبوطة؛ فكان بيطلع له شغل فجأة."

"مفيش مشكلة خالص."

ارتاحت (نادين) لها وشعرت أنها ستكون عميلة لطيفة وسهل التعامل معها.

"تحيي نبتدي ولا نستنى خطيب حضرتك؟"

"لا، ما أنا جيت خلاص."

تفشَّى البرد في جسد (نادين) وتسارعت نبضات قلبها، نظرت بجانبها لتجده، وحاوَلت ألا تُظْهِرَ أي شيء على وجهها، قد زاد وزنه منذ أن رأته آخر مرة منذ ما يقرب من ستة عشر عامًا (كم فرحت عندما لم يحضر هو وعمتها عزاء عمها منذ ثلاثة أعوام)، تذكَّرت تلك اللحظة وكأنها البارحة؛ بينما كانت عمتها تصرخ بها وتضربها، وقف هو بعيدًا يشاهدهما وعلى وجهه ابتسامة شيطانية سادية.

(عاصم)، ابن عمتها الذي تحرَّش بها منذ أن جاءت لتسكن معهم، والذي اغتصبها لمدة سنين منذ أن تمَّت السادسة عشر، كان عريس عميلتها.

ارتسمت على وجهه نفس الابتسامة، وأرادت (نادين) أن تهرب للحمام على رجلين مرتعشتين وتتقيأ. "أستاذة(نادين)، أهلاً وسهلاً." مدَّ يده لها وشعرت بخلاياها تشمئز وترتد بعيداً عنه. "أنا عاصم، العريس."

حاوَلت (نادين) أن تتحكم في يدها وهي تمدها لتصافحه، وأهتت نفسها في التفكير في الدَّش الساخن الذي كانت ستأخذه فور رجوعها بيتها لتمحو أثر تلك المصافحة وعينه عليها. "أهلاً."

جلس (عاصم) بجانب عروسه ولفَّ ذراعَه خلف ظهرها. "نبتدي بقى ولا إيه؟ معلش ماجبِّش أركن المرسيدس في الشارع كده."

ما زال متعجرفاً بعُقْدَةٍ نقص، ورصدت (نادين) لغة جسد (لبنى) لترى إن كانت تعاني من مِثْلِ ما قد عانت منه هي، ولكنها مالت تجاهه ووضعت يدها على رجله، اطمأنت (نادين)، لم تكن تعلم ماذا كانت ستفعل إن أحسَّت أنه يؤذي (لبنى).

"أعتقد ممكن نبدأ." أخرجت (نادين) الـ"آي باد"؛ لتدوّن خططهم ومتطلباتهم. "احنا قولنا الفرحة كمان ثلاث شهور؟"

"بالظبط. " ردّت (لبنى). " كنا عايزين نعمله في مكان مفتوح، وهنعمز حوالي

200 شخص... "

" خليهم 250. " قاطعها (عاصم) قائلًا. " هعزم ناس كثير بشتغل معاهم. "

حتى يتباهى أمامهم. " تمام، بس كمان ثلاث شهور هنكون في عز الشتا؛ فمكّان

مفتوح هيكون مش أحسن حاجة. "

" ممكن نعمل خيمة؟ " قالتها (لبنى)، ثم نظرت سريعًا لعاصم. " ولا انت إيه

رأيك يا حبيبي؟ "

" هيبقى شكلها حلو دي؟ " حكّ ذقنه ونفخ صدره، بدأ يتلاشى توتر (نادين)

وجاء بدلًا منه احتقار وشفقة على ذلك الكائن، ولكن ظلّت الكراهية، كراهية كادت

يصل عمرها ثلاثين عامًا.

" أي فرح بيبقى حلو بناسه. " صوّبت نظرها لـ (لبنى). " أعرف ناس كثير

بتعمل خيم، واشتعلت بينهم أكثر من مرة، ههجزلك صور وأبعثها لك. "

" ميرسي ليكي. " ابتسمت لها (نادين) وآلمها قلبها، لماذا ستتزوج تلك الملاك من

هذا الشيطان؟ " بجد أنا شوفت صورتك على الفيسبوك وشغلك أكثر واحد عجبي،

كله قال عليك كلام تحفة. "

" شكرًا على ذوقك. " أشعلت (نادين) سيجارة أخرى، وتجاهلت

نظرة (عاصم) لها، لم تكن تجرؤ أن تفعل ذلك أمامه هو أمه عندما كانت تسكن معها،

ولكنها الآن تلذّدت في استعراض حريتها أمامه، بعدما كان قد أخذ منها كل شيء، لم

يكسرها (عاصم)، ورأت (نادين) في عينيه سخطه على هذا الأمر، بجانب شهوة لم

تحمّد بعد كل تلك السنين.

"طيب إيه رأيكوا نطلب حاجة نشربها وبعدين نكمل كلامنا؟" لثاني مرة نظرت (لبنى) لـ(عاصم) وكأنها تطلب منه الإذن، غمر الغضب (نادين)، وغصبت نفسها ألا تُظهر أي شيء.
"أكد يا قلبي." رفع (عاصم) يده وطرق بأصابعه لنادل يمر بجانبهم.
"عايزين نطلب."

أغمضت (نادين) عينيها وجزت على أسنانها، كارهة اليوم الذي قبلت فيه (لبنى) كعميلة، حاولت تهدئة نفسها والتفكير أنه كان عليها فقط أن تصمد ثلاثة شهور ولن تراه مجدداً، وستحاول أن تلتقي بـ(لبنى) دونه، وإن كانت تشك أنه ستركها تفعل ذلك، من ناحية لن يفوت فرصة ليزعجها، ومن الناحية الأخرى شعرت (نادين) أنه لا يترك لـ(لبنى) حرية الاختيار أو اتخاذ القرارات.
ثلاثة شهور، ولن تضطر لرؤيته مجدداً.

"والله قمر." قالت (مايا) عندما رجع (علي) لها بالهودي الخاص به. "والله أنا مصاحبة أحلى واحد في العالم."
"هاخذُه منك وانتي مروحة عادي." ركع (علي) وراءها على الأرض وألبسها الهودي الأسود. "جايته من الوكالة ده مش هفرط فيه."
ضحكت (مايا)، ثم التفتت له ورأت النظرة الجدية على وجهه. "إيه ده؟! بجد؟"
التوت شفاته سخرية ودرج عينيه. "آه، بجيب حاجات من الوكالة عادي، يبقى فيها حاجات حلوة."

تفقدت (مايا) الهودي. "مايانش عليه، بس انت كل حاجتك حلوة يعني." منذ ذلك الشجار على ملابس (علي) منذ شهر وهي تحاول أن تتفادى قول أي شيء قد يؤخذ على محمل تكبرها عليه وعلى أسلوب حياته حتى الآن.

جلست (مايا) على حصيرة قد أحضرها (علي) من بيته وفرشها على أرض سطحه، وجلست هي وهو يأكلان فطيرة بالجبن والسجق اشتراها (علي) من مخبز بجانبه.

جلس أمامها وقطع لنفسه شريحة أخرى وغمسها في الكاتشب. "هبقى آخذك مرة وهتفهمي قصدي إيه."

"ومالُه، نروح." "أكلت قزمة من شريحتها وبلعتها قبل أن تكمل." "جبتي رز بلبن؟"

"حاطه تحت في التلاجة."

"حبيبي والله."

"الدّع ده بيطلع بس لما بلبيلك طلباتك؟" ضمّ شفتاه وأوما برأسه. "مصلحجية والله، أنا مصاحب مصلحجية." "ليه ماتقولش إنك بتقعد تعمل كده عشان تدلّع؟"

"وأنا كنت لقيت طريقة ثانية غير كده؟"

"مايا (علي) لما باحي أدلّعك بتقولي عيب احنا في الشارع."

ضحك واحتسى من كوب بلاستيك به مشروب غازي. "دلّع لفظي يا (مايا).."

لفظي."

تلوّت (مايا) في مكانها. "والله بحس إني في فيلم مبتدل والله."

"معلش أنا بحب الابتذال." انتهى من شريحته وكوبه، وتهد بصوت عالٍ.

"أنا محتاج أرجع الحيمّ لو هاكل بالمعدل ده."

"كرشك ابتدى يطلع فعلاً." أكملت مسرعة عندما رأت جبينه المنعقد. "بس
لسه زي القمر، أنا ما عنديش مشكلة مع الكرش."
"هعمل نفسي مصدقك." تنهد ووضع يديه على بطنه. "عايز شاي أنا
دلوقتي."

"تبقى تعملنا كمان شوية."

"أنا لو شغال عندكوا هتعامليني أحسن من كده."
انتَهت (مايا) من شريحتها ومسحت يديها في منديل. "طب أنا عايزة أغسل
إيدي دلوقتي."

"ماعكيش wipes؟"

هزّت رأسها. "خلص ونسيت أجيب."

"طب هنزل أجيبك فوطة مبلولة من عندي."

"طب ما آجي أغسل إيدي عندكوا وخلص."

حكّ ظهر رأسه وبدا عليه عدم الراحة. "ماهو مَفِيش ستات في البيت زي ما
انتِي عارفة."

انعقد جبين (مايا) حيرة؛ لماذا وجب وجود امرأة في البيت؟! "إيه المشكلة؟"

"هتخشي البيت وفيه اتنين رجالة؟"

"ما أنا بروح لصحابي كثير يا علي." هزّت (مايا) كتفيها. "مش فاهمة إيه
المشكلة."

"المشكلة."

انعقد جبينه ونهرت (مايا) نفسها لما قالته. "بتطلعيلهم البيت لوحدهك ومفِيش
حد فوق؟"

"آه، بنذاكر مثلاً أو ببقى عايزة أخش الحمام أو كده." بعيداً عن أسباب أخرى
بالتأكيد لم تُرد إخبار (علي) بها.

"ماشي. "تنهّد وسكت برهة. "ماتعمّليش كده تاني لو سمحتي، مش صح."

"مش هيعملولي حاجة يعني."

"ماتبقيش متأكدة قوي يعني." مسح يده في مندبل وتفادى النظر في وجهها.

"مش من نضافة اللي تعرفيهم."

بالفعل قد حاول معظم أصدقائها الشباب أن يحدث شيء بينهما عندما ذهبت (مايا) بيوتهم لأسباب غير التي لم تُرد ذكرها، وبالفعل لم تكن صداقاتها مع معظم هؤلاء الشباب أحويّة، ولكنها لم تُرد أن يتحكم بها (علي) بتلك الطريقة.

"لا، أنا عارفة صحابي كويس، وكمّان بعرف آخد بالي من نفسي، انت مش واثق

فيّ؟"

"أكيد واثق فيكي." قام (علي) ومدّ يده لها. "تعالِي عشان ننزل تغسلي إيدك."

أخذت بيده وشدّها لتقف. "عيل قديم."

"مش عيل." لمعت عيناه غضبًا. "و مش قديم، هاتيلى أكثر واحد مُنفتح

وقوليله لو اللي بتحبّها بتطلع شقق ولاد مافيهاش ست، وكمّان ولاد عينهم طالعة عليها حتى وانت موجود، هترضى ولا لأ هيقولك لأ، وانتى مش مصاحبة نطع عشان يرضى بحاجة زي كده، لما ييقوا صحابك ولاد ناس و مش شوية صيغ ماتربوش ابقي تعالي كلميني."

أرادت (مايا) أن تعترض وتدافع عن أصدقائها، ولكنها شعرت في تلك اللحظة

بانجذاب شديد له، وتدقق شديد من الإحساس الغير مسمى، ألم قلبها، وأطرى من نعمها على نبرته وعصبية الناتجة من غيرته وبالتبعية حبه لها.

وجدت نفسها تربت على ذراعه وتحذّته بصوت منخفض هادئ. "ماكانش

قصدي إنك نطع، وانت يعني لو مش راجل كنت صاحبتك؟ مش هطلعهم تاني

خلاص."

زفر ونظر بعيداً، ثم لفّ ذراعه حولها وقبّل جبينها. "معلش، اتعصبت عليكي،
تعالِي يلا."

نزلا للطابق الرابع وفتح (علي) الباب، قابلها سكون من الشقة. "بابا؟"
لم يردّ أحد.

تفقد (علي) تحت أرجلها. "جزمته مش هنا، شكله نزل."
خفق قلب (مايا). الشقة لنا لوحدنا، هل سيحاول فعل شيء؟ امتلاً قلبها
بالترقب، هل كان يرفض فعل شيء كل تلك المدة لمجرد تواجدهما في مكان عام؟! هل
كان سيغتنم تلك الفرصة ويحاول؟!
نظر لها وبدا على وجهه التوتر، كتّمت (مايا) ابتسامتها الشرهة. "أجيبك
الفوطة وخلاص؟"

حسناً، ما زال يحاول أن ييدي لها احتراماً وكل هذا الهراء، دحرجت (مايا) عينيها
وخطت داخل الشقة. "انجز يا علي." نظرت له من فوق كتفها. "أنا جاية أغسل
إيدي بس، ولا انت عندك فكرة تانية؟"

"آه." دخل (علي) الشقة وأقفل الباب وراءه، خفق قلب (مايا) وشعرت
بحرارة تحتاح جسدها، وقف أمامها ورمقها بنظرة جعلت نفسها يتعثر. "هنعمل
حاجة تانية برضه."

تسارعت أنفاس (مايا). "هنعمل إيه؟"
اقترب منها أكثر ونظر لشفتيها بعينين تلمع، جعلت الدم يتدفق بسرعة في أنحاء
جسدها، واقتربت هي الأخرى، وبدأت أن تغمض عينيها والترقب ينبض بها أكثر
فأكثر، أخيراً جاءت تلك اللحظة.. أخيراً...
"شاي."

توقّف العالم لحظة، ثم دفعته (مايا) بعيداً وتجهّمت. "بكرهك على فكرة."

ضحك (علي) وهز رأسه. "ماتقدريش." أشار لباب أمامها. "ده الحمام، خشي اغسلي إيدك وأنا محضر الشاي."

"هدلقه عليك والله." تجاهلت (مايا) ضحكه المستمر، واتجهت للحمام ووجهها شديد الاحمرار من الإحراج، أقفلت الباب وراءها وتفقدت الحمام، كان طرازه قديماً، وبعض البلاط كان مكسوراً، ولكنه كان نظيفاً، وكان ذلك أهم شيء. غسلت (مايا) يديها ووجهها بمياه باردة حتى تذهب بعضاً من احمراره، ونظرت لنفسها في المرآة، منذ أن قللت تبرجها وهي تبدو أصغر، بملامح أوضح، جعلتها تشعر أنها عارية أمام الناس، وأمام (علي) بالأخص، الآن كانت تكتفي فقط بالكحل حول عينيها.

تغيرت (مايا) كثيراً في السبعة أشهر الماضية منذ أن قابلت (علي)، كانت تهتم بشأنه، وبدأت تحاول فهم الأشياء التي كان يهتم بها من قضايا الرأي العام لقضايا الكثرة لقضايا مجتمعية بسيطة، وجدت نفسها تحاول أن ترضيه، وتحاول أن تحترمه في غيابه، وإن لم تفعل ذلك كان ينغزها الذنب، وكذلك إن كذبت عليه، كانت تفكر به دوماً عندما كان بعيداً، وتشتاق إليه، ما زالت لا تريد أن تسمي الإحساس الذي ظل يراودها من حين إلى آخر، ولكنها اعترفت لنفسها أنها قد فقدت السيطرة عليه.

خشيت (مايا) كل تلك التغيرات والأحاسيس، خشيت تعلقها به ولهفتها للقائه وابتسامتها اللا إرادية عند رؤيته وسرعة ضربات قلبها، كان قلبها يخفق بشدة الآن، وترقبت الخروج له وإن كانت قد فقدت الأمل فيه أن يفعل شيئاً وهما في البيت ولا يوجد سواهما.

ما زالت تجذب نفسها أحياناً لتجاهد لتقنع نفسها أنه كان منجذباً لها بنفس مقدار انجذابها له، ولكن أحياناً كانت تتمكن منها غيرتها وقلة ثقته بنفسها، وتعتقد أنه غير منجذب لها بسبب لهفتها عليه وأسلوبها الجريء ولبسها الغير محتشم.

طَرَقَ (علي) على الباب وفزَعَت (مايا). "انتي كويسة؟"
 "آه." أَخَذَت نَفْسًا عميقًا لتهدأ. "طالعة أهو."
 جَفَّقَت (مايا) يديها في منشفة، وفتحت الباب، ووجدته واقفًا أمامه، رمقها بنظرة
 جعلت وجنتيها يحمران مجددًا. "إيه؟!!"
 ابتسم لها وهز رأسه. "مفيس، تعالي أنا عملت الشاي خلاص."
 "هنطلع؟" اتبعته لمطبخهم الصغير.. وأنا اللي كنت فاكرة بيتنا صغير.
 "آه، خلاص بقى." أعطاهما (علي) كوبًا به شاي وبضع ورقات النعناع، وأخذ
 كوبه، واتجه للباب.
 "نطلع نقعد فوق عشان عايز.."
 قطع كلامه فتح باب الشقة ودخول أبيه، الذي تسمر في مكانه عندما رأهما،
 ولمعت عيناه—واللتان كانتا يشبهان عيني (علي) جدًا—غضبًا.
 "إيه ده؟!!"
 خَفَّقَ قلب (مايا) بشدة وأخذت خطوة للوراء، خلف (علي).
 تلعثم (علي) وهو يرد على أبيه. "احنا كنا قاعدين فوق بناكل ومايا كانت عايزة
 تغسل إيديها، نزلنا وكنا فاكرينك هنا، هي غسلت إيديها وأنا عملت الشاي وكنا
 طالعين أهو على طول."
 "يعني إيه تدخلها بيت لوحدكوا؟" صاح به أبوه. "أنا علمتكم تعمل كده في
 بنات الناس؟"
 "حصل خير، حضرتك." قالتها (مايا) بصوتٍ منخفض يرتعش. "علي فعلاً
 ماكانش عايز وأنا اللي قولتله مش مشكلة المرة دي، كنت محتاجة الحمام بصراحة، بس
 هو بجد ماكانش عايز."

نظر أبوه لها، ولاحظت بعض الملامح المتشابهة بينه وبين ابنه الوحيد، صوب عينيه مجددًا لابنه، وتحدث بصوت أهدأ. "عشان بس (مايا) كانت محتاجة تُحُشّ، بس المفروض كنت تقف تستناها برّه، مش تحش الشقة وكان تقفل الباب، المفروض تخاف عليها وعلى منظرها قدام الجيران أكثر من كده."

أوما (علي) برأسه وعينه على الأرض. "حاضر، أنا آسف."

"ماتأسفليس أنا. "ردّ أبوه. "اتأسفلها هي، وما تتكّرّزش تاني، مفهوم؟"

"مفهوم. "استدار لها (علي) ولم يلقَ عينها. "أنا آسف."

"لا، عادي. "همست (مايا)، ألمها صدرها ودمعت عينها، لم تكن تريده أن

يُحَرِّجَ أمامها هكذا. "ماحصلش حاجة، يلاً بينا؟"

أوما (علي) برأسه واستدار لأبيه، ولم يلقَ عينيه هو الآخر. "بعد إذنك؟"

"انفضلوا. "نظر أبوه لها وابتسم ابتسامة صغيرة. "بعيدا عن أي حاجة أنا

سعيد إني شوفتك يا (مايا)، أتمنى نشوف بعض تاني."

بادلته بابتسامة مرتعشة. "ميرسي، شكراً على ذوق حضرتك."

"يلاً بينا. "خطأ (علي) حول أبيه واتبعته (مايا)، انتظرت حتى صعدا دورًا

وسمعت الباب يقفل قبل أن تُمسك يدَ (علي).

"حبيبي. "مسحت بإبهامها على كفه. "ماتزعلش. "لم يُردّ. وصلا السطح

وأقفل (علي) الباب، وذها ليجلسا على المصطبة، ظلّت (مايا) ممسكة بيده، وقلبها

يؤلّمها على الحزبي الذي رآته في ملامحه، وعينه التي لم تلقَ عينها.

"علي... "وضعت كفها على خده وجعلته يحرك وجهه تجاهها. أنا مش زعلانة

منك، ولا اللي حصل ده المفروض يخليك مكسوف، ماشي؟"

"راجل أنا قوي في عينك دلوقتي بعد ما أبويا هزّاني قُدّامك زي العيل."

"وسيد الرجالة." هنا رفع (علي) عينيه لها، وابتسمت له. "مفّيش بيننا الكلام ده."

ظَلَّ (علي) يحدق بعينيها، ثم أمسك بيدها التي كانت على خده وأدار رأسه ليقبّل كفها. "بحبك." أكمل كلامه قبل أن يعطيها فرصة لترد، وتنفّست الصعداء.
"كنت ناوي أعمل حاجة بس الله يسامحه بوظهالي."
"لا، ليه؟" ارتشفت من شايبها. "قوّلّي كنت عايز تعمل إيه؟"
حكّ (علي) خدّه وأخذ رشفة من شايبه. "والله هتبقى غبية دلوقتي."
"انجز."

سكت (علي) برهة، ثم أخرج موبايله من جيبيه وأخذ يقلّب به، لم تستطع (مايا) أن تخمّن ما كان يريد، ولكنها ابتسمت عندما بدأت موسيقى البيانو.

When everything was broken..

The devil hit his second stride..

وقفَ (علي) ومد يده لها، اتسعت ابتسامتها ووضعت يدها بيده وتركته يشدها لتقف، وضعت يديها على كتفيه في حين أمسك هو خصرها.

...don't wanna say goodnight..

But I'll still see you in the morning...

Still know your heart and still know..

Both your eyes..

تمايلا مع الموسيقى وثار ذلك الشعور الغير مسمّى بها حتى لوّن كل خلية بجسدها وروحها، ودمعت عينا (مايا) عندما شعرت، ولأول مرة في حياتها، بفرحة حقيقية.

رأت نفس شعورها معكوسًا في عينيّ (علي). "رقصتي مع حد قبل كده؟"

رصدت (مايا) التردد والقلق في صوته، وابتسمت وهي ترد بصدق. "لا، أول مرة في حياتي."

لم تسع ابتسامة (علي) وجهه، وصدرت منه ضحكة قبل أن يلفّ بها وبدأ في الرقص في أرجاء السطح كله، غير آبهين بأعين الجيران الذين وقفوا في شرفاتهم يشاهدوها ويتهامون، وكان البعض منهم -من كان بقلبه ذرة حب وصفاء- مبتسماً.

But if only you could see yourself..
In my eyes, you'd see you shine..
You shine..
I know you'd never leave me..
Behind, but I'm lost this time..

كانت تريد أن تقولها، خطت الكلمة من مكان ما عميق بداخلها، ومرت على قلبها الذي خفق إثرها، وصلت لطرف لسانها قبل أن تمسك بها (مايا) وتبقيها بداخلها. "علي..."

فهم (علي)، وأوماً برأسه، عيناه تحثها على أن تثق به وتقولها، رأت الشوق في عينيه، شوقاً ليسمعها منها مرة واحدة، انقبض قلبها وآلمها، ولكن لا.. لن تقولها، ستبقي وعداً لنفسها وتحميها، رأت في عينيه فهمه، ودمعت عينها حين رأت خيبة الأمل تُطفيء من لمعتها.

أرادت أن تقولها بالطريقة الوحيدة التي كانت تعرفها، ولكن بعد ذلك الموقف مع أبيه علمت (مايا) أن رد فعله لن يكون إيجابياً، وستفسد اللحظة فقط، حسناً، لن يحدث ضرر كبير إن قالتها مرة واحدة، وستبني بعدها أسوارها، وستبتعد بضعة أيام

لتستعيد قوتها، استحضرت (مايا) جميع قواها، واستعدت لتقول تلك الكلمة لأول مرة في حياتها وهي تعنيها. "علي..."
"تتجوزيني؟"

توقف قلبها عن النبض بضع ثوان، ثم شرع في الخفق بسرعة شديدة جعلتها تتعثر وتمسك بـ(علي)، الذي لفّ ذراعيه حول خصرها ليسندها، حدّقت به (مايا)، وزفرت أنفاسها من فمها بسرعة، توقفا عن الحركة وظلاً كذلك لوقت لم يشعر بمروره، ولم تغمض أعينها مرة واحدة.

استمعت (مايا) لأول مرة لصوت ذلك الإحساس، وإلحاحه عليها، استمعت (مايا) للأصوات كلها والتي كانت بالإجماع تقول لها كلمة واحدة.
استمعت (مايا)، ورددت كلمتهم.

"أتجوزك يا علي."

"خُدي قيسي ده يا(مايا)."

"لا، ده مفتوح قوي، خدي ده حلو."

"حلو إيه يا ملك؟! ده كبير على سنها قوي! خدي ده يا(مايا) واسمعي

الكلام."

"يا(نادين) أهله هيشوفوها أول مرة، تبقي لابسة كده؟!"

تركتها (مايا) وتفقدت باقي الفساتين في المحل، والصُداق يدق بمساره في رأسها، والقولون ينقبض ويجعلها تريد أن ترجع بيتها وتحتمي بسريرها، ولكن لم يسع وقتها كل تلك الرفاهية؛ فغداً في تمام السادسة سيقابل (علي) وأبوه أهلها في فيلاً أبيها. تذكّرت رد فعل أبيها عندما اتصلت به الصباح التالي بعدما طلب منها (علي) أن تتزوجه، وحاولت أن تُقنع نفسها أن البرود الصادق والحماسة المفتعلة التي سمعتها بصوته كانا بسبب انشغاله بالعمل، وليس عدم اكتراث منه، وحاولت أن تُقنع نفسها أن أعداره الذي قصفها بوابلٍ منها عندما حاولت تحديد ميعاد لتلك المقابلة كانت للسبب ذاته.

كانت (مايا) من أمضت أكثر وقت مع أبيها عن أمها و(كريم)، ولذلك انتابها القلق تجاه تلك المقابلة، آمن أبوها بالطبقية، وآمن بتحديد الاختلاط والتعاملات والعلاقات بين أفراد الطبقات المختلفة؛ فهو من أصرّ على إدخال (مايا) و(كريم) مدارس دولية، ومن أصرّ على إدخال (مايا) جامعتها الخاصة، وعافر حتى يستطيع تحمل تكلفة ذلك المستوى المعيشي. هل كان سيقبل بارتباط (مايا) بـ(علي) بعد أن يعلم بمستواه المادي هو وأبيه؟ هل كان سيرى ما رأته أمها في (علي)؟ أنه شاب محترم

وطموح وناجح؟ والأهم من ذلك، أنه يجب (مايا) ويريدها، وأنها غالية جدًا في نظره؟

و السؤال الأهم الذي جال برأسها منذ موافقتها، هل ستعارض أباهَا إن رفض؟ هل ستحارب من أجل (علي)، وبالتالي تريه هو والآخرين كم كانت تريده ومتعلقة به؟ هل ستعزّي ضعفها أمام البشر كذلك؟ تعلم أنها إن فعلت ذلك ستتخطى نقطة اللا رجعة، وستصبح أسوارها مصنوعة من زجاج شفاف.

أيها كان أهم لها؟ (علي)، أم قوتها وأمانها؟

"مايا؟"

حدّقت (مايا) بفستان زهريّ فاتح به ورود بيضاء وعناقيد خضراء عيناها لا تراه، أصابعها تتحسس خامته الحريرية بأصابع لا تشعر، لم تكن كليًا هنا.

"مايا."

استحضرها صوت أمها، وفزعت قليلًا وأدارت وجهها لها. "نعم؟"

"قاعدين بنناديكي من الصبح." رفعت لها أمها فستانًا كحليًا من القطيفة يصل

للركبة، بأكمام طويلة وفتحة صدر تصل للعنق. "إيه رأيك في ده؟"

"ده أروح بيه عزا ولا إيه؟" دعكت (مايا) جبينها لترخي الصداع قليلًا.

"مممكن حاجة مفرحة شوية؟ وبلاش الأفورة يا ماما،(علي)شافني بلبسي اللي بلبسه

على طول، القصير والمفتوح، مش هاجي دلوقتي ألبس محترم قدامه."

"قدام أهله." تنهّدت(ملك) وأنزلت يدها. "طب انتي عاجبك ده؟ مش

بطل." أو مات برأسها تجاه الفستان المسكة به (مايا). "رقيق وهيبقى شكله حلو

عليكي."

"مش كاجوال شوية؟"

"ما دي مش قراية فاتحة." انضمت لها (نادين) وتفقدت الفستان. "أنا حاساه مناسب بصراحة، خُشي قيسيه نشوفه."
"ما شكله مقاسي." رفعته (مايا) من على الشاعرة وأعطته لأمها. "ناخده
وخلص بقى."

"أزاي يعني يا(مايا)؟" وضعت أمها يدها على ظهرها، ودفعتها بهدوء تجاه
غرف القياس. "يلاً مَفيش طابور نقف فيه ولا حاجة، خشي قيسيه بسرعة ولو عايزاه
ناخده."

أخذته (مايا) من يد أمها واتجهت لغرف القياس، دخلت غرفة وأقفلت الباب
وراءها، ثم جلست على المقعد الخشبي الصغير وأسندت ظهرها ورأسها على المرآة
خلفها، أرادت أن تبكي من شدة الصداق، ولكنها لم تكن تريد التعامل مع أسئلة أمها
(نادين) عندما يرا وجهها، كانت تريد أن ترجع البيت وتحتبى. لم تكن تريد أن تكون
هنا تبحث عن فستان لأول مقابلة بين العائلتين، لم تكن تريد أن تبدأ تلك المعركة
بعد.. المعركة التي ستعني نهاية حياة العزوبية والحرية وعدم المسؤولية، لم تكن تريد أن
تواجه حياة الناضجين بعد.

خِطْبَة تعني البحث عن سُقُق وأجهزة كهربائية لا تعلم عنها شيئاً، وأثاث بيت لم
تتخليله أبداً، خِطْبَة تعني نضجاً في تعاملها مع (علي)، وجدية لم تَلَقْ بشخصية (مايا)
وبعقلها الشاب، خِطْبَة تعني تعرفها على أسرة ثانية، ولم تكن (مايا) قد تعرّفت على
أسرتها هي حتى يُطلَب منها أن تتعرف على أسرة أخرى.

حدّت ربهَا أن أم (علي) قد تُوفِّيت؛ فهي لم تشعر يوماً بوجود أمٍّ مثلها صورها
المجتمع والأفلام، على الأقل ستستطيع التعامل مع والد (علي)، وإن كانت متأكدة أنه
لا يشبه أباهَا بشيء.

لن يكون (علي) صديقتها بعد الآن، سيكون خطيبها، ستكون دبلته حول أصبعها، هل ستتحول بعدها لشيء ملكه؟ هل سيبدأ بالتحكم بها، ويملي عليها ما كان يجب عليها فعله وعدم فعله؟ هل سيغيّر من ملابسها ويطلب منها أن تبتعد عن أصدقائها؟ لم يخفَ عنها من قبل عدم ارتياحه لأصدقائها، سواء البنات منهم أم الأولاد، هل كانت الخُطبة بداية التحكم وسلب الحرية منها؟

انقبض نفسُ (مايا) وتسرّب بداخلها التوجس والنشأوم.. أنا وافقت على إيه؟
"مايا؟"

فزعتها طرقُ أمها على الباب وازداد الصداع شدة.
"لسه بليس، ثانية."

قامت (مايا) وخلعت ملابسها، وارتدت الفستان، تنهّدت وهي تلتفت للمرأة ثم تسمرت في مكانها، كشف الفستان عن كتفها وأعلى صدرها بحالاته الواسعة التي لُفّت حول أعلى ذراعها، ووصل بالظبط عند ركبتها؛ فلم يكن محتشماً زيادة ولا غير ملائم فتعرض أمها عليه، استدارت حتى ترى فتحة الظهر، ووجدت أن وسطية الفستان في احتشامه امتدت للظهر أيضاً، سيروق لأمها بالتأكيد.
أخذت (مايا) نفساً عميقاً وفتحت باب الغرفة، وقفت أمها و(نادين) أمامه، وابتسمتا عندما رأها، لمعت عينا أمها ووضعت كفيها على فمها. "حلو قوي يا(مايا)، شكلك حلو قوي يا حبيتي."

تجاهلت (مايا) النغز الذي شعرت به بقلها. "متأكدين إنه مش عادي؟"
"بجد شكله حلو قوي." "أومات (نادين) برأسها. "ولو مش واثقة في رأيي أمك ثقي في رأيي أنا أكيد."
ضحكت أمها. "يا ستي المهم يكون عاجبها هي ومقتنعة بيه، عشان ماتجيش بعد كده تقول إننا غصبناها."

هل كانت (مايا) فعلاً مقتنعة به؟ لم تكن تفكر حينها بالفيستان - لم تأبه به كثيراً -، ولكن (علي) .. هل كانت مقتنعة به؟ كان عصبياً، و متمسكاً برأيه، ولم يكن مثلها في أشياء عدة، لم يحب السهر في البارات والملاهي الليلية مثلها، لم يكن يتحدث بالإنجليزية كثيراً، وكانت (مايا) تستسهل التعبير عن نفسها بالإنجليزية نظراً لتعليمها وتعودها عليها، لم يكن يحب التسوق، وكان حريصاً مادياً، هل ستستطيع العيش معه بمستوى أقل من ذلك الذي عاشت به الآن؟

هل ستحمّل تعليقات أصدقائها عندما تتزوج من شخص دون مستواها، بعدما نهرت ذلك (مايا) لمدة سنين؟ هل ستقبل نظرتهم للشقة البسيطة التي حتماً ستسكن بها بسبب مقدرة (علي) المادية المحدودة؟ اهتز موبايلا في حقيبتها التي كانت قد تركتها على الأرض، وانخفضت (مايا) بجسدها لتخرجه وتتفقد الرسالة، وجدت رسالة من (علي)، وانقبض قلبها قبل أن تفتحها.

"أنا وبابا حيننا البدل خلاص"

"هروح للحلاق بكرة"

أرسلت له (مايا) "إيموجي" رفع الإبهام، وأرجعت الموبايل لحقيبتها. "هغير عشان ناخذ الفيستان ونمشي."

انعقد جبين أمها. "مش عايزة نجيب جزمة برضه؟"

"أكيد هلاقي عندي حاجة تليق." شرعت (مايا) في قفل الباب. "تعبانة وعايزة أروح."

سمعتها تتها مسان خارج باب غرفتها ولم تُعزها اهتماماً، خلعت الفيستان سريعاً وارتدت ملابسها، وخرجت لها بالفيستان بيده وحقيبتها باليد الأخرى، ولم تلق أعينها حتى ذهبن إلى الكاشير ودفعت أمها ثمن الفيستان.

"مبروك يا حبيبي." بادرتها أمها بابتسامة عريضة، وأرادت (مايا) أن تبادلها بواحدة مثلها ولكن ما زال قلبها مقبوضاً ويراوردها شعور الارتياح و بعدم الارتياح. "كبرتي يا (مايا)."

"بس يا ماما والنبوي." أخذت (مايا) منها الكيس وبه الفستان واتجهت للباب. "أنا ما كبرتش ولا نيلة اسكتوا، محدش يتكلم معايا في الموضوع ده لحد بكرة، كلمة كمان ومش هاجي وتروحو انتوا تتعرفوا على بعض."

"ماتوتريهاش." لفت (نادين) ذراعها حول كتفي (مايا). "خلي بكرة يعدي بس وبلاش كبرتي والكلام ده عشان شكلها هتهرب بكرة فعلاً." "مايا." "جاءتها أمها من الناحية الأخرى." "لو عايزة تأجلي الموضوع شوية لحد ما تتأكدي ماشي، ممكن تقولي إني تعبت أو أي حاجة وهنضطر نأجل، عايزاكي تبقي متأكدة منه."

لم تترد (مايا)، لم تفهم مشاعرها ولا أفكارها، وطالما كانت قاعدة (مايا) ألا تنقب فيهم وتحاول فهمهم، حتى تريح نفسها ولا تشغل بالها بأشياء يمكن تجاهلها، ولكن الآن وقفت (مايا) أمام قرار مصيري، يحتاج التفكير والتدبر، يحتاج منها أن تقرر إذا كانت تريد أن تربط حياتها بحياة شخص آخر حتى تصير حياة واحدة ويصيرا هي وهو كيان واحد، مع احتمالية أن تخسر نفسها وكيانها كشخص مستقل بذاته.

فمن كان هذا الشخص التي كانت ستخسره؟

(مايا)، البنت المرححة التي يقضي الجميع معها وقتاً جيداً؟ التلميذة التي طالما كانت غير مميزة؟ الابنة التي لم تعرف إحساس الأبوة والأمومة بالرغم من وجود أهلها الاثنين على قيد الحياة؟ الصديقة التي تفادت حدوث أية مشكلة في حياتها أو الشعور بأي شيء سلبي يتطلب مساندة أصدقائها لها؛ لأنها تعلم أن تلك لم تكن طبيعة صداقاتها، التي اعتمدت رأسياً على قضاء وقت جيد خالٍ من الالتزامات المعنوية قبل

أي شيء؟ (مايا) التي دخلت علاقات فقط لرفع ثقتها بنفسها وملء فراغ شاسع في حياتها؟

استوقفتها كل تلك الأفكار؛ فهي لم تكن قد خطرت ببالها من قبل، من أين جاءت؟ ولم الآن؟! ليس من الممكن أن تكون حقيقية، لا.. لم تكن تلك حياتها، نعم كانت مرحة، فمن يجب النكد والحزن والجدية؟ وهي لم تكن قريبة من أبيها لأنه مشغول بعمله، مثلها مثل الكثير من معارفها، ولم تكن قريبة من أمها بسبب نقم (مايا) عليها لما سببته من ألم وحزن لأبيها، ولم تكن تطلب من أصدقائها دعمًا في أي شيء لأن حياتها كانت خالية من المشاكل، لا بد أن تكون شاكرة لذلك! أما العلاقات، فمن يريد أن يدخل علاقة تقلل من ثقته بنفسه؟ من المؤكد أن من مزايا العلاقات الفرحة والطاقة الإيجابية، وإن كانت علاقاتها السابقة اعتمدت بعض الشيء على الجانب الجسدي؛ فتلك كانت غريزة للمتعة، ومن حقها أن تتمتع، ومن واجبها أن تحرص على إمتاع شريكها.

هل كانت المشكلة بـ(علي)؟ هل هو سبب كل ذلك التردد والأفكار المقلقة؟ هل كانت (مايا) قد تسرعت في الموافقة؟

رن موبيلها، وأخرجته (مايا) ورأت أنه كان يتصل بها، أسرعت في خطوتها حتى تخطى ببعض الخصوصية قبل أن ترد. "ألو؟"
"أنا لسه مروح."

غمرتها أحاسيس كثيرة عند سماع صوته.

"جهزت كل حاجة عشان بُكرة، وهنزل بدري أروح للحلاق عشان ما أتأخرش."

"أو كي."

سكت (علي) برهة. "مالك؟"

"مفيش.. تعبانة شوية." تفاقمت الأسئلة في رأسها وزاد الصداع، وأرادت (مايا) أن تبتعد عنهم كلهم، أرادت أن تخرج مع أصدقائها وترجع لوقت كانت به أهدي ومن دون تساؤلات. "عايزة أروح."

"قُدّامك كتير؟"

"لا، ماشين أهو."

"طب ممكن تكلميني لما تروّحي؟"

تنهّدت (مايا) وشعرت بالاختناق يزيد. "حاضر."

"خلي بالك من نفسك."

وأنا يعني هيحصلي إيه وأنا مع مامتي وصاحبتيها؟ هتخطف مثلاً؟...

"حاضر."

"تسلميلي." سكت برهة. "طيب، هسيبك معاهم بقى."

"ماشي، باي."

"باي."

أنهت (مايا) المكالمة ووضعت الموبايل في جيبتها، كانت تريد أن تتركهم وتختفي، لم تكن تريد أن ترى (علي) وأباه ولا أن يتعرّف الأهالي، كانت تريد أن تذهب المسؤلية عنها وترجع للحياة البسيطة.

لم وافقت أن تدخل في علاقة جدية؟! منذ ملاحظتها أن (علي) ليس مثل الذي سبقوه كان لا بد أن تبتعد وتحصر نفسها في العلاقات السطحية فقط، ماذا كانت تريد (مايا) أكثر من وقت مرح ممتع؟ لم ورّطت نفسها في علاقة ناضجة تتطلب منها إظهار مشاعر وتحمل مسؤولية وتفكير في مستقبل لم تكن قد وضعت خطة له من قبل؟!

وربما قد يرى البعض أن ذلك في حد ذاته شيء جيد، أنها لن تضطر بالتضحية في سبيل حياتها مع (علي)، ولكن ماذا إذا كان يوجد خطط بديلة أفضل لـ(مايا)؟ قد

يكون هناك شريك أحسن منه، شريك يتركها ترتدي ما تشاء وتخرج مع من تشاء، سيتركها تسهر وترقص وتشرب، شريك سيدلّلها ويصرف عليها وسيكون مستواه الاجتماعي أقرب لها، شريك سيوفر لها فرصة السفر، بغضّ النظر عن أنها لم تفكر في السفر من قبل ولم تهتم بالفكرة، ولكن إن ارتبطت بـ(علي) لن تستطيع أن تفعل ذلك، ببساطة لأنه لن يستطيع أن يدبر كل تلك المصاريف.

جالت الأفكار بذهن (مايا) وارتطمت ببعضها، حتى ساد التشوش في رأسها ولم تستطع فكّ فكرة من الأخرى، انفجر الصداع في رأسها وظلّت صامته حتى وصلت سيارة أمها، ركبت في الخلف ونامت على الكنب، وشكرت ربها أن أمها و(نادين) تركاها ولم يحاولا التحدث معها.

استلقت (مايا) في سريرها وقد أخذت مسكناً للصداع ودفنت نفسها تحت اللحاف، ما أن وضعت رأسها على الوسادة وبدأ الصداع أن يتلاشى وجسدها يسترخي، النوم لم يكن مرادها، كانت فقط تريد أن تبقى بهذا السكون وتستمتع به؛ فمن المرجح أنها من الغد لن تحظى بمثل تلك اللحظات مجدداً. ولكن كان لموبايلها تدابير أخرى.

تأوّهت (مايا) حين رن موبايلها، وانتزعته من أعلى منضدة السرير ونظرت بالشاشة، (علي).. قد نسيّت أن تطمئنّه برجوعها بيتها بسلام، حسناً.. سترد عليه وتطمئنّه، ثم تدعي النعاس وتقفّل. "ألو؟"
كان صوته قلّقاً. "روّحي؟"

"آه." "أغمضت عينيها وظلت مستلقية. "معلش نسيت، كنت مصدعة قوي
ويادوب خدت دوا ودخلت السرير."

"مالك؟ صوتك مش تمام، وماتقوليش الصداع، فيه حاجة تانية."
هل كان من المفترض أن تجربه؟ أن تشاركه أفكارها وتسمح له أن يساعدها؟ أم
تجس كل شيء بداخلها وتبقية بعيداً عن الناس؟ تحتفظ ببعض الأشياء لنفسها؟
"مايا؟"

"عادي." قررت أن تجربه بشيء من الحقيقة حتى لا يعتقد أنها تكذب. "متوترة
شوية بس من بكرة."
"ليه يا حبيبي؟"

انزعجت منها تلك الكلمة ابتسامة مثلما كانت تفعل دوّمًا، وأذابت بعض
الشكوك والحيرة التي كانت قد انتابتها الفترة الأخيرة وحتى دخولها السرير منذ قليل.
"بعد حبيبي دي بقت أحسن."

ضحك (علي) وشعرت (مايا) بالدفء يتفشى من قلبها لجميع أرجاء كيانها. "يا
سلام؟ هقولها لك على طول."

"لا، قولها في وقتها عشان تفضل special."

"ما انتي على طول حبيبي."

اتسعت ابتسامة (مايا) وشعرت بوجتيها يحمران. "ده إيه الدلع ده كله
النهارة؟"

"اتعودي بقي." "سكت برهة." "متوترة من إيه بقي؟"

تنهدت (مايا) وتقلبت حتى واجهت سقف غرفتها. "متوترة من بكرة، مش
عارفة هيجبوا بعض ولا لا، معرفش بجد أهلي بيفكروا ازاي في الحاجات دي عشان
عمرنا ما اتكلمنا فيها، معرفش دماغ بابايا إيه."

"سيبها عليًا." كان صوته مُفعمًا بالثبات والثقة. "هعرف أتعامل مع باباكي، وقابلت مامتك قبل كده وبتتكلم شوية في الشغل؛ فَمِش قلقان منها يعني."

"ما أنا معرفش بقى هما وباباك هيعرفوا يتعاملوا ولا لأ."

"ماتلقيش من بابا، هو بيعرف يسلك حاله." صمت (علي) وكان صمته محملاً بثقل جعل قلب (مايا) ينقبض. "ولّا انتي خايفة باباكي يعترض علينا؟ عشان الفرق وكده؟"

توخت (مايا) الحذر وهي تجاوب. "ليه بتقول كده؟"

"باباكي عايش في فيلا في كومباوند." رد (علي). "وانتي شوفتي أنا عايش فين."

"معرّش بابايا بيفكر ازّاي يا علي، عشان كده أنا قلقانة."

"انتني ماديتيلوش فكرة لما كلمتيه؟"

قرصت (مايا) أعلى أنفها بين أصابعها وأغمضت عينيها. "كان مشغول، مالحنش نرغي."

"ماسألِكش أي حاجة عني؟"

"بقولك كان مشغول، هيشوفك بكرة ويسألك بقى."

"طب هو دماغه إيه في الحاجات دي؟"

لم تكن تريد أن تخبره وتخبطه. "معرّش."

"هو مش ده أبوكي برضه؟" بدأ أن يتعصب (علي) ويختل ثبات صوته. "يعني إيه مش عارفة بيفكر ازّاي في الحاجات دي؟"

"عشان هو ومامتي متطلقين وأنا مش بشوفه كثير، ولما بشوفه كام ساعة كل فين وفيين مش هقعده أسأله هو رأيه إيه في الاختلاف الطبقي في العلاقات يا علي!"

ظل (علي) ساكتًا فترة، ثم تنهد وبدا على صوته إحباط ألم قلب (مايا). "يا (مايا) أنا مش هتأخر في حاجة عشانك، هو يعني عشان ما عيش فلوس يحصل كده؟" دمعت عينها واعتصر قلبها وجعًا. "علي.. إن شاء الله مش هيحصل حاجة وحشة وكله هيبقى تمام."

"هو مين فينا اللي المفروض يهدي الثاني؟" تنهد (علي) وحاول أن يخفف من صوته. "وانتي فاكراني يعني لو قالي لأ هقوله طيب؟ مفيش الكلام ده." "هتعمل إيه؟"

"هقوله لأ يا هندسة بتتك تخصني ومش هتبقى لغيري." ضحكت (مايا). "لو بالصوت ده هيطلبك الأمن، مش بهزر." "طب أعوجله لساني طيب؟ هيستنضفني لو رमितله كلمتين إنجليزي؟" "ممكّن ماتوتّرش عشان أنا أصلًا على أخري؟" "حاضر خلاص." سكت برهة. "فيه حاجة تانية مضايقاكي؟" قررت أن تعطيه قطعة أخرى من الحقيقة، ولكن لتهدئة نفسها تلك المرة.

"علي؟"

"إيه يا حبيبي؟"

"ماتسبّثيش." ضحكت. "هو انت لو اتخطبنا هتقعد تقولي ماتلبسش وما تخرجيش؟"

"يعني هقعدك في البيت عريانة؟ احنا داخلين على شتا، تستهوي يا ماما."

ضحكت (مايا) بصوت عالٍ. "بلاش استعباط، انت فاهم قصدي." "قصديك هبقى رجعي وكده؟" أدخل في صوته بعض الجدبة. "مايا، أنا مش هامرك عملي حاجة، ممكّن تلاقيني بطلب، أو بقول وجهة نظري في حاجة، بس

مَفِيش أوامر بيننا، ومش ملزمة عملي حاجة مش مقتنعة بيها، عادي هتكلم وتناقش في الموضوع."

"ولو ماوصلناش لحل؟"

"يا ستي نبقي نشوف وقتها، بس اللي أكيد إني مش هغصبك على حاجة مش عايزاها ومش مقتنعة بيها."

أرادت (مايا) أن تصدقه، كان بصوته شيء حثها أن تصدّقه وتصدّق وعده لها، خافت، من المؤكد خافت أن تصدقه وتعطيه تلك الثقة والعشم، ولكنها لم تكن تريد أن تتركه، علمت ذلك على الأقل، وإن لم تكن تنوي تركه فعلى الأقل تستطيع أن تريح بالها وتثق أنه سيّقي وعده لها.

"إيه تاني قَالِكْ؟"

"متوترة بس يا علي." تقلّبت مجددًا في سريرها. "هبقي كويسة لما بُكرة يخلص ويعدّي على خير."

"طب حابة نأجله شوية؟"

سمعت (مايا) خيبة الأمل في صوته ولم تستطع تحملها. "لأ خالص، ده أنا جِبت الفستان الخلاص وظبطت الدنيا."

"عشان بس لو مش متأكدة إنك عايزة..."

حسنًا، ماذا تفعل الآن؟ هل تقول له أنها فعلاً ليست متأكدة؟ وتحمل العواقب التي قد تسفر عن ذلك؟ أم تطمئنهُ وتكمل في هذا الطريق حتى تتضح الرؤية، وإن تغير قلبها ومرادها لاحقًا تغير رأيها وتنهي كل شيء؟ هل ستستطيع تحمل جرحه هكذا؟ أم لن يفرق معها لأنها ستكون قد تأكّدت أنها لا تريده؟

السؤال الأهم، هل كانت تستطيع تحمّل فراقه الآن؟

وضحت إجابة تلك السؤال وضوح الشمس. "لأ يا علي." ردت (مايا) وقلها
يرتعش. "أنا متأكدة."
تنفس (علي) الصعداء وصدرت منه ضحكة مرتعشة. "يبقى هشوفك بكرة يا
حبيبي."

في الساعة الثامنة صباحًا... جلست (نادين) في شرفتها تحتسي فنجان قهوة وتدخن سيجارة الصباح، لديها اليوم ميعاد آخر مع (لبنى) و(عاصم)، وأرادت أن تحضر نفسها لتلك المقابلة وكل المقابلات الأخرى حتى يوم الفرح. اقشعر جسدنا عندما تذكّرت نظرتها لها في تلك المقابلة بعد كل تلك السنوات، كيف لمعت عيناه شرَاهةً وشهوةً.

تذكّرت رؤية تلك اللمعة منذ ما يقرب العِقدَيْن، لمعةٌ لم تفهمها بعد وهي ما زالت ابنة الثمانية أعوام. كان هو في الثالثة عشر من عمره، في مقتبل الشباب والرجولة، رجولةٌ لم يصل لها حتى الآن. تذكّرت لمساته التي لم تفهمها في سنّها، وبكاؤها كل يومٍ في المساء في سريرها التي لم تستطع شرحه لعمتها ولا لنفسها، في هذا السن لم تكن تفهم معنى الحزن ولا سببه، فقط فهمت الخوف من (عاصم).. كيف كان يهددها بتدمير ألعابها، ثم لاحقًا بالأذى إذا رفضته أو أفشت سرّه لأحد، وكانت شقة عمتها واسعة، وغرفتها بعيدة عن غرفة (نادين)، فلم تكن تعلم بها كان يحدث في تلك الغرفة.

تذكّرت عندما بدأ جسدنا أن يتغير، وتبدو عليها معالم الأنوثة، وكيف زادت زيارته لها في غرفتها بعد ذهاب عمتها للنوم، أو حين كانت تذهب عمتها للعمل، أو تركهما وحدهما في الشقة أثناء عطلات نهاية الأسبوع وعطلة الصيف، تذكّرت أول يوم تعدّى فيه (عاصم) آخر حدّ، وارتعشت يداها وهي ترفع السيجارة لغمها.

في عطلة صيفية منذ عشرين سنة.. كانت (نادين) قد أتمت السادسة عشر، وكان (عاصم) في رحلة قد نظمتها جامعته لمدة أسبوع، تمتعت (نادين) بحرية كانت قد نسيتهما منذ أن جاءت لبيت عمتها، وكانت بالشقة وحدها ذلك اليوم، كان الجو حارًا

جدًا؛ فارتدت (نادين) قميص نوم قصير كانت قد اشترته خصيصًا عندما علمت بسفر (عاصم)؛ حتى ترتديه ذلك الأسبوع ثم تخفيه قبل أن يراه ويطلب منها أن ترتديه له، شغلت (نادين) الموسيقى بصوت عالٍ وشرعت ترقص في أرجاء الشقة الخالية، تستمتع بحريتها قبل أن ترجع عمتها من العمل اليوم ويرجع (عاصم) غدًا. لم تسمع (نادين) باب الشقة وهو يُفتح، ولم تشعر بـ(عاصم) وهو يتسلل خلفها، لم تشعر به حتى لفّ ذراعه حول خصرها وكتف صرختها بيده الأخرى، أخفض رأسه وهمس بأذنها، ورأت (نادين) انعكاس صورتها في مرآة الصالة؛ هو بابتسامة قبيحة على ملامحه الملائكية الشقراء، وهي بشعرها الأسود الطويل وجسد أبيض لم يغطه قميص النوم بما يكفي.

"وده مأتكسليش ليه قبل كده؟ بتتقلي عليا؟!"

رأت (نادين) في انعكاسها عينيه اللامعة، وعينيها الميتة التي لم يظهر فيها أية مشاعر منذ سبع سنوات، شاهدت يده التي كانت تكتم فمها تركه وتتبع مسارًا خلف إثره نارًا تاكل بها، وغثيائنًا ما زال ينبض ببطنها، جرّها (عاصم) لغرفتها بقبضة على ذراعها علمت أنها ستترك كدمة سيجبرها على إخفاءها، أقفل الباب وراءها وانتفض جسم (نادين) من صوته.

وقفت أمامه ساكنة لا تتحرك، فلم يعد يوجد فائدة من الصراع، كانت تعلم من الأفلام وكلام الناس أن ما يفعله بها (عاصم) جريمة! ولكن كيف لها أن تحارب شيئًا قد اعتادته منذ الصغر؟! وما الفائدة؟! من سيأويها إن تركتهم؟ من سيصدّقها؟! عمها الذي لم تره منذ سنوات؟! أم أهل أمها التي لم تسمع عنهم شيئًا منذ عزاء أهلها؟ لا فائدة من المقاومة، هذه كانت حياتها الآن.. لن يتركها (عاصم) تتزوج وتمنأ بحياة جيدة.

لم تبتك عندما أمسك بحمالات قميص النوم الرفيعة وشدها حتى انقطعت، لم تبتك عندما أزاحه عن جسدها ووقف يتفقدده، لم تبتك عندما قادها لسريرها وانضم لها عليه، لم ترجف عينها عندما سمعت صوت مشبك حزامه يرتطم بالأرض، فقط عندما تخطى (عاصم) حدًا لم يكن قد تخطاه من قبل، وأخذ منها غضبًا ما لم يأخذه من قبل، وشعرت بألم حاد يفلق جسمها وروحها نصفين لن يلتتما أبدًا، صدرَ منها أنينٌ ضعيف.

"انتي بتاعتي يا(نادين). " زججر(عاصم) في أذنيها وهو يلهث كالذئب حين يلتهم فريسته. " من النهاردة خلاص انتي بتاعتي، مابقاش ينفع تبقي لحد تاني، محدش هيرضى بيكي."

ظلت (نادين) صامتة، مبحلة بالسقف، تحاول بكل استطاعتها أن تطفئ حواسها ومخها، ظلت صامتة بعد أن انتهى (عاصم) من استباحة جسدها كاملاً، وسقط عليها يلهث ويحاول التقاط أنفاسه. "انتي بتاعتي يا(نادين)."
لم يفرق كثيرًا؛ فمنذ متى وكانت (نادين)(ملك)نفسها؟

"علي!"

التفت (علي) وهو يُحكّم قفل ساعته ليرى والده يقف عند باب غرفته المفتوح، يرتدي البدلة الرمادية التي اشتراها البارحة، وتحته قميص أبيض جديد، قد قرأ أن يذهب دون ارتداء كرافات حتى لا يكون الأمر رسمياً للغاية، وارتدى(علي)بدلة كحلي داكن وقميص أبيض اشتراها البارحة، ابتسم له (علي)، "إيه الشياكة دي بس؟! مين فينا العريس؟"

ضحك أبوه وشد أكمام القميص والبدلة. "مش كنت تخليني أدفع تمن بدلتي أنا ع الأقل؟ يابني انت داخل على مصاريف وماينفّعش تقعد تبتّر فلوسك كده. "

"لما أجيلك حاجة ماتبقاش بعتره فلوس. "رّش (علي) على عنقه من زجاجة العطر المفضلة لـ(مايا)، وتفقد نفسه في المرأة. "وكان يعني دول حاجة بسيطة. "

"المفروض أنا اللي أجيلك البدلة، مش انت اللي تجهيالي. "خطا نحوه أبوه حتى وقف أمامه وعدّل من ياقة (علي). "كفاية إني مش هعرف أرفع راسك قدامهم وأساعدك في الجوازة دي. "

انعقد جبين (علي) واعتصر قلبه على نظرة الخزي التي رآها في عين أبيه. "انت على طول رافع راسي، وانت ساعدتني فوق ما تتخيل. "

نظر له أبوه وابتسم ابتسامة صغيرة. "ساعدتك ازاي؟! ده انت اللي بتصرف علينا دلوقتي. "

"ومين اللي صرف عليا وكبّرني وعلمني عشان أوصل للشغلانة اللي أنا فيها دلوقتي؟"

اتسعت ابتسامة أبيه وربّت على خده. "كان نفسي أمك تبقى موجودة معنا دلوقتي وتشوف ابنها عريس. "

دمعت عينا (علي) وأوما برأسه. "كانت هتحب(مايا). "

"وكانت هترنك علقه لما دخلتها البيت. "ضحك أبوه. "متأكد منها يا علي؟"

على مدار السبعة شهور الماضية كان (علي) قد سأل نفسه هذا السؤال مرات لا تُعد ولا تُحصى، عادة لم يلاحظ (علي) بناتاً مثلها، ولم يُعِرهم الاهتمام الذي كانت مهمتهم حصده، ولكن رآقت له صراحة (مايا) منذ أول لقاء لها، عندما تركت كل الناس وجاءت لتجلس بجانبه، غير آبهة بما قد يُجول في رأسه من حَكَم عليها، كانت عفوية وخفيفة الظل وتعرف كيف تستمتع بوقتها، آدمَنَ (علي) ضحكها، ووجد

نفسه يحاول أن يضحكها كثيرًا فقط ليسمعها، راوده إحساس أن بها عمق لم يره أحدٌ من قبل، جوانب لا تُظهِرُها للآخرين، وجوانب أخرى لا تُظهِرُها حتى لنفسها! لم تتحدث كثيرًا عن طلاق أهلها، ولا عن علاقتها بها، وغيّرت الموضوع كلما حاول (علي) التطرّق له.

ولكنها كانت أكثر من مجرد لغز يريد حلّه لإشباع فضوله، لم تكن تلك غايته الوحيدة من قضاء الوقت معها، أحبّها (علي).. أحبّ طبيعتها التي حاولت إخفاءها، وعفويتها وبراءتها، ولم يكن المقصود هنا براءة علاقاتها السابقة، بل براءة معرفتها بالعالم خارج حدود الفقاعة التي أمّضت حياتها بها، أحبّ أنه كان يُعرّفها على أشياء جديدة، وحاول أن يركّز عليها أكثر من الأشياء التي كانت قد جرّبتها من قبل مع غيره.

لم يكن مكأنه أن يحكم عليها، ليس أباهما ولا ربّها حتى يفعل ذلك، يخصه فقط إخلاصها له منذ أن قابلته، أما ما قبل ذلك فلا يعنيه.

كان متأكدًا من رغبته في قضاء حياته معها، وكان يريد أن ينقّب ليكتشف الجوانب المخفية. "متأكد." "أوما برأسه." "عايزها."

"أهلها احتمال كبير جدًا يعقدّوا الموضوع." "رمقه أبوه بنظرة جادة." "عايزك تبقى داخل متوقّع أي حاجة، يقلّلوا منّا.. يعجزوك، أي حاجة، البنّت تستاهل إنك تتعب عشانها وتتمسك بيها ولا لأ؟"

"يا بابا أيوة بحبه-"

"مش قصدي بتحبها ولا لأ." "قاطعها أبوه." "قصدي هتستحمل عشانها وتبقى قَدّ كلمتك ولا هتيجي بعد كده تقول مش قادر؟ وهي تستاهل إنك تعمل ده عشانها؟

بتحبك وتمسكة بيك زيّ ما انت بتحبها؟"

هنا سكت (علي)، لم تكن قد قالت له من قبل أنها تحبه، فقط تردّد وراءه "أنا كمان" وتسكت، ولاحظ أنها كانت تتفادى تلك اللحظات التي قد تؤدّي إلى قوله تلك الكلمة، ولكنه رأى في عينيها المشاعر التي لم تَرَضْ أن تفتح عنها، وكان يأمل أن يتغيّر هذا مع الوقت، سيُثبِت لها (علي) أنه يحبها و متمسكٌ بها، وستعود أن تثق به شيئاً فشيئاً.

"آه يا بابا." أفعم (علي) صوته بالثقة والثبات حتى يقتنع أبوه. "هستحمل.. وهي تستاهل."

ابتسم أبوه وزفر (علي) النَّفَسَ الذي قد كتّمه. "يبقى تعالى نروح نخطبها لك."

جلست (نادين) في أحد المطاعم واحتست من كوب ماءٍ أمامها، كلما شعرت بأي شخص يمر بجانبها أقشعرّ جسدها وتجمدت حتى تطمئن أنه ليس (عاصم)! تسارعت نبضات قلبها كلما اقترب موعدهم، ودخنت خمس سيجارات في نصف ساعة، حاولت أن تركز مع موسيقى البيانو التي كانت تلعب في الخلفية، وحاوكت أن تسترخي وتهدي من توترها حتى تستطيع أن تبدو طبيعية عندما تصل (لبنى)، وحتى تستطيع أن تركز في عملها.

انتفضت (نادين) حين شعرت بيد تقع على كتفها.

"هاي."

رفعت (نادين) نظرها ووجدت (لبنى) تقف بجانبها ووراءها عاصم، يدها ممتدة تجاهها. "أنا آسفة.. خضيتك، عاملة إيه؟"

التقطت (نادين) نفسها.. "لا ولا يهكم، أنا كنت سرحانة بس."

"على طول بتيجي بدري كده!" جلست (لبنى) أمامها بعدما شدّ (عاصم) الكرسي لها، وجلس بجانبها. "مخلّية منظرنا وحش."
ابتسمت لها (نادين) وشغلّت نفسها في إخراج الـ(آي باد) من حقيبتها وفتح صفحة ملحوظاتهم. "بحب مواعيدي تبقى مطبوعة."
"ما احنا سمعنا عنك كده برضه." ردّ عليها (عاصم)، وتمكّنت من التحكم في تعابير وجهها.

"قولنا لازم نجرّبك."

شعرت (نادين) بالغثيان، وارتشفت من كوب الماء لتهدئة نفسها. "أتمنى أكون عند حسن ظنكوا."

ابتسم (عاصم) تلك الابتسامة التي ظلّت تطاردها في أحلامها لمدة سنين. "أنا متأكد إنك هتسعديننا قوي."

"آه، معلش قبل ما نبدأ.." وقفت (لبنى) وأمسكت بحقيبتها. "هستأذنكوا بس أروح الـtoilet بسرعة، مش هتاخر."

انقبض قلب (نادين) وهمت أن تقوم هي الأخرى،

"خليني آجي معاكي.."

"لا، معلش." قاطعها (عاصم). "عشان بس مستعجلين؛ فنبدأ أنا وانتي لحد ما(لبنى)ترجع."

"مش هتاخر." ابتسمت لها (لبنى)، ثم تركت (نادين) بمفردها مع (عاصم) لأول مرة منذ سبعة عشر عامًا.

"أنا المفروض أبقي بقولك على مفاجئة تُظبطيها في الفرحة." أخرج (عاصم) من ستره بدلته سجائر وولاعة، وضع سيجارة بين شفتيه وأشعلها. "أبقي فكّريلها في أي حاجة."

"أنا بنفَذ اللي العميل عايَزه ويس." قالتها بصوت من حديد. "مش بعمل حاجات من دماغِي."

"ماشي، أبقي رُشِّي في القاعة ع الأرض ورد ولاً حاجة." أشاح بيديه غير مبالٍ، ثم جلس يتفقدُها. "كبرتي واحلوِّيتي يا(نادين)." اقشعر جسدها ورمقته بنظرة كلها برود. "كبرت ولسه مُقرِف زي ما انت يا عاصم."

ضحك وهز رأسه. "لسه شايلة في قلبك؟ يا(نادين) كُتَّا عيال وبنلعب." سلَبت لا مبالاته الكلمات منها، وشعرت بحرارة تنبثق في جسدها. "بنلعب؟! انت اتحرَّشت بيَّا، واغتصبتني."

"لأ." رفع يده ووجه كفه لها. "انتي ماقولتيش لأ عشان أبقي عملت كده، يمكن كُنت بطلب منك ماتقوليش لحد، عشان أمي ماكانتش هستفهم اللي بيننا، ويمكن عشان كتتي صغيرة ومش فاهمة، كان لازم أخوِّفك شوية عشان ماتقوليش، بس انتي عمرك قولتي لأ وأنا غصبتك؟"

"أنا قولت لأ." بدأ ينقبض نفسُها. "أنا في الأول فضِلت أقوِّلك لأ وأترجَّاك تبطل اللي بتعمله، وانت ماكتتش بتبطل."

"يا(نادين)!" نظر إليها كأنها طفلة غيبية، ودمعت عيناها سخطاً. "اغْقِلي اللي بتقوليه، عايزاني آخذ بكلام عيِّلة عندها 8 سنين؟!"

"و ليه تعمل كده في عيِّلة أصلاً؟" حاولت أن تجفِّف عينيها. "عشان انت مريض يا عاصم، مريض ومرضك ده مكمل معاك لحد دلوقتي."

"آه، شكلك بقى بقيتي من بتوع حقوق المرأة دول." أشاح بيده ثانية. "الرجالة الطبيعية اللي زي الفل بقُوا مرَّضى، الخمس سنين فَرَق اللي بيننا هما اللي عامِلينلك أزمة؟! ما كل العيال بيعملوا كده، مش أنا بس."

هزّت رأسها (نادين). "انت عندك مشاكل".
هزّ هو كتفه وأخذ نفساً عميقاً من سيجارته، ثم ابتسم ابتسامته المريضة. "بس
لسّه زي الفل، أوزي ما بتقولي.. لسه مرّضي مكمل معايا."
اhtاج غضبها. "انت عملت حاجة في لبني؟!"
"لبني دي بنت شريكي في الشغل، يعني الليلة دي كلها منظر بس، بس مرّيبها
برضه."
"ابعد عنها." لن تستطيع أن تتحمّل حتى الفرح.. لن تتحمل رؤيته مجدداً.
"خد قرفك ده وابعدها."
"لا، اتطمّني." رفع عينيه لمكان ما وراءها ورتب تعابير وجهه لتبدو طبيعية.
"هي مش هتأذي، الشغل شغل."
"اناخرت عليكوا، معلش." رجعت (لبنى) وجلست بجانب (عاصم). "كان
زحمة شوية بس، فاتني إيه؟"
"لا مَفِيش، اتفقت مع أستاذة(نادين) على حاجة كده." رمقها بنظرة كانت قد
رأتها من قبل عدة مرات عندما كان يريد أن يُحرّسها أمام أمه. "قولتي لي بتحيّي الورد
البلدي يا قلبي؟"

جلست (ملك) في صالون بيت (هاشم) وحاولت ألا تهز رجلها توتراً، جلس
(كريم) بجانبها يقرأ كتاباً على موبايله، وسارت (مايا) سريعاً أمامها ذهاباً وإياباً،
كانت (ملك) ترتدي سترة بيضاء فوق بلوزة من الساتان لونها ورديّ فاتح، وبنطلون
بنيّ فاتح، كانت (مايا) قد صقّفت شعرها وجعلته موجّاً، وجمعت خلف رأسها ببعض

الدبابيس وتركته ينسدل على ظهرها، ظلّت تتفقد موبايلها كل بضعة ثوان، وبدا عليها التوتر الشديد.

"مايا!" تحدّثت (ملك) عندما نفذ صبرها. "بطلّي توتر وتعالى اقعدى".
"بابا فين؟" وقفت (مايا) مكانها ونظرت لـ(ملك) وقد لمعت عينها قلقًا. "هو ليه مانزلش لحد دلوقتي؟(علي) قاليّ من دقيقتين إنهم دخلوا الكومباوند خلاص."
"تلاقيه بس معاه تليفون شغل." أو قاعد بيتمرقع فوق وبيتقل وهيتدي يقلل من الناس من قبل ما يقابلوه.

"هبعّت أمل تناديه."

همت (مايا) أن تردّ، ولكن في تلك اللحظة رنّ جرس الباب وفزعت، نظرت لـ(ملك) بعينين مفزوعتين.

"ماما!"

"تعالى." ربّت (ملك) على المكان الفارغ بجانبها، وابتسمت لـ(مايا) حتى تهدّئها. "حببتي، فيه إيه؟ ما أنا قابلت(علي)وعارفاه والولد زي الفل، أبوكي بيتمثالك الرضا ترضي، مش هيسخّف إن شاء الله."

جلست (مايا) بجانبها وأمسكت يدها. "أنا مرعوبة قوي يا ماما." أدارت وجهها تجاه باب الفيلا الذي قد فتحته (أمل).. خادمة (هاشم).

سمعت (ملك) صوت (علي)، وشدّدت (مايا) قبضتها على يد (ملك)، نظرت لها وعيناها كلها رجاء. "أرجوكي ماتخلّيش بابا يرفض، والنبى اقفي جنبى."

"حببتي..." وقفت (ملك) لتستقبل (علي) وأباه اللذين سمعت خطوهم تقترب. "مفّيش حاجة هتحصل." استدارت وعلى وجهها ابتسامة ترحيب لـ(علي) وأبيه اللذين دخلا الصالون. "أهلاً وسهلاً."

تجمّد النَّفْسُ في حلقتها، توقّف قلبها في منتصف نبضته، واندرثر من حولها (مايا) و(كريم) و(علي) وصالون (هاشم)، وتبخّرت السنين سنة وراء سنة حتى رجعت (ملك) شابة جامعية في بداية العشرينات من عمرها، تنظر بعينيّ شاب يكبرها بعام، يحدّق بها وينعكس بعينه الذهول وعدم التصديق ذاتها في عينيّ (ملك)، عينين سوداوتين كانت قد أمضت عمراً فوق عمرٍ تفكر فيها وتذكرهما، عينين بقدرتهما سلب أفكارها وروحها وكيانها حتى تصبح لا شيء، عينين قد يأسّت (ملك) رؤيتهما مجدداً.

"أهلاً وسهلاً، معلى اتأخرت عليكوا."
ثم وصل (هاشم)، وتفتّتت كبسولة الزمن.

ارتعشت رَجُلًا (ملك) وخفق قلبها بشدة، قفز نظرها بين (يوسف) و(هاشم) وهزت رأسها، لم تستطع أن تستوعب الموقف؛ (يوسف)! بعد كل تلك السنوات؟! (يوسف)! بدأت تلاحظ تفاصيلًا لم تكن قد رأتها من صدمتها الأولية؛ وجهه الذي قد ظهرت عليه التجاعيد منذ آخر مرة رأته، ولحيته الشائبة (مازال يحلِّق شعره تمامًا، ولكنها كانت متأكدة أن الشيب قد أصابه أيضًا).

أما (هاشم) على الوجه الآخر، كان قد زاد وزنه قليلاً على مرّ السنين، وتحوّل شعره البنيّ الناعم الذي أسرّ قلب فتيات المنطقة والجامعة منذ سبعة وعشرين عامًا مضوا، إلى شعر يتخلّله الفضيّ ما زال يأسر قلوب الفتيات، هو وثروة صاحبه. وقف (هاشم) بجانب (يوسف) في بدلة قيمتها تتعدّى البضعة آلاف جنيهات، ويده ساعة روليكس اشتراها بدلًا من دفع مصاريف مدرسة (كريم) السنة الماضية.

تغيّرت الكثير من ملامح (يوسف) و(هاشم) عبر السنين، ولكن ظلّت المقارنة بينهما كما هي.

لم يستطع (يوسف) أن يشيخ نظره عنها، وقفز قلبها في صدرها من نظرتنه، مثلما كان يفعل قديمًا، مع اختلاف طبيعة تلك النظرة، لم تكن نظرة بها عشق وولّة، بل نظرة كلها دهشة وصدمة، أما (هاشم) فكان قد تحكّم في صدمته واجتازها، وكانت عيناه كلها تدبّر وتفكير وحسب.

"بابا!" قطع (علي) الصمتَ أخيرًا. "هو فيه إيه؟"

هز (يوسف) رأسه كأنه يريد أن يفيق من حلم ما، لم يرّد على ابنه، ولكنه رجع ينظر لـ(ملك) نظرة كلها تساؤل. "ملك؟! (مايا) تبقى بتك اتتي و... صوب نظره بهاشم وامتلات عينيه بكره قديم وسخط. "هاشم؟!"

ابتسم له (هاشم) ابتسامة باردة. "إيه يا (يوسف)؟ ما عرفتش تاخذ الست فسَلَطْتُ ابنك على بنتها؟"

انقبض قلب (ملك)، ولكن هَزَّ (يوسف) رأسه وقد وسَعَت عيناه. "أنا ما كتتش أعرف.. ما كتتش أعرف إنها بنتكوا، لو كنت أعرف كنت..."

"هو فيه إيه؟! إيه اللي بيحصل؟!!" نظرت (مايا) بين (ملك) و(هاشم) و(يوسف). "انتوا تعرفوا بعض؟"

ضحك (هاشم). "أعز المعرفة." مدَّ ذراعه تجاه (مايا). "مايا، (كريم)، تعالوا يا حبابي سلّموا على إكس أمكوا، (مايا).. سلّمِي على أبو صاحبك اللي كان مصاحب أمك زمان أيام الجامعة."

حل الصمت مرة أخرى، وشعرت (ملك) بحرارة تنبعث من وجهها حين صُوبت كل الأعين عليها، غمرها الحِزْبي حتى أرادت أن تختفي، كانت قد سلّمت من شرّ (هاشم) وتهديده لها كل تلك السنوات، وتحملت منه الكثير، فقط ليأتي اليوم الذي تنفض فيه أمام الكل.

لم تستطع رجّلاها أن تحملها أكثر من ذلك، ووقعت (ملك) جالسة على الكنبه ورائها، لم تغفل عن جسد (يوسف) الذي انتفض تجاهها عندما وقعت، وكأنه ردّ فعليّ عكبيّ لم تنسّه عضلاته وخلاياه، لم يغفل الآخرون عن ذلك، ونظر إليه (هاشم) بازدراء. "لسه زي ما انت."

صوّب (يوسف) نظره إليه ولمعت عيناه غضبًا. "وانت لسه زي ما انت يا هاشم."

"معلش ثانية واحدة." رفعت (مايا) صوتها ووقفت وسطهم. "يعني ماما كانت مصاحبة بابا علي؟"

"بالظبط يا قلبي." رد (هاشم).

"بابا(علي)اللي جاي النهاردة مع(علي)عشان يطلبوني؟" هزّت (مايا) رأسها ووضعت كفها على جبينها. "ده مش بيحصل..."

"مايا!" تحرك (علي) تجاهها، ورفع يده ليضعها عليها، ولكن تذكّر وجود (ملك) و(هاشم)، وأنزل يده بجانبه. "اهدي بس عشان نفهم."

"أهدى إيه؟! "صاحت (مايا). "أهدى إيه وأنا حياتي بتدّمّر دلوقتي عشان أمي كانت ماشية مع أبوك زمان؟!"

"مايا!" صاح بها (كريم)، بينما أغمضت (ملك) عينها وأخفّضت رأسها خزيًا. "احترمي نفسك!"

"وهي أختك قالت إيه غلط؟! "هزّ (هاشم) كتفيه. "ما هي كانت ماشية معاه فعلاً."

"يا بابا ما تقول حاجة." ترجّى (علي) من أبيه. "انت ساكت ليه؟" رفعت (ملك) عينها لـ(يوسف)، وبادها بنظرة كلها أسف وخزي، لم يوجد ما يقال، عرفت هي وهو ذلك، كما عرف (هاشم)، الذي ابتسم مرة أخرى:
"ما تتكلم يا(يوسف).. ساكت ليه؟ ماتدافع عنها وتقولهم إنك ما مُشش معاه؟"

أشاح (يوسف) بنظره عنها وتجاهل (هاشم). "علي، يلا نمشي يابني."
"تمشوا فين؟! "ارتعش صوت (مايا) وكُسر قلب (ملك)، أمسكت (مايا) بذراع (علي) وعيناها مليئة بالدموع. "علي.. هتمشي؟!"

نظر (علي) لأبيه وعلى وجهه عذاب وصراع، ظل ساكتًا برهة، ثم نظر لـ(مايا).
"مايا، محتاجين نمشي وأفهم من بابا كل حاجة، بس أنا مش هسيبك.. هنلاقي حل، ماشي؟ ده وعد مني.. ماتخافيش."

"علي!" انهمرت دموعها، وتألمت (ملك) لِمَا سمعته في صوت ابتتها، وبدأت دموعها بالسيل هي الأخرى.

"مايا، اهدي." تجاهل (علي) الجميع وأمسك بيدها. "كل حاجة هتبقى كويسة، اهدي بس وهتصرف."

ترك (علي) يدها وخطا نحو أبيه. "يلاً يا بابا."

صوّب (يوسف) عينيه تجاه (ملك) مرة أخرى، ورأت بهما أسفًا يشبه ما رأته بهما في آخر مقابلة بينهما، ثم استدار وأعطاهما ظهره، وللمرة الثانية في حياتها.. تركها (يوسف) ومشى.

حلّ الصمت في سيارة (علي)، كتم حزنه وسخطه تجاه العالم والقدر حتى تمكّن الألم من صدره، وكان يشهق حتى يملأ النفس رثيته، خرجا من الكومباوند هو وأبوه، وظلّ ساكناً حتى كانا قد ابتعدا عن الكومباوند وقُتات قلبه المحطّم الذي خلّفه هناك. "انت عمرك ما قولتلي إنك كنت تعرف حد قبل ماما."

لم يردّ عليه أبوه، ظلّ محدّقاً من نافذة السيارة، عيناه سارحة في ماضي قد استيقظ من جديد وامتزج بحاضره.

"طب ليه مادافعتش عنها لما أبو(مايا) اتكلم عنها كأنكوا كتتوا بتعملوا حاجة غلط؟" شدّد (علي) قبضته على عجلة القيادة حتى ابيضّت مفاصل أصابعه. "ما ترد عليا يا بابا."

"مش عايز أتكلم في الموضوع!" صاح به (أبوه). "مش عايز أفكر!"

فقد (علي) تحكّمه بغضبه. "لا ما أنا مش هسيب حياتي تدمّر وأخسر اللي بحبها عشان مالكش نفس تتكلم! أنا مش هшил ذنب غلطتك اللي غلطتها معاها زمان!"

"اخرس يا علي!" علا صوت أبيه. "ملك دي أشرف من الشرف! الراجل ده أقدر واحد أنا شوفته في حياتي."

"طب ما دافعتش عنها ليه؟" دمعت عينا (علي). "أنا أخسرها ليه دلوقتي؟ مش فاهم!"

"واحد زي ده عمره ما هيحط إيدته في إيدي." هز أبوه رأسه. "عمرها ما هتحصل، أنا آسف يا علي، بس مَفِيش نصيب."

"هو إيه اللي مَفِيش نصيب؟! " صرخ (علي)، وأوقف السيارة على جانب الطريق. "أنا مش هسيبها! أنا مش هسيب البنت دي، اخبطوا راسكوا كلكوا في الحيط أنا مش هسيبها."

"هتسأها." نظر أبوه خارج النافذة مجدداً. "كلنا بنسى."

"انت مانسئش." بكى (علي). "طول عمري بشوفك بتسرح ساعات، وكنت حاسس إن فيه حاجة انت مخبيها عليا، ولما كنت بسأل ماما كانت بتقولِي مَفِيش حاجة، بس ماما طول عمرها ببيان عليها وهي بتكذب، انت عمرك ما نسيتها وده بان قوي النهاردة."

"مش آخر الدنيا."

"انت بارد ليه؟" صاح به (علي) والدموع تنهمر من عينيه. "يمكن هي ماكانتتش فارقة معاك، بس أنا بحب(مايا)!"

عبس وجه أبيه ألماً، ولكنه هز رأسه. "الحياة هتمشي، هتقابل واحدة تانية مناسبة ليك أكثر وھتتجوزها وھتعيش حياة كويسة."

"هو انت الحاجة لو ماجأتلاكش سهلة خلاص كده؟" مسح (علي) وجهه. "يعني أنا يا أتجوز واحدة من مستوايا وتقبل بظروفي زي ما هي يا بلاش؟! بلاش أعوز أي حاجة ممكن أتعب فيها؟ بلاش يا(علي)تحش هندسة، هتتعب فيها، خش

تجارة، بلاش يا(علي)الشغل اللي في شركة كبيرة وخليك في المصري متطلباته سهلة، بلاش يا(علي)البت اللي بتحبها وهتفحّت في الصخر عشانها، خُد واحدة من شارعك." هز رأسه. "طول عمرك مش عايزني أتعب!"

"مش عايزك تمر باللي أنا مریت بيه!" تحدّث أبوه بصوت خافت مكسور، واجتاح (علي) الشعور بالذنب. "بخاف عليك تفشّل في حاجة وتجبّط."

"مش أحسن من لما أعيش حياتي كلها بفكر في إيه اللي كان ممكن يحصل لو كنت حاولت؟"

هز أبوه رأسه. "ولما تبقى متأكد إنك هتفشل تكمل برضه؟! ولما يبقى فيه حد تاني هيتأذي.. هتكمل برضه؟! ومش مهم بقى إيه اللي يحصل بعد كده فيك وفي غيرك؟ ولا تمشي وتكتفي بخسارة واحدة؟"

"وليه انت متأكد إني هفشل؟" كره (علي) أنه كان يرى ضعف أبيه لأول مرة الآن، كره أنه كان يرى مدى انهزامية أبيه وسليته، تحطّمت صورة أبيه أمام عينيه، أبيه الذي لطالما كان بطلاً بعيني (علي)، صار رجلاً مثل كمّ من الرجال قابلهم (علي) يومياً وتعهد ألا يكون مثلهم.

من أصعب اللحظات التي تمر على الأبناء اكتشافهم أن أهاليهم ليس بهم من الألوهية كما كانوا يعتقدون! ولكنهم بنو آدم مثلهم مثل باقي البشرية. "أنا عمري ما فشلت في حاجة." توقفت الدموع، ونبض ألم ضعيف في صدره، شكّ في زواله حتى يتخطى تلك المحنة ويتزوج (مايا). "كل الحاجات اللي كنت فاكرني هفشل فيها.. حاولت ونجحت."

"ده مش امتحان هتذاكره ولا مقابلة شغل هتلبس لها عِدِل وتخضّر لها كلمتين." تنهد أبوه. "ده واحد مستخلفي من أيام الجامعة وماسأش حاجة غير وأذاني فيها، مش هيجوزك بنته."

"انت عملت إيه عشان يكرهك؟"

"عَلِمِي علمك يابني!"

نزل (كريم) من أعلى الدرج، ووقفت (ملك) وذهبت له. "مايا عاملة إيه دلوقتي؟"

هز (كريم) رأسه. "بتعيط لسه بس هدبت شوية، عايزة تقعد لوحدها." تنهد ونظر لأبيه الذي كان يجلس في الصالون يدخن سيجارًا. "كان لازم اللي عملته ده؟" أشاح (هاشم) بيده مستهزئًا. "بس يلا مش ناقصاك." انفجرت (ملك) في وجهه. "انت عمرك ما هتبطل أذى؟ مالها (مايا) بالموضوع؟ ليه توجع قلبها؟"

"أوجع قلبها؟! ضحك (هاشم). "هو أنا اللي كنت مشيت مع أبو صاحبها زمان؟ ولا عايزاني أنا سب العيل الجربوع ده اللي أكيد ابنه طالعله؟" "يوسف عمره ما كان جربوع!" رن صوتها كالرعد في أرجاء الفيلا. "انت اللي طول عمرك غيران منه، انت اللي طول عمر...."

"ملك!" صاح بها (هاشم) وبرقت عيناه غضبًا. "انت نسييتي نفسك؟! ولا تحبي أفكرك وأعرف عيالك اللي أنا ساتر عليه؟" خرس (ملك)، وارتعش جسدها مما كتتمته من كره ومقت وغضب تجاه (هاشم). "أنا بكرهك."

التوت شفتا (هاشم) في ابتسامة قبيحة. "من امتي ده كان فارق معايا؟" "يلا يا ماما." وضع (كريم) يده على ظهرها. "يلا ومايا هتجيلنا بكرّة." "مش عايزة أسيبها هنا."

"إيه؟! هعمل حاجة في بنتي كمان؟! "أخذ (هاشم) نفسًا من سيجاره. "ده دي اللي طلعت بيها من الدنيا، مش العيّل البايظ اللي جيبتهولي ده. "

عبس وجه (كريم) ألمًا ولكنه لم يرد، فقط ربت على ظهر (ملك). "يلا يا ماما، (مايا) هتبقى كويسة هنا، يلا. "

نظرت (ملك) لـ(هاشم) مرة أخيرة قبل أن تذهب. "عمرك ما هتبقى زيه يا هاشم. "

ثم أمسكت بذراع (كريم) وتركا الفيلا.

جلس (يوسف) في سريره تلك الليلة، سارحًا في ماضي تظاهر بنسيانه أمام الجميع، ولكنه سكن (يوسف) وسكنَ عقله، حتى بات لا يفكر به كماضي؛ فهو لم يتركه وراءه يومًا، وحملهُ على عاتقه لمدة ربع قرن، كان قد احتفظ بصورة (ملك) بذهنه كما كانت آخر مرة رآها، ولم يحاول أن يتخيل شكلها وتغيراته مع مرور الزمن، واليوم رآها ورجعت صورتها واضحة في ذهنه بعد أن أبهتها العمر.

تذكر أول يوم وقعت عيناه عليها منذ ما يقرب الثلاثين عامًا، في عامه الثالث في الجامعة، كان في طريقه لمقابلة زملائه في كلية التجارة بكافيتريا الجامعة؛ حيث كانوا يجتمعون للمذاكرة وغيرها، كان يعدلُ من قميصه حين سمع اسمه يُنادى.

"يوسف! استنى!"

استدار ونظر خلفه، ورأى (كارولين) تُسرع من خطاها نحوه، ووراءها بنتٌ ذات شعر بنيٍّ مَوج يتخطى كوعها، ترتدي قميصًا أبيض بخطوط زرقاء وتحتة بلوزة قطنية بيضاء وجينز داكن، يعتلي أنفها نظارة شمس بنية.

"كارولين، أزيك؟"

وصلت (كارولين) وصدقتها، ولاحظت عن قرب أنفها الصغير وفمها ذا الشفتين الورديتين، شعر بوجنتيه يحرمان ونظر بعيداً.

"تمام، نشكر ربنا." ابتسمت له (كارولين). "أعرفك.. دي ملك، صاحبتني من أيام المدرسة، هتيجي تقعد معنا النهاردة لحد ما نروح عشان راجعين على بيتي مع بعض."

استدارت (كارولين) لـ(ملك)، "ده يا ستي(يوسف)، الأول ع الدفعة بقالته ستين، وسبب إني بنجح كل سنة."

ابتسم لـ(ملك) ابتسامة بسيطة. "أزيك يا ملك؟"

"تمام الحمد لله." رفعت يدها وأزاحت النظارة عن وجهها، وعند التقاء أعينها شعر (يوسف) بقلبه يخفق عدة مرات بشدة، ثم يهدأ ويبدأ، ألتوت شفتها في ابتسامة صغيرة. "وانت؟"

ظل (يوسف) سارحاً فيها بضع ثوان قبل أن يفيق ويسعل بسيطاً. "تمام الحمد لله."

"أنا قابلت باقي الشباب وقالولي مش هيجوا النهاردة." قالت (كارولين)، وعلى وجهها ابتسامة خبيثة. "حسن وراه معاد مع باباه، وسها رايحة مع مي السينما، ينفع نقعد أنا وانت نراجع كام حاجة وبعدين نمشي؟"

"آه، طبعاً." أوما برأسه وعدل من ياقة قميصه مجدداً، لم يستطع أن ينظر بعيداً عن (ملك) لفترة طويلة؛ مما حيرته كثيراً؛ لأنه لم يعتد ملاحظة الفتيات هنا في الكلية، ولم يصدر من قبل رد فعل هكذا عند مقابله لبنت لأول مرة، لم يفهم ما كان يحدث له الآن؛ اضطرب قلبه وتلعثم لسانه وتشتت أفكاره. "يلاً بينا عشان ماتأخروش."

تذكر (يوسف) كيف أمضى ساعتين يحاول أن يشرح لـ(كارولين) بضع نقاط لم تكن قد فهمتها من محاضرتهم الأخيرة، وكيف جلس يجاهد ألا ينظر لـ(ملك) وهي تذاكر من كراسها، كيف تلعثم في الشرح وسرح، وكتمت (كارولين) ضحكها، كل ذلك و(ملك) لا تبالي، مصوبة كل تركيزها على مذاكرتها، تذكر كيف وقف معها بعدها أمام بوابة الجامعة، يحاول أن يتظاهر بإيقاف تاكسي لهما حتى يقضي معها وقتاً أكثر، كيف أوقفت هي تاكسي بعد مرور نصف ساعة وتركته هو و(كارولين).

تذكر عينيها العسلتين، وابتسامتها التي أسرت قلبه منذ أول مرة قابلها، تذكر كيف مرّ اليوم وهو لا يفكر بشيء سواها، ويخطّط كيف سيستطيع أن يراها مجدداً، هل يطلب ذلك من (كارولين) ويترجّأها ألا تفصح عن سرّه؟ هل يحاول أن يقضي وقتاً أكثر ناحية كلية سياسة واقتصاد حتى يقابلها "صدفة" ويسلم عليها؟

أسند (يوسف) رأسه على ظهر سريره وترك الماضي يجتاحه، وكل مشاعره الدفينة، والمشاعر الجديدة التي أحسّ بها اليوم، كان ابنه.. ابنه الذي طفح الكيل من أجله طوال السبعة وعشرين عاماً الماضية، يجب ابنة (ملك)! التي أنجبتها من (هاشم).. سر تعاسته كلها! والآن بات هو سر تعاسة ابنه وانفطار قلبه، لفّ الزمن ودار، وكان هو سبب ألم ابنه.

لم يكن بيده شيء، لم يكسر الزمن من جبروت (هاشم)، ولم يلين قلبه، ما زال يتمسك بغلّه وحقدّه مثلما كان يفعل أيام الجامعة، ما زال يتلذذ في إيذاء الآخرين، أوّلهم (ملك) و(يوسف).

لن يرضى أن يزوّج ابنته من ابن عدوّه اللدود، الذي لطالما استحقّره. و(ملك).. هل سترضى هي أن تُناسب من حطّم قلبها منذ سبع وعشرين سنة؟ هل سترضى لابنتها ما لم ترض به أمها حينذاك؟! لم يستطع أن يتخيل أبداً أن يجلس

معها يوماً ما وهم يقرأون فاتحة (علي) و(مايا)، أو يرقص بجانبها في الفرح! كيف سيناسب كرهاً لم يخدم يوماً وحباً لم يُشَف منه حتى الآن؟
ولكن ما ذنب ابنه؟! هل سيتحمل (يوسف) رؤيته مفطور القلب كهذا؟! هل سيستطيع أن يضمن أنها لن تكون لـ(علي) بمثابة أمها عند (يوسف)؟ طيفٌ يراوده ولا يتركه أبداً! هل سيرضى أن يحيا ابنه حياةً لا يذوق بها طعم آية فرحة؟
استلقى (يوسف) في سريره، ولم تغفل له عين.

جلست (ملك) في شرفتها، وقد قاربت الساعة الواحدة صباحاً، حاولت الاتصال بـ(مايا)، ولكنها لم تردّ عليها، جلس معها الآن (كريم)، وقد أحضر لها كوب شاي بالنعناع، وأحضر لها باتيه لتأكله. "هو بابا بيكرهه بس عشان كتتي مصاحباه؟"
تنهدت (ملك) وهزت رأسها. "هو بيكرهه من قبل ما يعرف أصلاً، كانوا مع بعض في نفس الدفعة و(يوسف) كان الأول ع الدفعة، أبوك بيكره إن يبقى فيه حد أحسن منه."

"طب ما تحاولي معاه يا ماما." ربت (كريم) على ظهرها. "أنا عارف إن هيبقى صعب عليكى تتكلمي في الموضوع ده، بس انتي شوفتي (مايا) كانت عاملة آزاي."
ازداد ألم قلبها الذي لم يختف منذ أن رأت (يوسف)، ومسحت (ملك) وجهها.
"أبوك مش هيرضى، هو مش فارق معاه (مايا) ولا زعلها، أنا مقهورة عليها إني السبب في اللي هي فيه."

"انتي ماغلطيش في حاجة." قاطعها (كريم) قائلاً. "هو اللي عنده مشاكل،
حيثي واحد وماحصلش نصيب، ما كل الناس بتخش في علاقات يعني، انتي مش
أول ولا آخر حد، وأكيد وقتها ماكتيش عارفة إن كل ده هيحصل."
"كان المفروض أسأل مين أبوه." هزّت رأسها. "قبل ما هي تتعلق بيه، كان
المفروض ألحق الموضوع من أوله، وحتى لو أنا مش غلطانة إني ارتبطت أبوك هي عرف
يكرهها فياً أكثر ما هي كازهاني، ده أنا كنت ما صدقت إننا بقينا كويسين."
"انتي ماعملتيش حاجة غلط." ردّد (كريم). "لما تهدى شوية هتكلم معاها،
بس هي دلوقتي هتبقى عايزة تصب غضبها في أي حته، وهتطلعُه عليك، سيبها
تهدى وبعدين نتكلم."
"ماشي، أنا هبعد عنها دلوقتي خالص." تنهدّت (ملك) واحتست الشاي.
"ابقى كلمها على طول يا (كريم) وقوي أخبارها، وقولها إني مش عايزة أكلّمها عشان
هي تهدى وماتتعبش أكثر بوجودي."
لفّ (كريم) حولها ذراعه وحضّنها. "كل حاجة هتبقى تمام يا ماما، هنتصرف."
أرادت (ملك) أن تصدقه، ولكنها كانت تعلم أن (هاشم) لن يتزحزح عن
موقفه هذا، إلا إن وجد طريقة لإيذائها أكثر! لن يرضى أن يزوج (مايا) من ابن
خصمه؛ فلم يكن التخلي عن الضغائن من سيات (هاشم)، سيتلذذ في ذبحها أكثر،
وسيطل يهدّها ويذلّها بذلك الفيديو طالما حيّت، ذلك الفيديو الذي جعل (ملك)
تقبل بزواجه، وجعلها تتحمل بشاعته وإهائته لها كل تلك السنين.
كلما كانت تطلب (ملك) الطلاق منه كان يهدّها بها ويتوعد أن يريه لـ(كريم)
و(مايا)، وسكّنت (ملك) سنين؛ حتى ملّ منها أخيراً وتركها، واكتشف سُبلاً جديدة
يستطيع من خلالها أن يجرحها، بداية من معاملته لـ(كريم)، وعدم دفعه مصاريف
تعليمه هو و(مايا)، وعدم رضائه على مكوث (مايا) معه.

والألم الحقيقي جاء من صياغته لكل تلك الأشياء حتى يجعلها لصالحه، كانت (مايا) تصدق أنه طلق (ملك) لأنه يجبها ولا يريد أن تعيش مع رجل تكرهه؛ فأطلق سراحها، قال لـ(مايا) أنه كان يريد أن يدخلها أحسن جامعة، وأن (ملك) هي من أصرت على إدخالها تلك الجامعة حتى لا تتكبر، أقنعها أن (ملك) هي من صممت على سكن (مايا) معها وليس معه، وأنه لا يريد أن يحرم أمًا من طفلتها، كان (هاشم) يجيد لعب دور الضحية جيدًا، ولكنها كانت تعلم أن من أسباب قبوله الطلاق هو أنه قد سيئم التسلل كل يوم داخل بيتهم بعد رجوعه من نزواته والبارات والملاهي الليلية، كان يريد أن يكون له بيت يحضر رفيقاته إليه وقتما يشاء، ولا يضطر أن يرافقهن هو إلى شققهن وقتما سمح لهم بذلك، لا؛ فـ(هاشم) كان يريد وكرًا خاصًا به، وجود ابنته هناك كان سيخرب كل خططه.

ولكن، حتى وإن علمت (مايا) بكل ذلك لن يفرق في شيء، إما ستجد طريقة تبرر بها أفعال أبيها وتلوم (ملك) عليها، أو ستكرهها هما الاثنين، قد فقدت (ملك) الأمل في أن تحبها ابنتها، وكان ذلك أحسن لها من أن تكره أباه أيضًا.

فتحملت (ملك)، وارتدت ثوب الأم الأنانية التي لا تأبه بابتها، رداء الزوجة التي لم تصن زواجها وأرادت ترك زوجها الذي سخر نفسه لها ولأسرته، تقبلت (ملك) ذلك حتى تحمي ابنتها من حقائق لن تفعل شيئًا سوى جرحها، تقبلت (ملك) كل ذلك حتى لا يُفشي (هاشم) سرها وتفقد احترام (كريم) و(مايا) لها. تقبلت (ملك)، وحزنت، وكتمت.

رن موبايل (مايا) مجدداً ورفعته لترى مَنْ كان يتصل بها في الثانية فجراً، انتفضت من أعلى سرير الضيوف بيتت أيها عندما لمحت صورتها مع (علي). "ألو؟"
"حبيبي."

كانت تلك الكلمة، بتلك النبرة المنكسرة، بذلك الصوت المبحوح من البكاء، ما جعلها تنفجر نحيباً مجدداً. "علي!"

"اهدي عشان خاطري." بدا على صوته البكاء المكتوم. "مش هسيك يا(مايا)، هتكلم مع مامتك بكرة في الشغل، وانتي ابعيتلي رقم باباكي، هكلمه وأطلب أشوفه، هتكلم معاهم هما الاتنين."

"أنا بكرهها!" بكت (مايا). "بكرهها ونفسي تموت، هي السبب في كل ده! هي السبب."

"مايا... سكت (علي) برهة. "أنا عارف إنك زعلانة دلوقتي، بس هي مالهش ذنب، أنا معرفش إيه الي حصل بينها وبين أبويا وباباكي، بس هي ماغلطتش إنها كانت في علاقة، خيلنا نفهم منهم أكثر قبل ما نحكم."

"أنا مش فارق معايا هي هببت إيه!" صرخت (مايا). "أنا اللي فارق معايا إن ده بيوظلي حياتي أنا! أنا ماليش دعوة بيها، بس ماتبوظليش حياتي أنا!"

"طب اهدي طيب عشان خاطري، هتكلم معاهها بكرة، انتي فين دلوقتي؟"
"عند بابا." تنشققت (مايا). "ومش راجعأها لحد ما تخلي بابا يوافق، مش هشوفها ولا هكلمها، ولو ما حلتليش الحوار ده هقاطعها لحد ما تموت."

"ما تقوليش كده يا(مايا). رد (علي). "ممكن تسييني اتصرف؟ ابعتي رقمه بس وسييها عليا."

"حاضر."

"أنا بحبك يا(مايا). " قالها بصوت أجش. "ومش هسيبك، أنا مش هروح في
أي حته، احنا هنكمل وأنا مش هسيبك وهقنع باباكي ومامتك إنهم يوافقوا، حتى لو
الموضوع ده خدّ مني سنين، مش دي الحاجة اللي هتبوظ اللي بيننا، ماشي؟"
"ولو بابا مارضيش؟"

"هتصرف، أنا مش هسيبك، أنا بحبك ومش هتجوّز غيرك، وهقنعه إن محدّش
هيحبّك وهيصونك قدّي، ممكن تهدي وتنامي وأنا هطمّنك بكرة؟"
"ماشي. " نشجّت (مايا) ومسحت وجهها في وسادتها. "هصدّقك."
"ماشي، يا حبيبي. " زفر نفسًا مرتعشًا. "هسيبك دلوقتي تنامي، أوكي؟"
"أوكي."

"بحبك. " ردّدها (علي). "تصبحي على خير."
"وانت من أهله."

أهت (مايا) المكالمة ووضعت موبايلها على منضدة السرير، لهذا السبب كانت قد
شيدت أسوارها؛ حتى لا تشعر بمثل ذلك الألم والقهر، لماذا لم تبتّق أسوارها؟ لماذا
وثقت في القدر ألا يجرحها؟ لماذا سمحت للأمل أن يجتاز أسوارها؟ كل هذا الألم وهي
لم تحبه! كل هذا الألم وهي لم تعطه كل شيء، ماذا كان سيحدث بها إن كانا فعلاً كل
شيء وتعلّقت به (مايا)؟ إن كانا أمضا وقتًا أكثر من سبعة شهور معًا؟ هل كانت
ستمرض وتفنى؟

حاولت (مايا) أن تشيّد أسوارًا أخرى الآن لتخفّف من شدة الألم، ولكنها
وجدت رمادًا وحطامًا فقط، حاولت أن تبحث عن أي شيء.. أي شيء يحميها، لن
تستطيع أن تسكّر الآن؛ فلا يوجد بيت أبيها تلك المشروبات، ولن تستطيع أن تخرج
لتقابل أصدقائها.

ولكنها لن تستطيع أن تبقى هكذا! علمت ما كانت تستطيع أن تفعله لتهدأ
بعض الشيء.

قامت (مايا) من سريرها وتسلّلت للحمام، غسلت وجهها بمياه باردة ومكثت
داخله حتى هدأ وجهها قليلاً، رجعت لغرفتها وأمسكت بالموبايل، بحثت حتى
وجدت الاسم الذي كانت تريده، واتصلت به.

"ألو؟"

"أيوه يا طارق." ارتعش صوتها، وتجاهلت الصوت الذي كان يصرخ بذهنها
ينهيها عن فعل ما كانت ستفعله الآن. "ما تيجي video call؟"

جلست (ملك) في مكتبها، سارحة بشاشة اللابتوب، غير قادرة على التركيز بشغلها منذ الصباح. قد ردت (مايا) منذ قليل على مكالمات (كريم)، وأخبرته أنها تريد البقاء بيت أبيها بضعة أيام حتى تهدأ، وأنها لا تريد أن تكلم أمها.

طرق أحدهم على الباب وتهدت ملك، كانت تريد أن يمر اليوم دون تعامل مع البشر، ولكنها لن تستطيع أن ترفض الشغل مجرد لتعكر مزاجها. فلم تكن بحاجة لمزيد من التعليقات من بعض زملائها الرجال يلمحون فيهم عن ضعف المرأة، وعدم صلاحيتها للقيادة والأعمال الهامة بسبب تقلباتها المزاجية. "ادخل."

فتح الباب ودخل علي. لطالما كانت تراه بشوش سريع الضحك، ولكن الآن تجهم وجهه، وبدا عليه معالم الحزن والانكسار. ارتعشت شفتاه في ابتسامة ضعيفة وجلس على الكرسي أمامها. "إزاي حضرتك؟"

"زيي زيك يا(علي)والله." خلعت نظارتها ووضعتها على المكتب. "مش هسألك انت عامل إيه عشان باين عليك."

"أنا هخش في الموضوع على طول." أخذ نفس عميق وأكمل كلامه. "أنا بحب(مايا)، وماعنديش أي استعداد إني اسيبها. مع كامل احترامي للماضي بتاعكوا بس ده ماينخصنيش أنا وهي، مش ذنبنا عشان نشيله."

"و أنا موافقك تماما." أوامات برأسها، وحرصت أن يبقى صوتها هاديء، والا يصدر منها رد فعل تجاه نبرته الهجومية. "مش لازم تشيلوا غلظتنا. سبق وقولتلك يا(علي)إني بحترمك جدا، سواء كمديرة في الشغل أو أم البنت اللي انت مرتبط بيها. ده مانغيرش من امبارح." سكتت برهة. "بس بابا(مايا) دماغه مختلفة شوية. أنا

معرش يو-باباك ممكن يكون قالك إيه عنه، بس على أي حال ادبك شوفت العقلية اللي بتتعامل معاها. "

"أنا حابب ارواح اتكلم معاها لوحدي. " قلت الهجومية من صوته قليلا، وارنخى جسده. " حضرتك شايفة ارواح على طول ولا استنى شوية؟ "

لم تكن تريد(ملك) أن ترسله لهاشم دون إعداده لأسلوب(هاشم)وحبه في التجريح والإنفاص من الآخرين، ولكنها لم تكن تريد أيضا أن تتحدث عنمن قد يصبح حماه يوما ما بطريقة سيئة. "مش عارفة يا علي...بابا(مايا) أسلوبه مش سهل. " "مش لازم يكون سهل. أنا فاهم كويس جدا أنا ممكن اسمع إيه لما اتكلم معاها، ومحضر كلام ا قوله. أنا بس عايز اعرف هو ممكن يتقبل الكلام دلوقتي ولا اسبيه يهدى؟ "

"هو مش متعصب. " ضحكت ملك. "يا ريتيه متعصب. كان ساعتها اقولك استنى سبيه يهدى. بس علاقة باباك وهاشم علاقة وحشة جدا من أيام ما كانوا في الجامعة. ومش عارفة إيه اللي ممكن يخليه وافق. " انطفأت عيناه أكثر، وانكمش صدره مع زفيره. "مش مثلا إني بحب بنته وهاخذ بالي منها؟ "

نغزها قلبها عليه. كيف لها أن تشرح له أن(هاشم) لا يأبه بمثل تلك الأشياء، فقط بما قد يفيده هو؟ علاوة على ذلك، لن يدع فرصة كذلك تتسرب من بين يديه، فرصة ليعيد فتح جرح(ملك)ويوسف القديم، ويخرج هو الفائز للمرة الأخرى. كيف لها أن تشرح لعلي مخ(هاشم)المريض السادي؟

"لو عايز أنا ممكن ادبك نمرة تكلمه. " هزت كتفها. "بس مش عايزاك تتوقع رد كويس. هبقى صريحة معاك أكثر وهقولك إن(هاشم)بيضرب في اللي بيوجع، وللأسف هو دلوقتي عنده كتير أوي ممكن يضرب فيه. "

"طبعا موضوع وضعي المادي والاجتماعي منهم."

عيس وجهها. "للأسف هو له نظرة معينة في الموضوع ده، غير نظرتي تماما."
أوما(علي)برأسه وقد تفشى في وجهه ولغة جسده الانهزام. "هلاقي حل. مش
هسيبها."

ابتسمت له ملك. "اللي ربنا كاتبه هيكون. وانت ولد كويس ومحترم، ربنا مش
هيكتيلك أذى."

"و اللي أبويا فيه ده مش أذى؟"

خفق قلب(ملك)بشدة إثر كلماته. هل مازال يتألم(يوسف) بسببها؟ ولكن لماذا؟
هو الذي أنهى علاقتها. هو الذي تخلى عنها وتركها. لما لم يحاول الرجوع إليها بعدها
إذا كان قد ندم على فعلته تلك؟ لما لم يحاول الاتصال بها ليرى إن كان يوجد مجال
للعودة؟ ولكنهما لم يكنا ليسلما شر(هاشم)حيثذ، والفراق للمرة الثانية كان ليكون
تأثيره عليها أشد ألما.

لم ترد(ملك)أن تحيا(مايا) حياة كحياتها، لم ترد أن تقضي سنين سجينه الماضي،
مكسورة ولا تعرف طعم الفرحة. ستتحدث مع(هاشم)مجددا، وتترجاه أن يرضى. فما
حاجة للكرامة على حساب سعادة ابنتها.

"و أنا مش هرصالك بالحياة دي." ردت بصوت خافت. "ولا هرضى لبنتي.
أنا شوفت بعيني هي بتحبك قد إيه، ومش هقبل قلبها يتكسر كده. أنا هبعملك رقمه
تكلمه، وأنا كمان هتكلم معاه. نجرب احنا الاتنين، بس حاول ماتجيش سيرة اللي
حصل قبل كده، وتركز عليك انت ومايا بس."

زفر(علي)بنفس والتوت شفتاه في ابتسامة بسيطة. "مش عارف اشكر حضرتك
إزاي. وقوفك جنبي ده بالدنيا."

"انت تستاهل كل خير يا علي." "أومات له برأسها." "كفاية مشاعرك تجاه بنتي
وإنك واخذ بالك منها. ده عندي بالدنيا."
"شكرا ليكي." "أخرج موبايله من جييبه." "ممکن رقم بابا(مايا)؟"

جلست(مايا) بكرسي في جنية أبيها تحتسي كوب كابتشينو، رافعة رجليها على
الكرسي، تدلك جانب عينها لتذهب بعض من الصداع. بعد مكالمتها مع طارق،
غمرها الشعور القاسي بالذنب، وظلت تتقلب يمينا ويسارا في سريرها حتى يأس
النوم، وقامت من سريرها الساعة الثامنة صباحا. تجاهلت رسائل أصدقائها ومكالمات
أمها، وردت فقط على(كريم) لتطمئنه أنها بخير وأنها لا تريد الرجوع لبيتهم الآن.
لم يتركها الإحساس بالذنب منذ المكالمة مع طارق، واهتاج بها وهي
تكلم(علي)منذ قليل، حتى كادت تفقد أنفاسها من شدة الألم الذي غرز مخالبه في
صدرها وعصر قلبها. كيف استطاعت أن تفعل ذلك؟ كيف نزلت لذلك المستوى؟
كيف فعلت ذلك بعلي؟ لن تستطيع أن تجربه، لن يسامحها على ما فعلته. لن يغفر لها.
ستبقي الأمر سرا ولن تجرب أحدا، حتى سلمى التي كانت تأتمنها على كل شيء، لن
تفصح لها عن هذا الأمر، حتى تنساه وتستطيع أن تتعامل بطريقة طبيعية مع علي. وإن
بدا عليها أي شيء؟ ستلوم ذلك على الظروف التي كانا يمر بها الآن.
رأت أبيها يخرج من البيت ويتجه إليها، وعلى وجهه تلك الابتسامة التي طالما
بادرها بها، والتي الآن لاحظت(مايا) عدم صدقها بالمرّة. بدأت أن تتوجس من أبيها
وتراقب نبرة صوته ولغة جسده. "صباح الخير يا حبيبتى."

"صباح الخير يا بابا. " ارتشفت من كوبها. "نمت كويس؟"

"اه، الحمدلله. " جلس على كرسي أمامها. "إزاي مانامش وأنا بنتي حبييتي في بيتي ومعايا؟ انتي نمتي كويس يا قلبي؟"

لماذا كان يتعامل وكأن شيئاً لم يحدث؟ لماذا كان يبتسم ويتجاهل وجهها الذي مازال يبدو عليه آثار البكاء والحزن؟ "أكيد لأ يا بابا."

"متضايقه من اللي حصل امبارح؟" أوما برأسه. "يا ستي. من النهاردة اجييلك ابن أي حد من صحابي، وتنسي خالص الولد ده."

"بالسهل كده؟" ارتعش صوتها. "وليه انساه؟ أنا مالي إن ماما كانت مصاحبة باباه. أنا ذنبي إيه؟"

"يا(مايا) ازعل منك." انعقد جبينه ولكن بقي فمه مبتسماً. "ترضيهالي إني احط إيدي في إيد الراجل ده؟ كمان يا(مايا) دول مستواهم واقع أوي. إزاي ترضي تناسيهم؟ أنا ريبتك على كده؟ احنا بتتجوز عشان نعلي."

"علي بيشتغل مع ماما في الشركة اللي هي فيها." ردت(مايا). "والشركة دي نضيفه جدا. وهو كان في هندسة يعني مش كلية أي كلام، وماما بتقول إنه شاطر في الشغل، وفي احتمال كبير إنه يترقى."

"يترقى بالبدلة اللي جاييها من الوكالة دي؟" هز أبوها رأسه. "مايا، حبييتي، منظري هيقى إيه وأنا عازم كل معارفي وشركائي في فرح حقير اللي هيقى أخره هو وأبوه ده؟ وانتي يا حبييتي، قدام صحابك منظر ك هيقى إيه؟"

انعقد جبين(مايا) عندما وجدت أن الصوت الذي طالما ردد كلام أبيها في ذهنها كان خافت وضعيف، ووجدت نفسها تنطق بأشياء لم تكن قد خطرت بذهنها من قبل. "أنا مش فارق معايا الحاجات دي.(علي)بيحبنى. وبيحترمني. وأنا عايزاه."

"طب وأنا يا(مايا)؟" بدأ أن يغضب أبوها. "مش مهم خالص أنا إيه اللي يريخني؟ يا(مايا) ده انتي عارفة كل حاجة حصلت. ده أنا حاكيك. عايزاني بعد كل الوجة اللي اتوجعته على مامتك، اناسب واحد هي شكلها كده لسه يتحبه؟"

"مين قالك كده؟" فقدت هي الأخرى أعصابها وبدأت أن تبكي. "هي اصلا كانت عايزة تتجوز اللي في الشغل معاها ده، يعني هي نسيته. ومش لازم تقابل باباه كتير. خلي كلامك مع علي."

تههد أبوها ووقف. "طب نكمل كلام في الموضوع ده بعدين عشان لازم اتحرك. عندي كام اجتماع لازم اروحهم. ابقي قوليلي امتى ابعتلك السواق يروحك."

انعقد جبينها ومسحت وجهها في كم التي-شيرت التي قد تركته هنا منذ فترة هو وينطلون في حال أمضت الليلة. "أنا فعلا هروح أجيّب شوية حاجات بس هرجع على هنا."

ارتسم على وجه أبيها معالم قلق، ثم مسحها وابتسم لمايا. "يعني أنا نفسي يا(مايا) بجد، بس للأسف أنا الفترة دي هبقى بره البيت كتير عشان الشغل وكده، مش هبقى مرتاح وانتي قاعدة لوحذك هنا. كمان مامتك بقى هتتعد تزعل وتقولي إني واخذك منها، وأنا مش عايزها تزعل مني. روحي يا حبيبتني وأنا أول ما افوق من اللي أنا فيه هكلمك وننزل نتعشى سوا."

ظلت(مايا) صامتة، خيبة أملها مهيمنة عليها. ألم يرى أبوها حزنها؟ ألم يلحظه؟

أكان شغله أهم من اعتناؤه بابتته في وقت كهذا؟

ولكن، الشغل كان مهم. وهو حتما يهتم بعمله كهذا من أجلها هي وأخيها. كانت تلك طريقته في الاعتناء بها. لابد أن تكون شاكرة.

"أوكي خلاص." أمأت برأسها. "هرجع بيت ماما."

"برافو يا حبيبتى." ابتسم لها. "اشوفك قريب بقى ان شاء الله. وحاولي ماتتكلميش مع عادل تاني عشان ماتضايقيش."
تركته (مايا) يذهب، وحاولت أن تستمد بعض الدفاء من كوب الكابتشينو، فكان جسمها يرتعش، وهمست للريح مصححة أبيها. "علي..."

"انفضلي يا ستي." وضعت (نادين) الصينية على المائدة الصغيرة بشرفة (ملك) وجلست على الكرسي المواجه لها. "فنجان قهوة يعدل مزاجك شوية بعد اللي حصل امبارح."
"شكرا." ارتشفت (ملك) منه وتنهدت. "أنا مش عارفة اعمل إيه. بكلمه مش بيرد، وعلي برضه حاول يكلمه وماردش عليه."
"و مش هيرد دلوقتي خالص." أشعلت (نادين) سيجارة. "بس إيه الصدفة دي؟ ده ولا مشهد في فيلم."
"أنا لسه مش مستوعبة." هزت (ملك) رأسها. "لسه مش مستوعبة إن امبارح (يوسف) جه يطلب إيد بنتي لابنه."
ابتسمت لها (نادين) ورمقتها بنظرة شيطانية. "لسه حلوزي زمان؟"
"يا (نادين)." ضحكت ملك. "احنا في إيه ولا في إيه؟ وعرفتي منين إنه حلوا أصلا؟ انتي عمرك ما شوفتيه."
"ما انتي اللي قولتيلي." أخذت (نادين) نفس من سيجارتها. "ماتجوزي (مايا) من غير موافقة أبوها. انتي محتاجاه في إيه؟"
"ماعيش فلوس اجهزها." شعرت بالحمل يزيد عليها، ويكبس على أنفاسها.
"أنا صرفت كل حاجة على تعليمهم. وهي مش هترضى تتجوز من غير أبوها."
"لا، بنتك لو هتختار بينه وبين (علي) هتختار علي."

"بس مش هتبقى فرحانة." ارتشفت(ملك)من القهوة ودعتك وجهها. "أنا مش مصدقة إن ده حصل. طب البنت ذنبها إيه؟"

"هو مافيش ذنب اصلا." مالت(نادين) للأمام وأسندت كوعها على رجلها.
"انتي ماغلطيش في حاجة."
"و الفيديو؟"

"انتي هتفضلي طول عمرك شايلة ذنب الموضوع ده؟" علا صوت(نادين).
"استغفرتي خلاص، ويعني هو(هاشم)اللي نضيف أوي؟"
"و من امتي ده ييفرق يا(نادين)؟" تنهدت ملك. "هكلم(هاشم)تاني. هفضل وراه لحد ما يرد."

"تفتكري هيقتنع؟"
"ماعرش." أخذت(ملك)نفس عميق حتى تفك العقدة التي كانت بصدرها.
"مش عايزة يحصل فيها اللي حصل فيا. ولا عايزة(علي)يمر بنفس اللي أبوه مر بيه، على حسب فهمي."

انعقد جين(نادين). "هو قالك حاجة؟"
"على حسب اللي فهمته من(علي)إن(يوسف) لحد دلوقتي فاكرك. يمكن يكون زعلان على مراته اللي ماتت وعلي فاكرك عليا؟"

"لأ، هو الواقعي إن(علي)يبقى فاهم العكس." أطفأت(نادين) سيجارتها واحتست من فنجانها. "كون إنه شايف إن(يوسف) لسه تعبان وإن ده بسببك يبقى ده أكيد مش مجرد تخمين."

"هو اللي اختار كده بقى." أشاحت(ملك)بيدها غضبا وقد انعقد جبينها.
"مش هو اللي مشي؟ يشيل بقى."

"بصي انتي من ساعة ما حكيتلي الحوار ده وأنا شاكة إن فيه تفاصيل انتي مش

عارفاها. " هزت (نادين) رأسها. "استحالة يكون قرر يمشي فجأة. ماحدث
عاقل يعمل كده. "

"ماعرفش بقى. " سكتت(ملك)برهة. " و مش مهم دلوقتي. أهم حاجة
نشوف حوار(مايا) وعلي. "

فتحت(نادين) فمها كي ترد، ولكن في تلك اللحظة سمعا باب الشقة يفتح
وبقفل. كان(كريم) بموعد مع دكتورته النفسية، فقامت(ملك)للتأكد أنها(مايا).
"مايا. " اتجهت نحوها، وكانت(مايا) مرتدية بنطلون قطني رمادي وتي شيرت بكم
طويل سوداء، بيدها الفستان وجزمتها وحقيبتها، وبقدميها شبشب بيت. كانت عيناها
متورمتين ووجهها ملطخ بالاحمرار، ويبدو عليها الانكسار والهزيمة. " حبييتي، أنا
ماعرفش إنك جاية. "

وقفت(مايا) بمنتصف الطرقة وبيطء شديد رفعت عينيها لملك. " مش بإيدي.
بابا رجعني. مش فاضيلي ومش عايز يزعلك. "

"أنا فاضيلك. " اقتربت منها(ملك)بحرص. " من بكرة آخذ أجازة من الشغل
واقعد معاكي. "

"لا، أنا عايزة ابقى لوحدي. " ترنحت(مايا)، وأسندت نفسها على الحائط.
ارتعد قلب(ملك)في صدرها وأرادت أن تمسكها، ولكن لم تكن تريد أن تستفزها
باقترابها منها أكثر من اللازم. " محتاجة ابقى لوحدي. "

"حبييتي. " جاء صوت(نادين) من وراء ملك. " مش لازم تبقي لوحذك. احنا
كلنا موجودين. "

" و هتعملولي إيه؟ " رمقتهم(مايا) بنظرة كانت كالسكين في قلب ملك.
" هترجعوا بالزمن وتخلوا ماما ماتمشيش مع أبو علي؟ ولا هتروحوا تقولوا لبابا إنه
يفكس لرجولته ويحط إيده في إيد إكس مراته؟ "

"مايا." هزت (ملك) رأسها. "أنا ماكتتش اعرف. أنا آخر حاجة عرفتها عن باباه إنه اتجوز. لا كنت اعرف إنه خلف، ولا إن ابنه اسمه علي. أنا ماجاش في بالي خالص."

"ماما أنا مش فارق معايا الكلام ده كله." هزت (مايا) رأسها وأغمضت عينيها. "أنا عايزة علي. لو ماتجوزتوش برضاكوا ماتزعلوش مالي هيحصل."

تسلل الرعب داخل قلب ملك. "مايا-"

"مش انتوا شغللكوا أهم من تربيتكوا لعيالكوا؟" فتحت (مايا) عينيها ونظرت بيعيني ملك. "أنا هوريكوا عدم الرباية. بما إنك انتي السبب في كل ده، ف انتي اللي هتحليه. لو الحوار ده مامشيش انسيني بقى. مش هكلمك ولا هعتبر إن أمي عايشة أصلا، ده على أساس إن انتي كان ليكي وجود في حياتي من أصله. هقعد هنا لحد ما اتنيل اعرف اسيب البيت، ومش هتشوفني تاني. ماعنديش أي حاجة تانية اقولها."

"مايا،" خطت (نادين) للأمام وأسندت (ملك) التي كانت ترتجف إثر كلام (مايا) لها. "مامتك ماغلطتش في حاجة. كلنا دخلنا في علاقات واحنا في السن ده، انتي ذات نفس-"

"مايهمنيش!" صرخت (مايا). "أنا مش هاممني حاجة غير نفسي! أنا ماليش دعوة هي عملت إيه بس ماتدمرليش مستقبلي!" وجهت نظرتها لملك، التي كانت قد بدأت تبكي. "انتني مابتعمليش حاجة غير إنك بتخرب حياتي! ماعنديش أب بسببك! وياريتك أم عدلة! أنا زهقت منكوا كللكوا!"

سكتت (مايا) وكان الطاقة نفدت منها. ترنحت مرة أخرى، وسقط كل شيء من يديها.

"مايا!" صرخت (ملك) وحاولت أن تمسك ابنتها قبل أن ترتطم بالأرض.

ركض(علي)من سيارته وتجاهل البواب الذي حاول أن يوقفه قبل دخوله عمارة(مايا). مازال قلبه يخفق بشدة منذ مكالمة أمها له، وهي تجربه بفقدان(مايا) للوعي، وأنها لم تستطع إيقاظها. ركض على السلام حتى وصل للطابق السادس، ورن الجرس. فتحت له الباب امرأة ثلاثينية شعرها مصبوغ أزرق، وخطت جانباً لتفسح له الطريق. "علي؟"

"دي شقة(مايا)، صح؟" دخل(علي)وتبعها لطرفة طويلة. "فاقت ولا لسه؟" "الدكتور جوا معاها بيعلقها محاليل." قادته لغرفة بابها موارد. "ضغظها وطي أوي، بس كانت ابتدت تفوق قبل ما ترن الجرس على طول." طرق(علي)على الباب ودفعه قليلاً. كانت أمها واقفة بجانب السرير، وجهها شاحب وعينيها متورمتين، وجلس دكتور كبير بالسن على طرف السرير بجانب(مايا)، التي كانت تحرك رأسها ببطء وعينيها مغمضتين.

رفعت(ملك)نظرها لعلي. "تعالى يا حبيبي." ذهب(علي)ليقف بجانبها ولم يستطع أن يرفع عينيه عن(مايا). اعتصر قلبه بصدرة. "إيه اللي حصل؟"

"هي رجعت من عند باباها تعبانة." ردت أمها. "اتعصبت شوية لما رجعت وفجأة لقيتها بتقع. حاولت افوقها بس ماكانتش بتفوق. ده دكتور جارنا، كان لسه هيتحرك من عيادته. جابلنا الحاجة وجه على طول."

"هتبقى زي الفل، إن شاء الله." قال الدكتور ووقف. "مدام ملك، زي ما شرحت لحضرتك. نص ساعة وشيلي المحلول، ومحتاجة تاكل لما تصحى. ويا ريت ماحدث يعصبها أو يضايقها خالص الفترة دي."

"مش محتاجة دوا أو أي حاجة؟"

"لا، خالص." بدأ أن يجمع أدواته. "هي تريح بس شوية وهتبقى كويسة. ويستحسن لو ريحت بكرا ومازلتش."

"تمام، شكرا يا دكتور." نظرت (ملك) لعلي. "علي، خليك معاها والنبي لحد ما اوصل الدكتور واجيلك."

أوما(علي) برأسه. "ماثقلقيش، أنا معاها." انتظر حتى تركت (ملك) الغرفة مع الدكتور وجلس بجانب (مايا) على طرف السرير، مراعيًا أنبوبة المحاليل. "مايا."

صدر منها أنين وحركت رأسها قليلا. وطى (علي) وقبل جبينها. "سلامتك يا قلبي." قام وشد كرسي مكتبها وجلس عليه قبل رجوع أمها، فلم يكن يريد أن يغضبها، ولكنه أمسك بيد(مايا) حارصا على أنبوبة المحاليل والكانيونولا. "أنا آسف على كل ده."

لم ترد عليه(مايا)، ولكنها شددت بقبضتها على يده بسيطا ثم أرختها. رجعت أمها الغرفة وجلست على طرف السرير بجانبها. "أنا حاولت اكلم باباها تاني."

حدثته بصوت خافت جدا دون أن تنظر إليه، وأبقت عينيها على (مايا)، تسمح بيدها على شعرها. "رد ولما قولته إن(مايا) أغمى عليها قاللي تلاقيها ماكالتش كويس."

تلقت له. "أنا بقولك الكلام ده عشان تبقى فاهم انت بتعامل مع مين، وتبقى عارف غلاوة(مايا) إيه عنده."

"مايا على طول بتشكر فيه." مسح بإبهامه على ظهر أصابعها. "بس أنا كنت بستغرب. عمره ما كلمها واحنا مع بعض، ويمكن قالتلي في السبع شهور دول إنها رايحة تقابله يمكن ست أو سبع مرات بالكثير."

"عنده شغل كثير." ارتفعت ناحية واحدة من شفيتها في ابتسامة ساخرة. "بس هو أبوها في الأول وفي الآخر، وهي بتحبه، وأنا مابقاش أم كويسة لو كرهتها فيه." "على حساب إن علاقتكوا تبقى مش كويسة؟" أراد أن يسترجع كلامه في اللحظة الذي خرجت الكلمات من فمه. "أنا آسف، مش قصدي اتدخل -"

"لأ، عادي." هزت (ملك) رأسها وابتسمت له. "انت واحد مننا خلاص، وأنا متأكدة إن (مايا) مش راسمة أحسن صورة ليا."

"أنا ماصدقتش حاجة قالتها." رد علي. "مايا تحب تبين إنها مش عاطفية وإنها متحكممة في مشاعرها أوي، بس هي أصلا مافيش حاجة بتحركها غير المشاعر. أنا عارف إن حكمها على أغلبية الموضوع ده ممكن يكون مش صح، ويسبب تأثير حد عليها."

"كويس إنك فاهم." تنهدت أمها. "بس أنا مش هقدر اكرها في أبوها. مش هطلع كسبانه. هي لو مرتاحة كده خلاص." وطت (ملك) وقبلت جين (مايا)، وتألّم قلب (علي) لنظرة الحزن على وجهها. استقامت في جلستها وأدارت وجهها لعل. "بس في حاجة كنت عايزة اكلمك فيها."

"أكيد." أو ما (علي) برأسها ودخل القلق قلبه. "خير؟"

"مايا قبل ما يغمى عليها قالت كلام قلقني." قطعت كلامها عندما فتح الباب خلفها وسمع صوت خطوات. نظر من فوق كتفه ورأي تلك المرأة ذات الشعر الأزرق. "اعرفك، دي (نادين)، اقرب صديقة ليا."

"مايا حكيتلي عنك." مد (علي) يده وصافحها. "أهلا وسهلا."

"حكيتلي عنك برضه. " ابتسمت له (نادين). " و البنت صدقت لما قالت عليك حلو. "

"نادين!" ضحكك (ملك) وهزت رأسها، بينما توهجت وجتتا علي. " بجد احنا في إيه ولا في إيه؟ " أرجعت نظرها لعلي. " اه، كنت بقولك. (مايا) قبل ما تقع، قالتلي حاجة قلقتني شوية. "

"خير يا طنط، قالت إيه؟"

"بتقولي إن لو ماتجوزتوش برضانا مانزعلش مالي هتعمله. " تنهدت أمها وجلست (نادين) بجانبها على طرف السرير. "مايا متهورة شوية، ومندفعة. ممكن كانت بتقول كده تهديد، بس عندها ممكن يوصلها لأماكن وحشة. " مالت (ملك) للأمام ولم ترح عينها عنه. "و أنا هعتمد عليك إنك تعقلها. أنا هعمل كل اللي اقدر عليه عشان اخلي الموضوع ده يمشي، بس اوعدني انك هتحمي بتي حتى من نفسها. "

أوما(علي) برأسه، وقد هدأ قلقه قليلا. "ماتخافيش يا طنط. أنا وعدت حضرتك قبل كده إن بتتك في عيني، وأنا لسه على وعدي. وأنا مارضالهاش تعمل أي حاجة تقلل منها. "

ابتسمت له (ملك) وريبت على ركبته. "انت ربنا باعتك ليها. " صوبت نظرها لنادين. "تعالى نروح نحضر حاجة لعلي. تحب تشرب إيه يا حبيبي؟"

"ماتتعبيش نفسك والله. " شعر بخجل شديد، بمجيئه دون ميعاد وتطفله عليهم. "أنا هقعد معاها لحد ماتفوق واتظمن عليها. "

"يا حبيبي مافيش تعب ولا حاجة، كده كده هحضرلنا عشا وهعمل أكل لكريم برضه. " وقفت عند الباب. "انت اتغديت؟"

"اه، في المكتب. "

"ماشي هعملك عشا. تحب شاي ولا نسكافيه معاه؟ فيه كوكا برضه."
"شاي لو سمحتي." ابتسم لها. "شكرا يا طنط بجد وآسف إني بتعبك."
"لا، جوزيهولها بجد." قالت (نادين). "حرام تضيعوه من إيدكوا، ما فيش حد
متربي كده دلوقتي."

"تعالى يا (نادين)." هزت (ملك) رأسها. "ناقصاكي هي."
غمزت له (نادين) قبل أن تجرها (ملك) بعيدا. سمع (علي) الباب يفتح ويقفل،
وسمع صوت ذكورى من اتجاه الباب. قد يكون (كريم)، أخو (مايا). اعتدل (علي) في
جلسته وافلت من يدها ثواني قبل دخول (كريم).
"علي، إزيك؟" مد له (كريم) يده. "عامل إيه؟ مالحقتش اسلم عليك امبارح
بقى."

"إزيك يا (كريم)." صافحه علي. "والله من زمان بقولها تعرفنا بس ماجاتش
فرصة."

"هي عاملة إيه دلوقتي؟" نظر (كريم) لأخته وعلى وجهه قلق لها. "أنا كنت في
مشوار وماعرفتش ارد على ماما لما كلمتني. هو إيه اللي حصل؟"
"تقريبا شدوا في الكلام ومايا تعبت." أراد أن يمد يده ويلمسها، حتى لا تكون
وحيدة في حالتها تلك. لم يكن يعلم أن أبيها سيء هذه الدرجة. تبين له الآن أنه رجل
مادي مؤذي، يستمتع بإهانة زوجته أمام الناس ويستمد رجولته الزائفة من ذلك، ولا
يكثرث بابنائه. كان يريد أن يعلم أكثر، وقرر أن يجلس مع أبيه غدا ليحكى له أكثر عن
حماه المستقبلي.

"تعرف لو حد كلمه؟"

رفع (علي) نظره لـ (كريم). "باباكوا؟ اه. وقال لمامتك إن (مايا) تلاقيها ماكالش
كويس."

"طبعاً أنت واخذ فكرة عننا زي الفل."

"أنا مش واخذ أي فكرة." هز(علي) رأسه. "مامتك من ساعة ما اتعرفت عليها وهي بتعاملني باحترام وكويسة جداً معايا. وفهمت من كلام(مايا) يمكن اللي هي مش فاهماه، ف متقلقش."

"ياريتها تفهم ونخلص." تنهد(كريم) ووضع يديه في جيبه. "مش عارف هي معاندة ليه."

"أديها وقت." كانت(مايا) أهدى الآن، يرتفع وينخفض صدرها مع تنفسها، ويدها الخالية من الحقنة ترقد على بطنها. "اعتقد الفترة دي هتبينلها حاجات كثير." "يا ريت." سكت(كريم) برهة، ثم اتجه لباب الغرفة. "أنا هروح أغير واساعدهم في المطبخ. لو صحيت تعالي طمننا والنبي."

"حاضر." شيء ما بداخله تأثر بثقتهم به، أنهم تركوه مع ابنتهم في غرفتها بمفرده. ظل جالس على كرسيه حتى بعد ذهاب(كريم)، ولكنه مديده مجدداً وأمسك بيدها. اخترقت دقائق الساعة الهدوء، وتذكر تنبيه الدكتور لهم بإزالة المحلول بعد نصف ساعة. تفقد الساعة المعلقة على الحائط المواجه لسريرها، ووجد أن الوقت قد مر. قام(علي)وبدأ في فك الحقنة من الكانيولا، وتأكد من إحكام غلق المحلول حتى لا تنقط الحقنة.

أثناء لفه الأنبوبة حول كيس المحلول المعلق، سمع خرفشة في السرير ونظر بجانبه، ووجد أن(مايا) قد استيقظت وتتحرك في سريرها. ترك المحلول وجلس على كرسيه مجدداً. "مايا؟ حبيبي انتي كويسة؟"

"علي؟" انعقد جبينها وحاولت أن تجلس ولكن ذراعها خانها. "أنت جيت امتى؟ إيه اللي حصل؟"

انقبض قلبه من الحيرة والتعب الباديين على وجهها. مد يده وأمسك بيدها.
"اغمى عليكي. مامتك كلميتني وجيت على طول. علقولك محاليل."
نظرت (مايا) ليدها وعبس وجهها ألما. "للدركة؟"
أراد(علي) أن يجلس بجانبها ولكنه تذكر ثقة أمها وأخيها به وقاوم. "انتي كلتي
النهاردة؟"

"لأ." "كان صوتها خافت جدا، استلقت على جانبها لتواجهه. "مشيت من عند
بابا متأخر وماكانش ليا نفس أكل، وشيشت وأنا هناك كمان، يمكن عشان كده
تعبت."

شعر(علي)بالغضب يحتاج به. "يا(مايا) ليه عملتي كده؟ ما أكيد هتتعبني!
ماحدث يعمل كده!"

"ممكن ما تتعصبش؟" ارتعشت شفتها السفلى وترقرقت عينيها بالدموع. "أنا
مش مستحيلة زعيق ولا أي حاجة. ممكن تهدى عليا؟"
"خلاص اهدي." أمسك بيدها الأخرى وقبلها، ثم اغمض عينيه واسند جبينه
على يدها. "أنا كنت مرعوب."

وضعت(مايا) يدها التي بها الكانيولا على رأسه ومسحت بإبهامها عليها،
وارتعش جسده من تلك الحركة.(مايا) لم تكن النوع الحميمي الذي يلمس لإظهار
المشاعر، كانت تلمسه فقط حتى تتفادى إظهار المشاعر، ولطالما شعر أنها كانت تفعل
ذلك ببرود وتباعد. اهتاج حبه لها، وانهار السد الذي كان قد حبس وراءه قلقه
وحزنه، ودمعت عيناه.

صدر منه نسيج حاول أن يكتمه، وشعر بإيا تتحرك، ثم لمست شفتها رأسه،
وارتعش مرة أخرى إثر إحساس همستها. "أنا آسفة. مازعلش مني."

رفع رأسه ويودا حتى لا يرتطم بها، ونظر بعينيها، وكان وجهه بمسافة بضع
الستيمترات من وجهها. أسر جمالها وحبه لها أنفاسه، ومال للأمام ليطلع بشفتيه على
جبينها. "بحبك."

"ماتزعلش مني."

هز رأسه وشفته مازالت على جبينها. "ماقدرش."

لفت (مايا) ذراعها حول رقبته. "مش هتزعل مني أبدا؟ مهيا عملت؟"

هز رأسه مجددا. "مش هزعل منك."

لم يدر من تحرك أولا، ولكن فجأة وجد جبينها متلاصقين، وكذلك أنفيها،
وشعر بنفس (مايا) يدخل رثتيه، وخفق قلبه كالطبل في صدره. أقل حركة، وسيحدث
ما كان يتمنى حدوثه طوال السبعة أشهر الماضية. تلاشى الكون من حولها،
وشعر (علي) كأنها وحدهما تماما.

انطلق جرس الانذار كالرعد في ذهنه. وحدهما. كانا وحدهما، لأن أهلها وثقوا به.

في لحظة كان (علي) واقف بعيدا عن سيرها، يشهق أنفاسه ويحاول جاهدا أن

يهديء من روع قلبه وجسده.

"علي؟"

ماينفعش. "هز رأسه ودعك وجهه بيدين ترتعش. "مامتك استأمتني إني ابقي

لوحدي في أوضتك معاكي." أنزل يديه وقابل نظرتها. "ماينفعش استغل ثقتها

كده."

ظلت (مايا) محدقة به برهة، ثم أوأأت برأسها ونظرت بعيدا. "انت صح."

"هروح اقوللهم إنك فوقتي." خطأ في اتجاه الباب. "عشان يتطمناو بس."

"أوكي."

تركها (علي) وذهب ليقابل أمها بيدين ورجلين ترتعش.

ثنت (مايا) يديها حتى قبضتهم، محاولة منها أن تجعلها يكفا عن الارتعاش. لماذا كانت كذلك؟ لماذا كان كل شيء عندها ينتهي باللمس؟ لماذا لم تستطع أن تعبر له عن مشاعرها بكلام مثلما كان يفعل؟ كانت رخيصة. وسهلة. ومستعملة. لم تستطع أن تتحمل خيانتها له. كرهت نفسها وأرادت أن تفتني. أرادت أن تختفي من حياته وتتركه لمن تستحقه. تلك الزينب. كانت (مايا) متأكدة أن زينب بعمرها لن تفعل ذلك بعلي. لم تستحقه (مايا). منذ البداية وهي لم تستحقه، وكذبت عليه عديدا واخفت أشياء عنه، وكل ما حدث منذ البارحة كان عقاب القدر لها، ومن مكان دفين بداخلها، علمت (مايا) أن القدر سيظل يعاقبها. ستظل تحفق، وسيظل يعاقبها على ضعفها وقباحة روحها، وسيتركها علي، شاء أم أبي. سيأخذ القدر منها بأية طريقة؛ سيسأم منها ويتركها، أو لن يوافق أبوها على زواجها، أو سيعرف بطريقة ما ما حدث البارحة وسيتركها، أو سيصيبه سوء، وينتهي عمره.

انكملت رثيتها، وانقبض قلبها بقوة جعلتها تنحني للأمام وتشهق كالذي يغرق أو يختنق. بدأ جسدها بالارتعاش بشدة، وأخذت (مايا) نفس عميق، وسحبت من أعماقها صرخة رنت في أنحاء الشقة بأكملها كالرعد.

"علي!"

مرت بضع ثواني، وارتطم بابها بالحائط وارتد في وجه (نادين) من قوة دفع (علي) له، الذي ركع أمامها وعينيه تلمع برعب. "في إيه؟ (مايا)!" وجدت (مايا) نفسها مازالت تشهق وتبكي وترتعش، ولم تأبه بوجود أمها وأخيها ونادين في الغرفة معها، ورمت نفسها في صدر (علي) ولفت ذراعها حول خصره. "مات... سب... نيش."

ضمها(علي) له وشعرت بارتعاش جسده هو الآخر، وشعرت من حركة جسده أنه كان قد أدار وجهه لينظر لأمها وراءه. "أنا آسف...أنا آسف، مش هقدر اسيبها. أنا آسف..."

"ملك". سمعت(مايا)(نادين) تقول اسم أمها بصوت خافت ولكن حازم. "ملك، سيبهم. تعالي، هو هياخذ باله منها." "مش هق-"

"ملك". علا صوت(نادين) برهة. "تعالي دلوقتي." "مش هسيبها كده!"

"هي محتاجه دلوقتي. هياخذ باله منها وهيهديها. متخافيش عليها." "يلا يا ماما." قال(كريم). "ابقي اتكلمي معاها بعدين. مش دلوقتي." رن موبايل(علي) في جيبه. أخرجه وسكت برهة، ثم استدار لمواجهة أمها مجددا. "أنا آسف يا طنط، بس بابا بيتكلم ولو ماردتش هيقلق. مش هعرف ارد دلوقتي، ممكن حد بس يرد؟"

ظل الموبايل يرن ولم يتحدث أحد، ثم سمعت(مايا) همسة(نادين). "ملك، ردي عليه."

استمرت رنة الموبايل، وكادت المكالمة أن تقع قبل أن ترد أمها بصوت مرتعش "ألو؟"

ربت(علي) على ظهرها. "بس، بس، بس، اهدي، اهدي." سمعت(مايا) الآخرون يتركوها، ولكن لم يقفل أحدهم الباب. مازالت تشهق، ولكنها كانت شهقات ما بعد توقف النحيب، وقد كف جسدها عن الارتعاش. بقت في مكانها، رأسها على صدره، دقائق قلبه تسكن ذهنها وتهديء روعه. ظلا ذراعيه حولها، شفتاه على أعلى رأسها، يهمس لها أن تهدأ، أنه هنا معها، ولن يتركها.

"ماتسبنيش يا علي."

شدد من ذراعيه حولها وقبل رأسها. "أنا مش رايح في حته."

"قولها لي."

"إيه؟"

"قولها لي."

سكت (علي) برهة، ثم أرجعها للوراء حتى يستطيع أن يقابل عينيها. "بحبك."

دمعت عيناها مجددا وأسندت جبينها على فمه. "و أنا كمان. والله وأنا كمان."

"تعالى يا (كريم)."

ارتعشت يد (ملك) وهي ممسكة موبايل علي، وشعرت بنادين وكريم يتركاها بمفردها في الطريقة. ظل (يوسف) صامتا بضع لحظات، ثم رد عليها بصوت متردد.

"ملك؟"

"علي مشغول مع (مايا) ومش عارف يرد." قالتها متقطعة بصوت خافت.

ارتجف قلبها في صدرها، وذهبت لغرفتها لتجلس. "قاللي اطمنك."

"مايا عاملة إيه دلوقتي؟"

"أحسن." جلست (ملك) على سريرها. "فاقت من شوية، بس هي وعلى

قاعدين مع بعض."

"أنا ماكتتش اعرف إنها بتتك. ماجاش في بالي خالص. أنا آسف لو كنا عملنا

مشكلة."

"لا، مافيش مشكلة ولا حاجة." "لم تستطع أن تصدق أنها كانت تكلمه الآن.(يوسف). بعد كل تلك السنين. بعد ما يقرب الثلاثة العقود." "ماحدش كان عارف."

"هاشم عملك حاجة؟"

"لا." "وكانه قد حضر معها كل تلك السنوات من معاناتها مع هاشم." "بس أكيد هيعمل. مش هيعدي الموضوع كده."

"أنا عرفت من(علي)إن أهل(مايا) انفصلوا."

"اه. أو مات برأسها كأنه أمامها." "من حوالي تسع سنين دلوقتي."

"و الولاد عايشين معاكي؟"

"يعني(مايا) نفسها تعيش معاه بس، اه." "سكتت برهة." "فهمت من(علي)برضه إن مراتك اتوفت. الله يرحمها."

"من حداشر سنة." "دخل الحزن صوته، وتجاهلت الغيرة التي نبضت بقلبيها، ونهرت أنانيتيها تلك." "بس ربنا ررحمها. والحمدلله(علي)ماشفهاش بتتعذب كثير." "الحمدلله."

ساد الصمت بينهما، ووجدت أن الصمت بعد سبع وعشرين سنة مازال لديه القدرة ليؤلمها. "طيب أنا قولت اطمئنك على علي. هروح أنا كمان اتطمئن على ماي-" "يمكن آخذ رقمك؟"

خفق قلبها بسرعة وظلت صامته من صدمتها. "نعم؟"

"أنا آسف لو كنت اتعديت حدودي." "أسرع أن يقول." "تجاهلي تماما اللي قولت-"

"معاك ورقة وقلم؟"

سكت(يوسف) برهة. ثم سمعت(ملك)خرفشة ورق. "مليني."

تعشى(علي)معهم، وراقبته(نادين) دون أن تلفت النظر لنفسها، ونغزها قلبها
 ألاما. ووقت الآن في الشرفة بعد أن وعد(علي)مايا إنه سيأتي مجددا غدا ليفطر معها،
 وبعدها بقليل دخل الجميع غرفهم ليناموا. كانت قد ترجتها(ملك)لتمكث معهم
 الليلة، لأنها لم تكن تريد أن تُترك وحدها. وافقت(نادين) وبالفعل استلقت في السرير
 بجانب(ملك)بعد أن ذهب كل من(مايا) وكريم لغرفتهما، وتحديثا عما قالته(مايا) في
 غضبها، وما شهدها بينها وبين علي، وأكدت لها(نادين) أن حب(علي)لمايا كان صادق.
 انتظرت(نادين) حتى تأكدت من استغراق(ملك)في النوم، ثم تسللت من غرفتها
 واتجهت للشرفة، فكانت بحاجة الى بعض الهواء الطلق.

ذكرها حب(علي)ومايا بحب قد عاشته من قبل، ووقفت(نادين) في الشرفة الآن
 تدخن، وتأمل الا تنتهي قصة(مايا) وعلي بنفس الطريقة.

تذكرت رؤوف، والعلاقة التي نشبت بينهما بعد اعترافه لها بمشاعره. تذكرت
 كيف أغمرها بالحب والاهتمام، ولم يبخل عليها بأي شيء، وكيف تفادى مقابلتها بأي
 مكان قريب من شقتها التي كانت تسكنها بمفردها، وكيف تعمد الخروج معها في
 أماكن عامة مزدحمة، وغالبا في النهار. فهمت(نادين) أنه قصد فعل ذلك حتى يشعرها
 بالأمان بعد ما فعله بها عاصم، وأنه كان يريد لها أن تفهم أن نواياه كانت حسنة.

ولكن راودت(نادين) أفكار أخرى. فمنذ أن تركت بيت رؤوف وهند وهي
 تهرب من كوايسها التي راودتها في منامها ويقظتها أيضا، ووجدت(نادين) النسيان في
 أسفل زجاجة نبيذ أو بيرة. في أول الأمر حاولت أن تخفي شربها عن رؤوف، الذي لم
 يكن سعيد بتدخينها الشره، ولكنه اتصل بها ذات مرة ووضح على صوتها السكر.
 تذكرت(نادين) شجارهما تلك الليلة، وكيف نهرا وترجها أن تكف عن الشرب،

وكيف اهتمته بالتسلط والتحكم بها، وبأنها تريد التحرر بعد ما عانت منه، وتريد نسيان ما حدث بها، وكانت تلك أحد الطرق المتاحة لها.

لم يقتنع رؤوف، وأخبرها أنها تستطيع الذهاب للدكتور نفسي وسيتحمل كافة تكاليف الجلسات، وأن ذلك سيساعدها أكثر من السكر الذي فقط سيؤدي بها الى المرض والهلاك يوما ما، وأنه لم يكن يريد التحكم بها، فقط كان يقلق ويخشى أن يصيبها أي سوء بسبب السكر. استمرت الشجارات بينهما على الشرب والتدخين، وأصدقائها الذي نعتهم رؤوف بالمشبهين. لم تجمعهم (نادين) ببعض حتى تنفادي تعليقاته ونظراته المستنكرة، وبدأت أن تسأم الأماكن التي كانا يعتاداها هي وهو، حيث رمقها الزبائن بنظرات بها احتقار واشمئزاز بسبب ملابسها التي أصبحت تكشف عن جسمها أكثر فأكثر، وتوترت العلاقة بينهما، حتى خشيت (نادين) أن تنتهي تماما وتخسره.

ولأنها لم تكن تعلم غير ما علمها عاصم، ولم تعرف قيمة لنفسها غير جسمها، ولأنها لم تكن تعلم حينها أنها تستطيع أن تبقيه بمشاعرها وبتصرفات غير تلك التي أمرها بها عاصم، اعتمدت على حصيلة معرفتها السابقة.

لم يوافق رؤوف أن يقابلها في شقتها أول مرة. نشب بينها شجار آخر، واهتمته (نادين) أنه لا يجبها وغير منجذب إليها. لماذا قد يهتم بشرفها الذي قد سرقه منها ابن عمته؟ لماذا كان يتظاهر بأن شيئا لم يحدث؟ ما فائدة حماية شيء لم يعد لديها؟ بعد رفضه عدة مرات، قررت (نادين) أنها لا بد أن تغير طريقة تعاملها مع الموقف. وعدته أنها فقط كانت تريد أن تطعمه الأكلات الجديدة التي تعلمتها، ويمكنها مشاهدة فيلم معا وهما يأكلان. تردد رؤوف في بدء الأمر، ولكنه أيضا أراد أن يبسطها ويصلح علاقتهما، فوافق وذهب لشقتها.

تذكرت (نادين) ذلك اليوم، وتمنت أن تكون بيبتها، حيث يوجد ما قد يجعل التذكر أقل ألماً. أخذت نفس عميق من سيجارتها وحبسته بضع ثوان في رثتها ثم زفرته ببطء، ودعكت وجهها بيدها الأخرى. كيف كانت بتلك الحماقة؟ كيف تلاعبت به وبمشاعره وتفكيره بتلك الطريقة؟ تذكرت تجاهلها لكل محاولاته لإصلاح العلاقة التي لم تتضمن انضمامه لها في سريرها. تذكرت اليوم الذي جاء به لأول مرة شقتها، وكيف تعمدت ارتداء قميص نوم حتى تجذب انتباهه، كيف تلعثم هو وأبقى عينيه على وجهها، أو أشاح نظره عنها تماماً.

شعرت (نادين) بالغثيان وأوقفت رحلتها في درب الذكريات. لم تكن تريد أن تتذكر ما حدث بعدها. انتهت من سيجارتها وأطفأتها في سور الشرفة قبل أن ترميها، واتجهت لغرفة (ملك) مجدداً حتى تنام، فلم يعد هناك فائدة من التذكر.

في الصباح التالي، جلست (مايا) في الشرفة تحسني كوب نسكافيه قد حضرته لها (نادين). مازال الصداع يدق بأرجاء رأسها، وقد وجدت صعوبة في القيام من سريرها منذ قليل. جلست الآن رافعة رجلها على الكرسي، مرتدية هودي (علي) التي كانت قد سرقت منه ذلك اليوم على سطح بيته، وأمسكت الكوب في يديها الاثنتين حتى تستمد منه بعض الدفء.

مازالت تشعر بالخزي تجاه ما فعلته، حتى حين كانت بين ذراعي (علي) وكان يحاول تهدئتها، صوت عالي بداخلها كان يصبح أنها لا تستحق كل ما كان يفعله لها، أن ليس من حقها أن تستمد أي شعور إيجابي من حبه لها واهتمامه. بكت (مايا) في سريرها

بعدها غادر البارحة، بكت بحرقه جعلتها تدفن وجهها في وسادتها، وتقوم بعدها من سريرها لتستحم، بعد أن تأكدت من خلود(نادين) للنوم.

استحمت مرة أخرى عندما استيقظت، ولكن كيف لها أن تمحي آثار أعين؟ كيف لها أن تمحي كل نظرة صوبت لجسدها، كل بصمة غير مرئية؟ شدت(مايا) من كمي الهودي، وكرمشته في يديها. داعب الهواء خصلات شعرها الرطبة، ولم تأبه باحتمالية إصابتها بالبرد. فقد يعطيها ذلك عذر أن تمكث في سريرها بضعة أيام ولا تكلم أحد.

خرج(كريم) إليها وجلس في الكرسي المواجه لها. "صباح الخير."

"صباح النور."

"عاملة إيه النهاردة؟"

هزت(مايا) كتفها واحتست من كوبها. "عادي."

"علي جاي؟"

ارتعش وجهها عبوسا من النغز الذي صاحب ذكر اسم علي. "في الطريق."
"طب كفاية نكد بقى. الواد شاف نكد كفاية الكام يوم دول. لما يبجي حاولي

تهزري شوية عشان يتظمن."

تجاهلته(مايا) ونظرت بعيدا، مصوبة نظرها للشارع. كانا يسكنا بشارع جانبي بعيد عن الضجة والزحمة، وحاولت أن تستمتع بصوت العصافير وحفيف أوراق الشجر وتستمد منه بعض السكينة، ولكن ما كان يدور برأسها كان أقوى من ذلك. لن تستطيع أن تمزح مع(علي)عندما يصل. هل ستستطيع فعل ذلك مجددا؟ هل ستستطيع أن تنسى فعلتها، وتعامل بطريقة طبيعية معه؟

شكت(مايا) بذلك. لم تشعر بمثل هذا الإحساس من قبل، ولم تكن تدر إن كان سيمر. رهبت وصول(علي)اليوم، وجلست مرتابة، تشعر بتوتر عقد أحشائها وكتم

من نفسها. ارتشفت من كوبها في صمت، تراقب الشارع وتترقب رؤية سيارته. من المؤكد أن شكلها كان بشع، بوجهها الخالي من أي شيء، وعينيها المتورمتين، ولكنها وجدت نفسها لا تأبه بذلك.

"مايا. استرجعها صوت (كريم) للشرفة. "ماما هتظبط الدنيا، ماشي؟ هتتكلم مع بابا وتقنعه."

أومأت (مايا) برأسها ولم ترد، فقط جلست تنظر للشارع. فقط عندما لمحت سيارة (علي) تدخل شارعها وتركن، اعتدلت في جلستها وحاولت أن تهديء من قلبها الذي تسارعت نبضاته. وضعت كوبها الفارغ على المائدة ومسحت وجهها بيديها، ولم تستطع إيقاف رجلها من الاهتزاز.

مرت بضعة دقائق، وسمعت (مايا) جرس الباب يرن. ذهب (كريم) ليفتحه، وأخذت (مايا) نفس عميق حتى يهدأ قلبها وتسكن بطنها برهة. سمعت صوته وهمت لتقف غصبا عنها ولكنها قبضت ذراعي الكرسي بيدها وظلت جالسة. ظهر في مرمى بصرها واتجه ناحيتها، وابتسمت له (مايا) ابتسامة مرتعشة.

"صباح الخير يا قلبي." مسح بيده على ظهرها وجلس على كرسي بجانبها. "عاملة إيه النهاردة؟" تفقد وجهها وتنهد. "عيطي تاني، صح؟"

أومأت برأسها. "معلش، متضايقه شوية."

لف (علي) ذراعه حولها وضمها له، ومسح بيده على ذراعها. "كل حاجة هتبقى تمام، ماتخافيش."

اغمضت (مايا) عينيها وتركت موجة الألم والخزي تجتاحها وتمر من فوقها. لم يكن سيقول ذلك اذا علم بفعلتها. حاولت أن تكبت حزنها وتستمتع بتلك اللحظة وذراعه حولها، ولكنها سمعا صوت أمها ونادين وكريم متجه لهما، وسحب (علي) ذراعه من حولها واعتدل في جلسته.

"أهلا يا علي." ابتسمت له أمها ورفعت(مايا) كويها من أعلى المائدة حتى تضع أمها ونادين الصانيتين عليها. "صباح الخير يا حبيبي. جيت في وقتك." غضبت(مايا) قليلا من أسلوب أمها الحميمي مع علي. تفاؤل(علي)كان معذور لعدم معرفته بأبيها، ولكن لماذا تعاملت أمها وكأن(علي)قد حصل على موافقة أبيها؟ لماذا كانت تعطيها أمل؟ لم تكن قد هدأت(مايا) تجاه أمها منذ البارحة، فقط لم يكن لديها طاقة للتعامل معها، ولم ترد أن تتشاجر معها أمام علي.

"صباح النور يا طنط." بادلها(علي)ابتسامة. "معلى طيب عليكوا بدري النهاردة."

"تيجي وقت ما تحب." ربتت(مايا) على رجله وقابلت عيني أمها بنظرة بها بعض من التحدي. "واحنا متفقين من امبارح."

"لا، بس بصراحة." جلس(كريم) على ذراع كرسي أمها وضحك. "مايا عمرها ما بتصحى بدري كده. إنها عملتلك كده دي حاجة كبيرة يعني."

"بس يا زفت." صوبت(مايا) نظرتها المكفهرة لعلي عندما ضحك. "واسكت انت كمان."

"أنا ماقولتش حاجة." شرعوا جميعا في تحضير أطبقاهم، ووجدت(مايا) نفسها تتفقد طبق(علي)لترى إن كان قد أخذ لنفسه ما يكفيه من الطعام أم لا، ولم تتذكر إن كانت اهتمت بشيء كذلك من قبل. فقدت شهيتها عندما تذكرت بما قابلت تميز علي، وكيف ستظل وصمة العار تلك في ذهنها طوال علاقتها.

"مابتاكلش ليه يا(مايا)؟"

رفعت عينيها لنادين وهزت رأسها. "مش جعانة أوي."

"مايا." تحدث(علي)بنبرة هادئة ولكن صارمة. "انتي ماكلتيش تقريبا من أول امبارح. لو سمحتي كلي عشان ماتتعبيش تاني."

"هتعب لو كلت." رفعت يديها لتوقفه قبل أن يعارضها. "هاكل حاجة بسيطة. (كريم)، حطلي شوية جبنة على التوست."

"شوية جبنة على توست." قلدها(نادين). "إيه، بتحاولي تبقي بنت وماتاكلش كثير قدام علي؟"

"ماتاكلش كثير قدام(علي)إيه." ضحك علي. "دي مرة كلت بيتزا وسط لوحدها قدامي، ومارضيتش تديني حته واحده."

"كنت ماكالتش طول اليوم." ضربته على كتفه ووجدت نفسها مبتسمة دون أن تدري. "وانت كلت واحدة كبيرة لوحذك، مالك بقي؟"

"يبقى كلي أكثر من واحدة توست." وضع لها(علي)بيضه مسلوقة بطبقها. "عشان خاطر." "

"طب خلاص كده." دفعت بيده بعيدا عندما حاول أن يضع بيضة أخرى في طبقها. "مش هاكل أكثر من كده."

رن الجرس مرة أخرى، وانعقد جين أمها. "مين ممكن يبجي دلوقتي؟" نظرت لمايا وكريم. "حد فيكوا طالب حاجة؟"

"لأ." رد عليها(كريم) وهزت(مايا) رأسها. "هقوم اشوف مين."

أكلت(مايا) أكلها، ودفعت بيد(علي)بعيدا مجددا عندما حاول أن يضع مزيدا من الطعام في طبقها، ولكن اختفت ابتسامتها، وصار الأكل كالحجر في معدتها عندما رأت زائرهم. "بابا؟"

ابتسم أبوها تلك الابتسامة التي طالما رهبتها منذ طفولتها. "و ماחדش فكر يعزمني؟ إخص عليكوا."

انقبض قلب(ملك)وارتعشت يديها وهي تضع طبقها على المائدة. "هاشم،
مأعرفش إنك جاي."

"واضح." أبقى تلك الابتسامة على وجهه التي لطالما جعلتها تشعر بالغبثيان،
ووجه نظره لعلي. "إيه يا علي؟ باباك ما قالاكش إن عيب تيجي بيت مأفوش
راجل؟"

لمحت(ملك)عبوس وجه(كريم) الذي ظل ساكت. "عندنا راجل في البيت.
واحنا اللي عازمين(علي)عالفطار."

تجاهلها(هاشم)ونظر لمايا. "هو احنا مش كنا اتكلمنا وقولتلك إن الموضوع ده
انتهى؟"

"بابا-"

تجهم وجهه. "هو أنا مش عشان في البيت ده كلامي ما يتسمعش!"
"اديله فرصة!" صاحت به(مايا) وبدأت دموعها في الانهار. "انت ماتكلمتش
معاه حتى!"

"ماشي يا ستي." تنهد(هاشم)ولف بجسده ليوأجه(علي)الذي قد وقف ووجه
نظره للأرض. "علي، شقتك فين؟"
"ما عنديش شقة يا فندم."

أغمضت(ملك)عينها حتى لا ترى الذل على وجه(علي)والقهرة على وجه
ابتها. ولكنها سمعت(هاشم)وهو يكمل حديثه. "محوش عشان تجيب شقة؟"
و سمعت أيضا نبرة(علي)المليئة بالخزي، وأنين ابتها الخفيف. "لأ، يا فندم،
مأعيش يكمل."

"معاك كام؟"

انقبض قلب ملك. لماذا كان يفعل ذلك؟ لماذا كان يتلذذ في إهانة غيره؟
"حوالي ثلاثين ألف."

فتحت (ملك) عينيها لترى (هاشم) يتسهم ساخرا وينظر لمايا. "و ده هيجيبلك
بيهم ذهب صيني؟" نظر لعلي مجددا، الذي كان مازال ينظر للأرض. "مايا بشكل
أسبوعي بييجوا ناس يطلبوا إيدها مني. ناس يقدروا يعيشوها في أحسن فيلا في
أحسن كومبانود، ويركبوها أحسن عربيّة، ويدفعوها مهر بالملايين. انت شايف إن
واحدة زيا قيمتها ثلاثين ألف؟"

"بعد إذنكوا." خطأ (علي) حول (هاشم) واتجه للباب، وانفض جسده عندما
نشجت (مايا) وزاد بكاءها. اهتاج الغضب داخل ملك، وكادت تقف وتضرب
هاشم. بالفعل كانت تنكيء على ذراع كرسيها حين وقف (علي) في منتصف صالونهم
وتلفت لهاشم. "ردا على سؤال حضرتك، (مايا) متقدرش بتلاتين ألف، ولا الفيلا
ولا العربية ولا الملايين اللي هتدفع في مهرها. (مايا) ماتتقدرش بفلوس. بنت
حضرتك بالنسبالي أغلى من أي حاجة، وأنا بقدرها بحبي ليها ومعزتها عندي
واحترامي ليها." سكت علي، وأوما برأسه. "بعد إذنكوا."

انتظرت (ملك) حتى سمعت باب الشقة يقفل وراء علي، وقامت
لتواجه (هاشم) بوجه متجهم وسخط نائر يضخ في جسمها كله. "عقدة النقص اللي
عندك دي مش هتروح أبدا."

"مايا، (كريم). "شدت (نادين) (كريم) من ذراعه وأشاحت لمايا. "تعالوا جوا
معايا."

اسند (كريم) (مايا) واتجهوا هم الثلاثة للدخل. لاحظت (ملك) تتبع
عيني (هاشم) لنادين وشعرت بغثيان. التفت إليها وقد محى من على وجهه أي مظاهر
للتحضر. "ما طبعا، هاجي والاقيكى جايبه رجالة البيت."

تحكمت(مايا) في وجهها حتى لا يظهر عليه أثر كلماته. "ابني في البيت، والولد
جه يتظمن عليها بعد اللي حصلها امبارح. فيها إيه؟"
"فيها إني قولت إن الجوازة دي مش هتتم." لمعت عيناه غضبا. "كام مرة
هحذرك إنك ماتكسر يليس كلمة؟"

"بتتك مقهورة بسبب الموضوع ده." راقبت وجهه لترى إن كان سيتأثر
بكلامها، ولكنه خيب أملها. "فالقة نفسها من العياط من امبارح، وانت مش فارق
معاك أصلا."

"هي شبطانة فيه بس مش أكثر." أشاح بيده مستهزئا. "هتاخدي بكلام عيلة؟
هتفضل كده شوية لحد ما تتلهي في أي حاجة."

استشاطت(ملك)(غیظا). "هو انت لازم تبوظ حياة كل الناس اللي حواليك؟"
"أنا بحميها من حياة هتندم عليها بعد كده." رمقها(هاشم)بنظرة. "زي ما
حميت أمها."

"تبقى مجنون لو فاكر إن انت كده حميتني." ردت عليه. "أنا عشت أوحش
سينين حياتي معاك، وانت عارف كده كويس."

"ده على أساس العيشة مع الزفت الثاني ده كانت هتبقى أحسن؟"
"بمراحل!"

دحرج(هاشم)عينيه وأشاح بيده. "عشان شوفتیه بقى هتقعدي تحني وتعملي.
كبرتي على الهبل ده يا(ملك)والله."

رسمت له على وجهها ابتسامة كلها استحقار واستهزاء. "ده على أساس انت
اللي عايش سنك أوي؟"

"ملك." أدخل بنبرته التهديد، واقترب منها. تحكمت(ملك)في جسدها حتى
لا يرتعش، ولكن بداخلها اهتاج الغثيان والتقرز والنفور. طالما كرهت اقترابه منها.

"ماتنسيش نفسك. ماتنسيش اللي ممكن اعملوا فيكي. انسوا إني اناسب الشخص ده."
ده.

"فكر في بتك-"

"تتحرق بتي." همسها بصوت واط يحمل قسوة، وامتعضت (ملك) منه، ومن نفسها، أنها يوما ما وافقت أن تزوجه، وانجبت منه طفلين. "تتحرق هي وتتحرقوا كلكوا. الموضوع ده انتهى."

تركها واتجه لباب الشقة. تبعته ملك. "لأ، ماخلصش يا هاشم."
تجاهلها، وفتح باب الشقة، ورزعه خلفه.

بدأ جسدها بالارتعاش، وشعرت بحمل كل شيء حدث منذ البارحة يتفاقم بداخلها، حتى نشجت وشرعت في البكاء. كانت تكرهه، وتكره لحظة الضعف التي استسلمت فيها لضغطه هو وأمها عليها حتى تقبل عرضه بالزواج، وتكره أنه غضبها وابتزها حتى تقبل. تكره أنها خسرت معركتها ضده هو وأمها، وأن كل ذلك حدث بسبب تخلي (يوسف) عنها.

اجتاحت الوحدة والألم ملك. الجميع كانوا يتركونها. الجميع كانوا يتخلون عنها. كتب لملك أن تقضي حياتها في محاولة لفهم عيبتها الذي يجعل الجميع يتخلي عنها، والآن، وبعد نصف قرن على قيد تلك الحياة، لم تكن أقرب لاكتشاف العيب، وأوشكت أن تفقد الأمل في ذلك الأمر.

تخلي عنها (يوسف). تخلي عنها وحلمها. رمى سنين ووعود وحب يستطيع أن يسرد في روايات تكفي مكاتب كاملة، ومشى. لماذا؟ هل كانت لم تحبه بما يكفي؟ لا. هل أظهرت أي تردد؟ لا. كانت مخلصه، وصريحة، وكانت قد استأتمته على قلبها، وأعطته ثقتها. وهو، هو وعداها الا يتركها، حتى في أحلك اللحظات، وعداها أنه

سيظل بجانبها. وفجأة، استيقظت (ملك) لتجده قد شد الرحال، خالفا لإثره حطام قلبها وحلمها.

والآن، بسببها - شائت أم أبت - سينفطر قلب ابنتها، وستحيا حياة خالية من أي شيء. قد تكون (مايا) مدللة، ولكن (علي) كان قد أنقب داخلها واكتشف أبعاد ربا لم تعرفها (مايا) نفسها. غير (علي) شيء جذري بابنتها، وعلمت (ملك) أنها لن ترجع كما كانت إذا لم تكمل حياتها مع علي. سنتطفيء، وربما يصيبها سوء. ستخسر ابنتها في كل الأحوال، وستخسر (مايا) نفسها، القديمة والتي تم العثور عليها حديثا.

لن تقبل (ملك) بذلك. لن تقبل أن تذبل ابنتها أمام عينيها. لم تكن مكبلة الأيدي. تعهدت (ملك) أن تزوج ابنتها من علي. لم تكن تعرف بعد كيف ستحقق ذلك، ولكنها كانت ستحققه. لن تيأس، وراودها ظن يكاد يكون مؤكدا، أن (علي) لن ييأس أيضا.

وقف(علي) في الدش بحمام بيته، وترك المياه تتدفق على رأسه وجسمه. لم يكن قد هداً منذ رجوعه من بيت(مايا)، بعد مقابلته لأبيها وكلماته له. مازال قلبه يعتصر في صدره، ويتعسر نفسه. لسنين عدة، لم يشعر(علي) أنه أقل من أي شخص آخر. دخل جامعة يستطيع أبيه تدبر مصاريفها، وملابسه وإن كانت ليست غالية، فلم تكن رديئة. مضى سبعة أشهر على توظيفه في شركة ألمانية، وكان من أشطر المهندسين هناك. لم يكن أقل من معظم معارفه، وكثير من أصدقائه كانت ظروفهم أصعب وتزوجوا.

فلم كان حظه أن يقابل(مايا)، ويجبها، ويتقبل ما كان يتقبله ويغض البصر عنه، فقط ليشعره أبوها أنه حثالة المجتمع؟ ماذا فعل حتى يكتب له القدر كل تلك الإهانة والذل؟ قد راعى الله في(مايا)، واحترمها ولم يتخل عن مبادئه حتى عندما كانت تعطيه تلميحات أن تلك الأمور متاحة. لم يكن يريد أن يفعل معها ما كانت فعلته من قبل، حتى تختلف تجربتها معه عنهم.

مسح(علي) وجهه وحاول أن يستسلم للمياه ويجعلها تهدئه، ولكنه كان ينهار تحت تراكمات الأيام الماضية؛ زيارتهم القصيرة لأبيها وما كشف يومها، شجاره مع أبيه، إحساسه بالذنب تجاه ما قاله، تعب(مايا) وانهارها، وأخيراً ما قاله له والد(مايا). تذكر تلك الكلمات، وأنها قيلت أمام(مايا) وأهلها، وشعر بالغضب يغمره من جديد، حتى قبض يده ولكم الحائط. كيف سيستطيع اجتياز تلك اللحظة؟ كيف سيواجه(مايا) وعائلتها الآن؟ كيف سيستطيع أن يناسب رجل أهانه بتلك الطريقة؟ ظلت كل تلك التساؤلات تدور برأسه، حتى بردت المياه وبدأ أن يرتجف. أغلق(علي) الماء، وخرج من الدش. لم تحاول(مايا) أن تتصل به منذ ترك بيتها، وهو

الأخر لم يكن مستعد لأي نقاش معها. كان يريد أن يأخذ استراحة من كل تلك الأمور.

جفف (علي) جسده، وارتدى ملابس بيتية واتجه لغرفته. قرر أن يقضي باقي يومه فيها، وربما يمد عزلته لليوم التالي. أراد أن يريح أعصابه قبل ذهابه للعمل بعد يومين. دخل (علي) غرفته، وكنم التنهيدة التي كادت تنبث منه عندما رأى أباه يجلس على سريره في انتظاره. لم يكن يريد التحدث معه، ولا إعلامه بما تم. كان يريد فقط أن يستلقي في سريره ويسكت ذهنه.

" رجعت بدري أوي. " ربت أبوه على السرير بجانبه. " حصل حاجة؟ "
" مش عايز اتكلم في الموضوع. " لم يتذكر إن وجد من قبل بينهما تلك الفجوة.
لطالما كان أبوه صديقه الأول؛ يحكي له كل شيء ويقدر رأيه، ولكن الآن شعر (علي) أنه لا يعرف أباه، وأنه لا يحترم طريقة تفكيره واختياره للأمور السهلة. لم يكن يشعر أن رأيه سديد وسفيده، وكره (علي) ذلك.

أوماً أبوه برأسه وحل على وجهه خيبة الأمل، التي اخترقت قلب (علي) وجعلته يشعر بضيق أكثر. " تمام. " وقف واتجه بخطوات بطيئة للباب. " لما تبقى عايز تتكلم ابقى قوللي. "

" هو انت بينك وبين (هاشم) إيه؟ "

وقف أبوه واستدار ليوواجهه. " بتسأل ليه؟ "

" عشان مش طبيعي كرهه لينا ده. " هز (علي) رأسه. " هو كان بيحب أم (مايا)

وانت خدتها منه؟ "

" هاشم عمره ما حب ملك. " اكفهر وجه أبيه. " هو بس بيحب كل حاجة

تبقى بتاعته، وإزاي وإزاي ولد شحات من سرايا القبة يبقى أحسن منه في الدفعة

وكان يحب جارتها الي عينه كانت عليها. "

"يعني هو كان فيه بينهم حاجة وهي سابتة عشانك؟"
"ولا كانت بتكلمه أصلا." تنهد أبوه. "هو كان بيراقبها من بعيد بس
ماقدرش يكلمها، ولما عرف إن فيه حاجة بيننا ابتدى يحوم."
كانت قد ارتسمت في ذهن(علي)صورة لوالد(مايا)، تتضح أكثر فأكثر كل يوم،
وقد بدأ أن يتخلله اليأس حيال أمر زواجه من(مايا). دعك(علي)وجبه وزفر نفس
عميق. ليس بيده أن يفعل أي شيء الآن، ليس بعد ما قاله أبوها. سيضطر أن ينتظر رد
فعل منها أو من أمها.

"لما تبقى عايز تحكي، أنا قاعد برا."

أوما(علي)برأسه. "أنا بس عايز افصل شوية."

"ماشي، ربح شوية وأنا هحضر الغدا النهاردة. ابقى اصحيك ساعتها؟"

"ماشي."

ذهب أبوه، وامتزج إحساسه بالذنب براحته لوجوده بمفرده الآن في غرفته.
استلقى(علي)في سريره وتجاهل رسائل أصدقائه، وصمت(مايا) التام سواء كرسائل أو
مكالمات. تصفح الفيسبوك ثم بدأ أن ينعس. لم يقاوم النوم، ودعه يأخذه بعيدا عن كل
تلك المشاكل.

ساد صمت تام في بيت(ملك)ذلك اليوم. تركتهم(نادين) بضعة ساعات بعد
مغادرة هاشم، وعزلت(مايا) نفسها في غرفتها. حاول(كريم) أن يجلس
مع(ملك)ويشغلها، ولكنه شعر بتشتتها ورغبتها أن تكون بمفردها، وذهب لغرفته ولم
يخرج منها حتى الآن. جلست(ملك)نفسها في غرفتها، مستلقاة على سريرها، تفكر في
طرق لحل مشكلة(مايا)وعلي.

تسللت يدها تجاه موبايلها على منضدة السرير، ولكنها قبضتها وأبقتها بجانبها. لا، لن تكلم (يوسف) وتطلب منه أن يفكروا سويا. لن تفعل ذلك. هو الذي أخذ رقمها، هو الذي وجب عليه أن يتصل بها. زفرت (ملك) نفس ضيقا ونهرت نفسها. هل كانت طفلة حتى تفكر بتلك الطريقة؟ هل رجعت بالزمن وصارت شابة جامعية؟ لن تفكر في (يوسف) بتلك الطريقة.

و لكنها تذكرت وقت كانت قد سمحت لنفسها أن تفكر فيه بتلك الطريقة. تذكرت تعليقات (كارولين) لها ذلك اليوم، عندما توترت من وقفتهما معه وهو يحاول أن يجد لهم تاكسي، وخشيت أن تقول شيء محرج، وذهبت هي لتوقف التاكسي. تذكرت كيف نفت اهتمامها بذلك الشاب الذي قد قابلته لأول مرة منذ قليل، واستخفت بكلام كارولين.

تذكرت كيف بدأت في التركيز وهي في الحرم الجامعي، تتفقد الناس حولها لتلمحه، وكيف كانت تنظر بعيدا وتتظاهر أنها لم تره. مر أسبوعان، ولم يحاول (يوسف) أن يتحدث معها، حتى بدأت أن تفقد الأمل، ونهرت نفسها على عشمها الزائد، ولامت (كارولين) أنها من أعطتها ذلك الأمل الزائف.

كانت (ملك) بطريقها لبوابة الجامعة ذات يوم، بعد أن انتهت من محاضراتها، عندما سمعت اسمها ينادى. "ملك!"

تلقتت حولها، حتى لمحت (يوسف) يسرع تجاهها، وارتبكت (ملك) وكادت توقع كتبها وكشاكيلها من يدها. شدت بلوزتها حتى لا تكون مكرمشة، وعدلت من شعرها. "أهلا يا (يوسف)." "

وقف أمامها وبادرها بابتسامة مرتعشة. "أنا كنت معدي وشوفتك، حبيت أسلم عليك." "

كادت أن تجزم أنه رآها ما لا يقل عن خمس مرات في الأسبوعين الماضيين، ولم يحاول أن يسلم عليها. "عامل إيه؟"

"تمام الحمد لله. عدل من نظارته. "وانتي؟"

"كويسة الحمد لله. "ظلا ساكتين برهة. "إيه أخبار المحاضرات؟"

"ماشية الحمد لله. "لاحظت (مايا) ارتعاش يديه، واحمرار وجنتاه. "انتي كنتي

مروحة؟"

"اه، خلصت المحاضرات وكنت هروح بقى، (كارولين) لسه قدامها كثير. "

"طب أنا كده كده مروح برضه. "زادت وجنتاه احمرارا. "ينفع امشي معاكي

لحد البوابة واقف معاكي وانتي بتوقفي تاكسي؟"

"اه، أكيد. "أومأت (ملك) برأسها، وشرعا في المشي تجاه البوابة. لم تجد شيء

لتقوله، وظل هو أيضا صامتا. لماذا جاء ليسلم عليها ويرافقها للبوابة وهو لم يحضر

شيء لقوله؟ لماذا وضعها في تلك اللحظة المحرجة؟

"قوليلي بقى. "قالها فجأة وهو على مسافة بضعة أمتار من البوابة. "اشمعى

سياسة واقتصاد؟"

أحسن من مافيش. "عايزة أقدم في الخارجية. من وأنا صغيرة بابا بيقولي إني انفع

ابقى سفيرة، أو اشتغل في السلك الدبلوماسي. "

"بس أنا سمعت إن امتحاناتها صعبة أوي. "

"ما أكيد. "هل كان من الشباب الذين يروا أن المرأة أقل ذكاء من الرجل

ومكانها المطبخ؟ "بس هذاكر وامتحن. إيه المشكلة؟"

"مافيش مشكلة خالص. "هز رأسه. "و(كارولين) بتقولي إنك شاطرة، أكيد

هتعددي من الإمتحانات. "

"يارب. "نظرت له ملك. "وانت ليه دخلت تجارة؟"

"أهو." أشاح بيده. "شغلها كثير، ف مش هتعب عشان الاقي شغل لما اتخرج."

"وعايز تشتغل إيه؟"

"أي حاجة." هز كتفيه. "اللي يجيبه ربنا كويس." سكت برهة، وربما قرأ على وجهها عدم الانبهار به وبطريقة تفكيره في مستقبله. "بس لو محاسبة يبقى حلو أوي."

"ربنا يوفقك."

ظل ساكت برهة، حتى وصلوا للبوابة. "كارولين بتقولي إنك بتحبي تقري." "اه، ليا في إحسان ونجيب محفوظ." بدأت تتفقد الشارع، وتحاول أن تلمح تاكسي سينقذها من تلك المحادثة المخرجة.

"ماقرتيش لإحسان." رد(يوسف). "بس بحب نجيب محفوظ. والعقاد برضه."

"ماقريتلوش."

"ده عظيم. ممكن ابقى اجييلك حاجة من عندي تقريها." كان يحاول. أدركت(ملك)ذلك، حاولت أن تلين من حدة تعابيرها، وتتجاوب معه. "ماشي، وأنا هبقى اجييلك حاجة لإحسان."

"خلاص اتفقنا." ابتسم لها ابتسامة عريضة. "كان بقالي فترة بفكر اقراله."

"هو بجد حاجته حلوة." وصلا للشارع. "هستنى اعرف رأيك."

"وانتي كمان ابقى قوليلي رأيك."

"أكيد." ابتسمت له ملك. "ليك في إيه تاني؟"

"المزيكا." لاحظت توقف ارتعاش يديه، واعتدال نبرته وذهاب التوتر منها.

"انتي بتحبي تسمعي إيه؟"

"مش حاجة معينة." لمحت بعينها تاكسي قادم وتجاهلته. "بس بحب فرانك سيناترا أوي. وفيروز. وأم كلثوم أكيد."

"أنا بحب سيناترا برضه." دخل بعض الحماس في صوته ووجدت (ملك) أنها لا تريد أن ترحل. "وكل اللي قولتيهم عامة. وعبد الحلیم برضه وعبد المطلب."

"كل القدام يعني."

"ليهم جو تاني كده." رفع يده وحك رأسه من الخلف. "بحب أقعد اسمعهم بالليل في البلکونة على رواقه كده."

"خلاص ابقى قوللي إيه الحلو وأنا هشتري شرايطهم." تجاهلت تاكسي آخر.

"أنا ماسمعتش لعبد الوهاب قبل كده، ولا عبد المطلب."

"مع الكتاب هجيبك شريط."

اتسعت ابتسامة ملك. "تمام اتفقنا."

"علي."

رفض (علي) أن يعترف بذلك الصوت، وأنه ليس جزء من أحلامه. غاص بوجهه أكثر في وسادته.

"علي، اصحى يابني."

لأ.

"يابني انت نايم بقالك يومين، اصحى."

وليته يستطيع أن ينام لمدة أسبوع كامل. لم يكن يريد أن يذهب للعمل غدا. لم يكن يريد أن يتعامل مع بشر، ويبدل مجهود، ويستعمل عقله فقط كان يريد النوم.

"هو مش راضي يصحى؟"

فتح(علي) عينيه وتسارعت دقات قلبه. ماذا كان يفعل ذلك الصوت الآخر هنا؟
في غرفته؟

"من امبارح." رد أبوه. "يصحى خمس دقائق وينام تاني."

علي. "أغمض عينيه عند سماعه ذلك الصوت مجددا. "اصحى، أنا جيت."

ظل(علي) في مكانه لبضعة ثواني أخرى، يتشبث بآخر لحظات الراحة، ثم قام من

نومته واعتدل في جلسته. "أنا صحيت." صوب نظره لمايا. "هاي."

"هاي." نظرت لأبيه ثم رجعت بنظرها له. "أنا هستنى برا."

أوما(علي) برأسه. "ماشي، هفوق واجيلك نطلع نقعد فوق."

"أوكي." قالتها، وظلت تنظر له برهة، ثم وضعت يديها في جيب الهودي الذي

سرقته منه، وخرجت من الغرفة. مسح(علي) وجهه بيديه، ونظر لأبيه.

"انت كلمتها؟"

"خالص." هز أبوه رأسه. "أنا قاعد في أمانة الله لقيت الباب بيخبط. بتقولي

من امبارح بتحاول توصلك مش عارفة."

"اه، ما أنا عملت الموبايل silent عشان ماسمعش حاجة." ثئاب علي، وقام

من سريره. "هطلعها دلوقتي. اسبقني بس عشان ماتقعدش لوحدها."

"ماشي، ماتتأخرش."

أوما(علي) برأسه، وانتظر ذهاب أبيه قبل أن يستلقي مجددا في السرير. ماذا

سيفعل الآن؟ كانت قد جاءت له (مايا) حتى بيته. لن يستطيع أن يتهرب منها الآن.

لن يستطيع أن يتجاهل مكالماتها ورسائلها ويكمل نومه. سيضطر أن يواجهها

ويتحدث معها عما حدث. هل جاءت لتنتهي علاقتهما؟ تذكر البؤس الذي قد سلب

الحياة من ملاحظها البارحة وقبلها بيوم. تذكر الوجه الشاحب، والجسد والصوت الخاليين من الطاقة والأمل.

حسنًا، سيجلس معها ويفهم.

قام (علي) من سريره وتجاهل اعتراض جسده وترجيه له أن يرجع مجددًا لراحة ودفء السرير. ارتعش (علي) قليلاً من البرد، وارتدى هودي آخر. ذهب سريعاً للحمام ليغسل وجهه، ورأى فيه البؤس وخيبة الأمل ذاتها. تنهد وجفف وجهه بالمنشفة، ثم خرج ليقابلها.

كانت تتهامس هي وأبيه في غرفة المعيشة، ووقفت كلامها عندما رأته ووقفت.

"يلا بينا؟"

"يلا." تنهدا علي، ومشى بجانبها حتى وصلا لباب الشقة، وتبعها وهما يصعدان السلم، في صمت تام.

أقبل (علي) الباب وراءهما، واتجها للمصطبة. جلسا في صمت لبضع دقائق، وشعر بالرهبة في مكان دفين بداخله، وتفاقت تلك الرهبة حتى تفشت به. مسح وجهه بيديه وأخذ نفس عميق زفره ببطء.

تعسرت نبضات قلبه حين شعر بيد (مايا) تمسك يده. "أنا مش عارفة أقولك إيه عالي بابايا قاله." ارتعش صوتها وأغمض (علي) عينيه. "مش عارفة اتأسفلك حتى.

أنا مش عارفة ليه هو يفكر كده، وليه رباني كده وزرع فيا ده."

جز (علي) على أسنانه ليلجم الألم الذي عصف به إثر كلماتها. كانت مقتنعة بكلام أبيها؟ كان ذلك اسوأ بكثير مما توقعه. علم منذ البداية أن (مايا) سطحية بعض الشيء في مثل تلك الأشياء، ولكنه كان قد بدأ يعتقد أنها تغيرت في خلال تلك الشهور. هل كان مخطئاً؟

أكملت (مايا) كلامها. "بس أنا مش شايفة إن اللي عمله صح. هو خايف عليا وأنا فاهمة ده، بس ماكانش ينفع يتكلم معاك كده." "بس الفكرة تمام بالنسبالك؟" وجه نظره لها ولم يستطع منع الحدة من صوته، وإن كان آله قلبه لجفلتها من كلماته وتركه يدها. "شايفة إن أنا لازم اعيشك في فيلا زي اللي عايش فيها واجييلك عربية وادفع مهر كام مليون؟" "علي، أنا -"

"طب لو انتي شايفة كده من الأول كملتي معايا ليه؟" بدأ أن يغضب بحق، غضب نابع من ألم كاد أن يقطع أنفاسه. "أنا قولتلك ظروف من أول يوم. قولتلك أنا عايش فين ومستوايا إليه. وجيتي وشوفتي البيت والحارة اللي اترتيت فيها، وركبتي عربيتي المبهدلة، وعارفة أنا بقبض كام. لو كل ده ماكانش يناسبك ليه كملتي وبعدين وافقتي تتجوزيني وخليتيني آجي اتقدم؟ ولما سألتك عن باباكي مارضتيش تقولي وقعدتي تقولي إنك ماتعرفيش، وصدقتك يا (مايا). بس انتي كتي عارفة، وكتتي متوترة قبلها بطريقة مبالغ فيها."

"ماكتتش عارفة إنه هيبقى بشع كده!" بكت (مايا)، ونظر (علي) بعيدا. "أنا ماكتتش اعرف إنه هيكلمك بالطريقة دي! وأنا متأكدة إنه بيعمل كده عشان حوار مامتي وباباك، مش عشان ظروفك." "بس انتي موافقاه في ظروف في؟" "أنا ماقولتش"

"لا، انتي قولتي." قاطعها (علي) ونظر إليها مجددا. "قولتي إنك فاهمة إنه عمل كده عشان خايف عليك، بعدين جاية بتقولي دلوقتي إنه عمل كده عشان حوار بابايا ومامتك. ف ده معناه إنه كده كان هيرفض، بس يمكن من غير ما يذلني ويحسني إني زبالة."

"انت مافيش حاجة تتذل عليها!" حاولت أن تدخل بعض الصرامة في صوتها.

"وانت مش زبالة، ومش مستني حد ولا حتى أنا عشان اقولك انت كبير قد إيه!"
"هو اه أنا مش محتاجك تقولي ده عشان أنا عارفه." تجاهل جفلتها. "بس

عالأقل لما آجي اتجوز مش هتجوز واحدة شايفاني مش قد المقام."
"انت إيه اللي انت بتقوله ده!" صرخت به. "من امتى أنا شايفاك كده؟ انت

مش هتسالي الخناقة بتاعة الهدوم دي، صح؟"
"مايا، مش عايز هبل!" بدأ صوته هو الآخر أن يعلو. "خناقة هدوم إيه؟ أنا
بتكلم عالي بتقوله دلوقتي. انتي جاية النهاردة تبريله وتفتعيني إنه صح وإنني مش
مناسب؟"

"إيه الهبل اللي بتقوله ده!"

"ماهو ده اللي انتي بتقوله!"

"أنا ماقولتش كده! انت مش مديني فرصة اتكلم أصلاً!"

"انفضلي." اسند ظهره على الصور وعقد ذراعيه على صدره. "اتكلمي."
"ما انت وترتني!" رفعت قدميها وثبتتها على المصطبة، ودفت وجهها بين
ركبتيها. "وانت عارف إني مش بعرف اتكلم بسهولة أصلاً، وشايف حالي كان عامل
إزاي بقالي كام يوم."

بدأ أن يتلاشى غضبه، ولكن كبريائه جعله يتشبث بفتاته، وأن يجمع من تأثره
ببكاؤها وحزنها. "ما أنا بخليكي ماتتكلميش كثير. المرة دي مش قادر."

ساد الصمت في السطح، مقطوع فقط بضجة الشارع ونشيج (مايا) المتقطع.
مسح (علي) وجهه وأغمض عينيه، وحاول أن يعد نفسه لنهايته هو ومايا.

"أنا كنت شايفة إنه صح." تحدثت بصوت خافت اخترق قلبه. "ومش عارفة
احدد أنا مقتنعة بإيه دلوقتي. مش عارفة كل المشاكل دي ينفع تتحل ولا لأ. مش

عارفة هعرف اعيش في مستوى أقل من اللي بابايا عايزهوي ولا لأ. في حاجات كثير أوي يا(علي)مابقتش عارفاها. حاجات أنا كنت مقتنعة بيها جدا بقت دلوقتي مش واثقة فيها. حاجات أنا كنت ضدها بقيت متفتحة ليها شوية. حاجات ماجاتش على بالي أصلا قبل كده بقيت بفكر فيها. أنا مش فاهمة نفسي، ومش عارفة افكر."

انقبض قلبه، وبدأت عيناه أن تدمع، وقبض يديه شديدا كمحاولة منه أن يتحكم بالغضب والألم اللذين بداخله.

"بس في حاجات أنا عارفاها."

بصيص أمل، سحقه(علي)قبل أن ينتشر، ولكنه تسرب كالماء من بين قبضته... سمع نفس(مايا) المرتعش، وشعر بذلك الارتعاش يمتد لجسدها، وحدته حدسه وأخبره أن ما كانت ستنتطق به الآن كان يستهلك كل قوتها وشجاعته. كانت(مايا) تعد نفسها أن تترك أمان أسوارها المشيدة، والتي لم ينجح(علي)طوال الأشهر الماضية في هدمها، وارتعد قلبه في صدره رهبة وترقب.

ظلت(مايا) ساكنة بضع دقائق، تأخذ نفس عميق كأنها ستتحدث، وتشد أوتار قلب(علي)معها، ثم تكمل صمتها وترخي قبضتها. وجلس(علي)وشعر أنه على حافة الهاوية، وإلا ستدفعه(مايا) فيهوى، أو تشده للوراء فيحيا.

خفق قلبه بشدة في صدره، حتى كاد يرتعش هو الآخر، وتعثرت أنفاسه حتى سمع شهيقه وزفيره. لم يستطع أن ينظر إليها الآن، لم تكن به قوة كافية، وشعر أنها لن تستحمل نظرته إليها، وسترتاب وتذعر وتختبيء مجددا خلف أسوارها، ولن تخطو نحوهم مجددا.

استجمع(علي)كل صبره، وجلس مشدود بأعصاب قد اهترت، وانتظرها تأخذ وقتها في الاقتراب من مخرج الأسوار، وأن تخطو خارجها.

"أنا متأكدة إنني عايزاك." ارتعش صوتها الخافت الذي كاد أن يكون همسة. "أنا متأكدة إنني عايزة اجرب الحياة دي معاك. متأكدة إنني مش هقابل حد زيك، ومش هيملى عيني حد قدك."

شعر بعينها عليه، ترك إثرها نارا. انعقد جبينه من شدة ما كان يعصف به، ومن علو صوت خلاياه وحثها له أن يفعل شيء.

"متأكدة إن أنا..." "سمع أنفاسها. "علي..."

ربما تحرك عن قصد، وربما أخذت خلاياه زمام الأمر في يدها، لم يدر علي، لم يدر لأي شيء سوى أنه، بين لحظة وأخرى، وجد شفثيه تقابل شفثيتها، وتلاشت كل فكرة من ذهنه، وكل شعور بجسده، واندرثر الكون بأكمله من حوله، وبقيت فقط (مايا).

جلست(نادين) في مطعم في الزمالك، ترتدي كنزة صوفية خفيفة لونها رمادي داكن على جينز أسود، تدخن سيجارة تلو الأخرى وهي منتظرة قدوم(عاصم)ولبنى. مازالت تفكر في الانسحاب من ذلك الفرع، ولكن(لبنى)قد قابلتها منذ أسبوع ودفعت لها العربون، وجلست ساعة تحكي لنادين كم كان(عاصم)خطيب رائع وعطوف، وأنه قال لها أن تقرر ما تشاء فعله في الفرع والاتفلق من أي تكاليف. ربما كانت(لبنى)آمنة من شره الآن، ولكن لم تعتقد(نادين) أن ذلك سيدوم بعد زواجهما. سيجد(عاصم)طريقة ما ليذل لبنى، ويغصبها على فعل وتقبل أشياء لم تردها. ولكن هل ستستطيع(نادين) أن تواجهها بماضيها مع(عاصم)وتحذرهما من الاستمرار في خطبتها له؟ لم يكن لديها دليل على أفعاله التي استمرت منذ طفولتها حتى ذلك اليوم الموعود في عامها التاسع عشر، بعد إحدى عشر سنة من ذلك العذاب.

كانت عمتهما تزور إحدى الجارات، واغتنم(عاصم)تلك الفرصة ودخل غرفة(نادين)، التي كانت مستلقة على سريرها تسمع بعض الأغاني. لم تكن قد تعافت من زيارته لها ليلة أمس، وعندما رآته يتسلل داخل غرفتها، وقفت وحاولت أن تدفعه خارج غرفتها، وتقول له أنها لا تستطيع اليوم، فكان جسدها لا يزال يؤلمها. لم يتقبل(عاصم)رفضها، وصفعها على وجهها بقوة جعلتها تقع على سريرها. حاولت أن تهرب منه ولكنه أمسك بقميص نومها وشدها منه، فانقطع بيديه، ولكنه استطاع أن يمسك بذراعها، وكان يهمس غاضبا في أذنها، يتوعدها بما سيصيها بسبب رفضها ذلك، وغطى صوته وصوت بكاؤها والموسيقى صوت باب الشقة وهو يقفل، وصوت خطوات عمتهما التي وقفت تنظر لها من باب غرفتها.

"إيه ده؟" صرخت بهما عمتها، وقفز(عاصم)مبتعدا عن(نادين). " انتوا بتعملوا إيه؟"

"أول ما سمعتك نزلتي لقيتها بتناديني." رد عاصم، وشعرت(نادين) بكل أمالها تحطم. " و حاولت تخليني اعمل حاجات قدرة معاها، ووأنا بحاول ابعدها عني هدومها اتقطعت."

تذكرت(نادين) كل الكلمات الكريهة التي نعتتها بها عمتها، وكيف دخلت الغرفة وظلت تصفحها حتى فتحت شفتها وسال الدم منها، كيف أمسكتها من شعرها واستمرت في إهانتها اللفظية، ثم أمسكتها من قميصها وشرعت في دفعها وشدها منه يمينا ويسارا، حتى اهترى تماما وكشف عن جسمها أكثر. تذكرت(نادين) أنها في تلك اللحظة لمحت عيني(عاصم)وهو يشاهدهما، كيف لمعا بشهوة واستمتع أشعراها بالغثيان.

وجدت(نادين) يدها ترتعش وهي ترفع السيجارة لغمها، وشربت بعض الماء حتى تهدأ، ولكن تسربت دمعة من عينها قبل أن تستطيع التحكم بنفسها. ربا قد مر سبعة عشر عاما على تلك الليلة، ولكنها مازالت تتألم ويغمرها الشعور بالإهانة والذل كلما تذكرتها.

و الآن كانت تنظم فرحه. منذ أول لقاء لهم أصابها الأرق، وقلت خروجاتها مع أصدقائها، ولم تدعو أي من معارفها ليحيي لشقتها ليشتتها ويذهب وحشتها ليلا. ظلت تقابل(ملك)وتكلمها، فقط بسبب الظروف التي كانت تمر بها، ولعدم وجود أي صديقة أخرى لملك. لن تتركها الآن في محنتها تلك.

جلست(نادين) تدخن وتحاول الا تفكر في تلك الليلة، تتصفح انستاجرام وفيسبوك، حتى وصل(عاصم)ولبنى. تبادلوا التحيات، وطلبوا مشروباتهم، ثم استأذنت(لبنى)لتذهب للحمام.

استغلت(نادين) تلك الفرصة لتطمئن نفسها أن(عاصم) لن يؤذي(لبنى)بعد الزواج. "بقولك إيه، بلاش نلف وندور على بعض. انت هتعمل إيه فيها بعد ما تتجوزوا؟"

"مش فاهم قصدك." أشعل سيجارة وزفر الدخان في وجهها. "هعمل فيها إيه يعني؟"

"اللي زيك مش بيتعدل." جزت(نادين) على أسنانها. "أكيد لما تبقى مراتك هتعمل فيها حاجة وتهترف إزاي تخليها ماتفتحش بوقها."

"نادين حبييتي." ابتسم عندما رأى امتعاضها من سماعها تلك الكلمة منه. "الحاجات دي ماتتعملش مع ست هتجوزها. أنا مش مضطر اخليها عملي حاجة، ده هيبقى واجبها. ولبنى بنت أصول وبتفهم في الواجب. مش زيك."

"أنا ماكتش مراتك!" همست(نادين) بغضب. "ماكانش واجبي اعملك أي حاجة."

"عايزة تعيشي معانا ونصرف عليك من غير حاجة كده؟" رجعت(نادين) في كرسيها وهزت رأسها. "أنا كل مرة بفتكر إنك خلاص جيتت آخرك في القرف، بس كل مرة بتفاجئني."

"لو بتفكري تقنعيني إني اسيبها مش هتعرفي." أخذ نفس آخر من سيجارته. "شراكتي مع باباها أهم حاجة عندي، ولو سيبتها كل حاجة هتبوظ، بس يمكن ده يضمنلك إني مش هعمل فيها حاجة واجازف إنها تروح تحكي."

"و لو أنا قولتها؟"

"مش هتصدقك طبعاً." ضحك عاصم. "انتي فاكرة إن لو هي أو أبوها كانوا شاكين فيا للحظة كنت هوصل للي وصلته؟ وكان عادي، قوليلها، هقولها اللي قولته

لأمي زمان، ولبسك اللي انتي فرحانة بيه ده هو اللي هيخليها تصدقني لما اقولها إنك حاولتي تخليني اخونها معاكي، وجاية تتبلي عليا عشان رفضت. "

جلست(نادين) صامته من صدمتها. كانت قد اعتقدت أنها لن تجرح مجددا من رأي أي شخص بها وبأسلوب حياتها، وأنها تستطيع أن تدافع عن حريتها وتحميها من الضياع مجددا، ولكن بكلماته تلك، رجعت(نادين) عقد كامل بالماضي، وكات تلك الفتاة التي وقفت تحاول أن تستر جسدها من أعين عمته وابنها، من جنى عليها وسلب كرامتها.

مازال يستطيع أن يدمرها ببعض الكلمات ونظرة.

رجعت(لبنى)من الحمام، وحاولت(نادين) أن تتظاهر بأن شيئا لم يحدث. تكلموا أكثر عن الخيارات المتاحة وأسعار القاعات، ولكن عقلها لم يكن يفكر في كل ذلك. من المؤكد كان يوجد طريقة أخرى لمنع تلك الزيجة من أن تتم. فقط كانت تحتاج بعض الوقت لتفكر.

بدأت معالم فكرة أن تتضح في ذهنها، ورفضتها بمجرد أن اتخذت شكل، ولكنها تحكمت في نفسها وغصبت نفسها أن تفكر في الأمر، حتى تستطيع أن تضع خطة.

انتهوا من مقابلتهم، واتجهت(نادين) للشارع لتبحث عن الأوبر الذي كانت قد طلبته، وهي تعلم ما وجب عليها فعله.

جلست(مايا) بجانب(علي)على المصطبة، مسندة رأسها على كتفه، وتأكل أرز بلبن قد اشتراه لها(علي)منذ قليل. قد مر ما يقرب النصف ساعة منذ تلك اللحظة التي كانت قد انتظرتها سبعة شهور، تترقبها وتخشها في الوقت ذاته. ولكنها ارتاحت الآن، بعدما تأكدت أن مخاوفها ليس لها أي أساس من الصحة. كان الأمر مختلف مع علي،

مع شخص يحبها ويحترمها. شعورها كان مختلف. لم تشعر بأي من الأحاسيس التي طالما راودت جزء صغير بذهنها كلما لمسها أحدهم. لم يكن (علي) أحدهم. وبينما شعرت (مايا) بإحساس جميل إثر تلك اللحظة بينهما، شعرت أيضا بصدى الخزي المستمر معها منذ فعلتها تلك.

الى متى ستظل تشعر أنها لا تستحق أي لحظة حلوة معه؟ أنها لا تستحق أن تكون معه؟ هل ستقضي حياتها كلها معه - إن قضت حياتها معه - تحاول نسيان ذلك الشعور والهروب منه؟

انتهمى (علي) من طبقه ووضعها جانبا. "الكرش هيطلعي قبل الجواز بسببك."

ابتسمت (مايا) وأخذت ملعقة أخرى. "هتبقى قمر برضه، عادي."

"وفرتي،" تئأب وتمطع. "ماعيش فلوس اروح جيم خالص."

"ليه هو بقى أغلى من ثلاثين ألف؟"

سكت (علي) برهة. "لأ، ناوي اتجوزك بيهم."

اعتدلت (مايا) في جلستها ونظرت له. "انت لسه ناوي على كده؟"

"يعني هجيبلك رز بلبن وبعدين افرکش معاكي؟"

ضحكت ووضعته طبقها جانبا. "طب بجد طيب، مش من شوية كنت قافش

وخلص كده بقى؟"

"لا، هو أنا كنت فاكرك جاية تنهي الموضوع أصلا."

"طب يعني خلينا نتفق إن ماحدث فينا هيفركش دلوقتي، صح؟"

تنهد (علي) ومسح وجهه بيده. "انتي عايزة إيه؟"

ألم يكن ذلك سؤال المليون؟ "أنا عايزة نكمل، بس مش عارفة هنقدر نقنع بابا

إزاي. ماما قالتلي هتفضل تحاول معاه، بس أنا مش عايزة اتعشم فيها."

"و أنا مش عارف هواجهه إزاي بعد اللي قالمولي." هز رأسه. "و أكيد انتي مانتقبليش عليا كده، صح؟"

"أكيد لأ." مدت(مايا) يدها ببطء، وأمسكت بيده. اتطمأنت عندما لم يسحبها بعيدا، وأكملت كلامها. "مش هقبل حاجة زي كده، بس أنا خايفة اكلمه ويعند أكثر. هستنى اشوف ماما هتعمل إيه، وبعدين ابقى اتكلم معاه فالي قاله."

"هي قالتلك هتكلمه امتي؟"

"كمان كام يوم، يكون هدي."

"ماشي." "أوما برأسه، ومسح بإبهامه على أصابعها. "و من هنا لحد ما نعرف هيحصل إيه، تحبي مانتقابلش ولا نكمل عادي؟"

هل لم يكن يريد أن يراها؟ "انت تحب إيه؟"

"أنا احب اشوفك أكيد. بس ده تمام معاكي ولا لأ؟"

أومات برأسها. "أكيد."

"بس(مايا). "تجهم وجهه. "محتاجين نحط في اعتبارنا إن باباكي ممكن مايوافقش."

"ما أنا مش قادرة افكر في كده." لماذا كان يريد أن يفسد وقتها معا الذي قد يكون أقصر مما يتخيلا؟ كانت(مايا) مضطرة أن تتعامل مع إحساسها بالذنب، والآن كان يريد أن يزيد على ذلك غيمة احتمالية فقدانه؟ هل كان قد حرم عليها الفرحة بسبب فعلتها؟

"أنا عارف إنه صعب." رفع(علي)يدها لغمه وقبلها. "مش عايزك بس تتعشمي زي ما قولتي، والحوار مايمشيش."

"و انت هتتخلي عني عادي كده؟" لم تكن (مايا) تريد أن يفسد اليوم وينتهي بتلك الطريقة. كانت بحاجة إلى يوم واحد فقط جيد. "يعني حتى لو رفض خلاص؟"

"طب خلاص ممكن مانسبش الأحداث؟" لف ذراعه حولها وو مسح بيده على أعلى ذراعها. "هاخدك الحسين يا ستي الي كنتي عايزة تروحيه ده و نتفصح، ماشي؟"

ظلت (مايا) متجهمه. "مش عايزاك تعمل حاجة انت مش عايز تعملها." "و أنا من امتي يبقى مش عايز اخرج معاكي وافسحك؟" ضمها إليه وقبل رأسها. "بطلي هبل. هنخرج ونفك شوية من الي احنا فيه ده."

زفرت (مايا) نفس عميق وحاولت أن تسترخي قليلا. ربما ستنجح أمها في إقناع أبيها بقبول زواجها من علي. ربما لن ينتهي الأمر نهاية مأساوية. على أي حال، ليس بيد (مايا) أي شيء لتفعله. كل ما كان باستطاعتها فعله هو أن تحاول أن تستمتع بهذه اللحظة، وبكل لحظة تقضيها مع (علي) حتى تتضح الرؤية في أمر استمرار علاقتها. ستحاول التفكير في الأمر الذي تم مع (طارق) منذ بضعة أيام عبر مكالمة الفيديو، ولن تفكر في ماضي أمها مع والد علي، ولا رفض أبيها الشديد لزواجها. فقط ستستمتع بوجود (علي) بجانبها، وستحاول أن تقدره أكثر من ذلك.

سيجتازا تلك المحنة. شرعت ترددها ترددها في ذهنها، حتى شعرت بانقباض قلبها يتلاشى، وتنفست أسهل.

جلس (يوسف) في شرفة بيته الصغيرة، يحتسي كوب قهوة سادة، ويجدق بشاشة موبيله، نور الشاشة منعكس على عدسات نظارته الطبية. ظهر على شاشته رقم (ملك) الذي قد سجله منذ يومين ولم يكلمها أو يرسلها حتى الآن. قد

علمه (علي) العام الماضي كيف يستعمل الواتساب، وكان يستعمله احيانا مع أصدقائه في العمل، ولكنه الآن كان يريد أن يرأسها عليه، ومشكلته الوحيدة هو أنه لم يكن لديه ما يقوله.

لم تكن تلك أول مرة يواجه تلك المشكلة مع ملك؛ فتذكر بداية معرفته بها، وأنها كانا يسكتان كثيرا عندما يلتقيان، وكانت (كارولين) عادة من تكسر ذلك الصمت. تذكر كيف بدأ كلامهما بحق عندما تبادلوا الكتب وشرائط الأغاني، وجلسا يتناقشان بطريقة الكتابة والمعاني والحبكة الدرامية، وتلحين الأغاني وكلماتها.

تذكر أنه ذهب معها هي وكارولين للسينما ذات يوم، وانفق جزء لا بأس به من مدخراته على التذكرة وغداثهم بعدها، وما ولى ذلك من خروجات عديدة للسينما والمقاهي ومتاجر بيع شرائط الموسيقى والمكتبات، وكيف بدأت (كارولين) أن تعتذر عن حضورها رويدا رويدا، حتى كفت عن المجيء تماما الا في خروجات المجموعة كلها.

كانت (ملك) من عشاق جروبي ولو شائته، وكانا يذهبان هناك كثيرا، ويتنزهان في وسط البلد احيانا، واحيانا أخرى الزمالك، أو الكوربة. لم يعترف أحدهما للآخر بأي شيء، ولم يكن (يوسف) وقتها متأكد أنها تبادلته نفس الشعور، ولم يرد أن يسأل كارولين، فكان يخشى أن تفصح سره لملك ويوتر ذلك علاقتها. ولكنه احيانا كان يسأل نفسه، لماذا توافق أن تخرج معه وحدهما وهي لا تكلم الكثير من زملائها في الجامعة؟ لماذا هو؟ أكان لذلك معنى؟ وهل قد يكون معناه أنها تعتبره صديق عزيز فقط؟ سيقبل بهذا إن لزم الأمر، فوجودها في حياته تلك الأشهر السابقة قد بعث الروح في حياة لطالما كانت عملة وخالية من أي تشويق، وجعله يتطلع لذهابه للجامعة حتى يراها ويقضي بعض الوقت معها بين محاضراتها.

ولكنه عرف أنه سيخسرهما فور ارتباطها بشاب آخر، فلن يرضى أي رجل أن تخرج حبيبته مع زميل لها وحدهما، أو أن تكلمه من تليفون بيت صديقتهما وتبقى معه بالساعات تحدته عن أحلامها وطفولتها ويومها العادي. كلما فكر (يوسف) في ذلك الأمر كان يشعر بالاكثاب، وحدث ذلك أكثر من مرة وهما معا، وكثرت أعذاره لها عندما كانت تسأله لم انقلب وجهه كهذا. هل كان يتضح عليه مشاعره تجاهها؟ هل كانت تعلم أنها قد أسرته منذ مقابلتها الأولى، وأن منذ ذلك اليوم وهو يهوي أكثر فأكثر؟

فكر (يوسف) في ذلك الأمر مرة وهما يتفقدان كتب في دكان صغير بسور الأزبكية، وكانت (ملك) تحكي له عن محاضرة مهمة كانت قد حضرتها البارحة، وكان يحاول أن يركز فيما تقوله حتى يستطيع أن يرد، ولكن أفكاره الدخيلة لم تسمح له بذلك. لماذا كانت تحكي له تفاصيل حياتها بتلك الطريقة؟ هل كانت تفعل ذلك مع كارولين؟ ألم يوجد أي شيء يميزه عن باقي أصدقائها؟

"... بس ف إيه رأيك؟"

ظل (يوسف) سارحا برهة، ثم تلفت لها وابتسم خجلا. "معلش قولتي إيه آخر حاجة؟"

دحرجت عينيها وأزاحت شعرها عن كتفها. "سرحت تاني؟"

"معلش اعذريني. كتي بتقولي إيه بقى؟"

"بقولك إني بفكر اطلع رحلة الأقصر وأسوان دي اللي بعد الامتحانات، وكارولين موافقة تروح. إيه رأيك تيجي معانا؟"

كم كان يريد أن يوافق على الفور، ولكنه كان قد استعلم عن تكلفة تلك الرحلة، ولم يكن معه ما يكفي للذهاب. سيضطر أن يسأل أبيه إذ كان يستطيع أن يقترض منه باقي التكلفة، على أن تخصص من مصروفه شهريا. "خليني اشوف واقولك."

"ماشي." "أمأت برأسها. "هتجيب حاجة من هنا؟" رفعت كتابين. "أنا هجيب دول. ماصدقت لقيت نسخ حلوة."

كان قد وجد كتاب يبحث عنه منذ سنين، ولكنه أراد أن يدخر قدر الإمكان حتى يستطيع أن يذهب معهم. "لأ." وضع (يوسف) يديه في جيبيه وهز رأسه. "مافيش حاجة معينة عايزها."

"ماشي. يلا نحاسب؟"

بعد انتهائهما من الأزيكية، ركبا مواصلات ورجعا الكورية، وذهبا لشانتيه. طلبت (ملك) طعام وعصير، واكتفى (يوسف) بطلب قهوة له، بالرغم من اعتصار معدته جوعا. علقت (ملك) على ذلك، وأخبرها أنه قد أكل قبل نزوله من بيته، ولم يكن جعان.

أكملت حديثها عن تلك المحاضرة، وسرح (يوسف) مجددا، ولكن بها هي تلك المرة؛ تشويحها بيديها وهي تتحدث، ابتسامتها التي خفت كثيرا من حدة وجهها أحيانا، شغفها عن دراستها وكتبها، آرائها والتي كادت تشمل جميع المواضيع، عينيها العسليتين اللاتي خطفا أنفاسه عندما يركزان عليه. كان يجها. لم يكن بقلبه ذرة شك تجاه تلك الحقيقة. كان يجها، ويدعو ربه كل يوم أن يجعلها تحبه هي الأخرى، وأن يكتبها لبعض.

كان يقلقه التفاوت الاجتماعي بينهما. كان أبوها مهندس ولديه مكتبه الخاص، وأمها كانت خريجة مدارس فرنسية، وبعد ذلك كلية الآداب. أما (يوسف)، فكان أبيه يعمل فراش في أحد المكاتب الحكومية، ولم يكمل ثانويته، وأمه بالكاد كانت تستطيع أن تقرأ وتكتب. فهم من (ملك) أن أمها كانت امرأة صارمة، تريد أن تجعل من (ملك) نسختها الثانية، وكانت علاقتهما متوترة كثيرا. كانت أمها تريدها أن تتخرج

بأعلى الدرجات، فقط لتوفر لها فرصة الزواج من دكتور أو مهندس كبير مثل أبيها، وبعد ذلك تصبح ربة منزل تربي أجيال تفخر بهم عائلتهم.

حتما كانت ستفرضه أمها، ولكنه شعر من كلام(ملك)عن أبيها أنه شخص متفتح، وحليف مخلص لمعانة الشباب في ظل المشاكل الاقتصادية التي كانت تمر بها البلد. فهم منها أنه كان يشجعها على دراستها فقط بسبب إيمانه بها وبقدراتها، وكان يتشاجر مع أمها بشأن مستقبلها والصورة التي رسمتها لها أمها عنه. قد يوافق هو عليه، ورأيه بالتأكيد كان سيطبق شاءت الأم أم أبت.

و لكن هل ستقبل به ملك؟ هل ستقبل أن تتزوج من شخص ربما يوظف كمحاسب أو في مكتب ضرائب، وهي تعمل بالخارجية أو بأي سفارة؟ هل ستقبل بذلك التفاوت الرهيب بينها؟ وأن تترك مصر الجديدة وتسكن بحي شعبي يستطيع(يوسف) التأجير فيه في بداية حياتها؟

"يوسف!"

فزع(يوسف) وسكب بعض من قهوته. "في إيه؟"

"انت سرحت تاني." انعقد جين(ملك)وعقدت ذراعيها فوق صدرها. "لو كلامي ممل للدرجة دي قوللي وهسكت."

"كلامك مش ممل خالص." احمرت وجنتاه ودفع بنظارته للأعلى. "بفكر بس في حوار الرحلة ده."

"بتفكر في إيه بالظبط؟" ظلت مكفهرة. "لو مش عايز تيجي خلاص."

لم يكن يريد أن تظل مستاءة منه، ولكنه لن يستطيع أن يخبرها بسبب سرحانه. كيف سيخرج من ذلك المأزق؟ "لا، بشوف بس هظبط الموضوع في البيت إزاي. بس نوال هتبقى خلصت امتحاناتها وهتقدر تساعدهم في البيت، اعتقد مش هيبقى فيه مشكلة."

"ماشي." ردت باقتضاب وارتشفت من عصيرها ثم نظرت بعيدا.
انقبض قلبه؛ لم يكن يجب أن يغضبها، وكانت (ملك) سريعة الغضب وحساسة،
وتحب أن يعطيها من معها اهتمامه التام حين كانت تتحدث. لا بد أن يبذل مجهود أكثر
معها، ويؤجل تفكيره حتى يرجع بيته ويجلس في شرفة منزلهم، أو في غرفته.
"خلصتي الكتاب الي كتي بتقريه؟"

"اه، خلصته امبارح."

"طب إيه رأيك فيه؟"

رمقته (ملك) بنظرة باردة. "مش انت قريته؟ تبقى عارف هو إيه."
كش (يوسف) وتحدث بصوت واطي. "كنت عايز اعرف رأيك بس."
ظلت (ملك) محدقة به برهة، وقد ضاقت عيناها. كاد أن يسمع (يوسف) صوت
تفكيرها وهو يجول في ذهنها. ثم قطعت الصمت أخيرا. "أنا بشوفك واقف مع
فاطمة كثير ساعات، وبلاقيكوا جاينين الصبح مع بعض." عدلت من شعرها. "هو
انتوا مرتبطين؟"

كاد أن يبصق (يوسف) رشفة القهوة التي كانت بفيه، ولكنه تحكم في نفسه
وبلعها. "فاطمة؟ لأ، دي جارتنا وأبوها بيعتتها معايا الجامعة بدل ما تروح لوحدها.
وهي في سنة أولى تجارة، ف ساعات بقعد اشرحلها حاجات."

"اه." أومأت (ملك) برأسها، وكاد يجزم أن وجهها قد احمر. "ماشي."

لماذا اهتمت أن تسأل؟ هل كانت تسأل بصفقتها صديقة لها المساحة أن تسأله عن
أمر شخصي كذلك؟ لم يجرو (يوسف) أن يسألها عن ذلك الأمر. هل كان من الممكن
أن تكون مرتبطة ولم تخبره؟ هل كان مسموح له أن يطرح عليها ذلك السؤال، أم كان
ذلك مسموح فقط لبنت أن تسأله لشاب؟

ظلا صامتين، يحتسيان مشاربيهما ويصوبان نظرها بعيدا عن بعض. ثقل قلب(يوسف)، وتغنى أن يرجع بالزمن للوراء حتى يركز فيما كانت تقوله، ولا أن يضايقها لهذا الحد. ولكنه لم يكن بقدرته فعل ذلك، فقط أن يعتذر عما بدر منه. "ملك."

صويت نظرها له.

"أنا آسف إني ضايقتك." وضع يديه على المائدة ووجه كفيه لها. "أنا بس دماغي يتروح مني ساعات، بس انتي كلامك مهم جدا بالنسبالي. اوعذك إني هركز أكثر بعد كده في كل كلمة بتقوليتها. ممكن ماتزعليش مني؟"

ظلت(ملك)صامتة بضع ثواني، ثم تنهدت وأومات برأسها. "خلاص، حصل خير. هو بس الموضوع بيحصل كثير، وأنا عارفة إني ساعات ببقى رغاية، بس بيبقى جوايا حاجات كثير عايزة اقولها، ومابلاقيش حد يسمعني."

إذا، فكان هو مجرد مستمع لها؟ إن كانت تلك الوسيلة الوحيدة التي تتيح له فرص الخروج معها والتقرب منها، فسيكون شاكرا ومقدرا لها. "أنا على طول ببقى عايز اسمعك. قوليلي كل حاجة عايزة تقوليها."

احمرت وجنتاها، وأشاحت بنظرها بعيدا ولكن خجلا تلك المرة. "اتفقنا." رجع(يوسف) للحاضر، وهدق مجددا في شاشة موبايله لبضع لحظات. لم يكن يريد أن يكسر وعده ذلك أيضا. بدأ(يوسف) في كتابة رسالة.

كانت (ملك) تقف في مطبخها تحضر عشاء لها ولكريم عندما اهتز موبايلها بجانبها على الرخام. انتهت من فرد الجبنة داخل الخبز، ومسحت يدها في منشفة صغيرة ثم مسكت موبايلها لتتفقد الرسالة. شهقت وكادت توقع الموبايل من صدمتها. (يوسف)؟ ماذا كان يريد؟

فتحت (ملك) الرسالة، وخفق قلبها توجسا،

"إزيك يا ملك؟"

فكرت (ملك) الا ترد، ولكن الفضول فاز وكتبت له رد وأرسلته.

"الحمد لله. وانت؟"

"بخير الحمد لله."

لم يصلها شيء لبضع دقائق ظلت محدقة فيهم بشاشتها، ووصل منه رسالة أخرى لحظة قبل أن تفقد الأمل وتضع موبايلها جانبا.

"الدنيا طلعت صغيرة أوي.."

كم كان صحيح. لم تفكر (ملك) يوما أن التاريخ سيعيد نفسه بتلك الطريقة، ولكنها لم تقلق من علي؛ فقد لاحظت فيه صلب وثقة بالنفس لم تكن قد رأتها في (يوسف) بنفس القدر. وكان (علي) مثابر وطموح، لا يخاف التحديات والمصاعب. أما (يوسف)، فكان - منذ ثلاثين سنة - عاطفي وحساس، وبه بعض من الانهماكية والسلبية تجلت في اختياره لكلية سهلة واختياره لوظيفة ثابتة ولكن ليس لها مستقبل باهر. تجلت في خوفه من أي مصاعب قد تواجهه، وتفاديه للمجازفات.

"اه، جدا."

لم نجد شيئاً آخر لقوله، ورفضت (ملك) أن تسهل الأمور عليه وتفتح مواضيع بالنيابة عنه. لم يعد بينهما أي شيء يقال بعد تخليه عنها وبعد مرور كل تلك السنوات.

"علي مش راضي يقولي حصل إيه عندكوا في البيت لما جالكوا. هو حصل إيه هناك؟"

قرأت (ملك) الرسالة وجزت على أسنانها. لم يكن يحاكيها حتى يتحدث معها هي، ولكن فقط ليستفسر عن ابنه. حدثها صوت آخر بداخلها أنه لم يكن ملزم أن يتحدث معها عن أحوالها، فربما قد نساها عبر الثلاث عقود الماضية، بل كان ذلك المرجح. ولكنها لن تتدخل بينه وبين ابنه، لم يسع الموضوع المزيد من المشاكل.

"أنا شايقة إن هو اللي يحكيك، مش أنا"

وضعت (ملك) موبايلها في جيبتها، وأخذت الطبقين، وأعطت واحد لكريم في غرفته، ثم اتجهت لغرفة المعيشة وأخرجت موبايلها لتقرأ الرسالة الذي قد رد بها.

"أنا قلقان عليه بس. في أمل؟"

لم يستطع عقل (ملك) تقبل أنها كانت تكلم (يوسف) عن ابنه، كأنها قد وضعت في كبسولة زمنية في ذهنها كل تلك السنين. اقتربت من إتمام عقدها الخامس، فلم استغربت مرور الزمن عليه أيضاً؟ من الطبيعي أنه قد كبر مثلها، وكانت قد علمت بخطبته لفاطمة حينها، فلماذا لم تكن قادرة على تقبل (يوسف) ذا السابعة وأربعين عاماً، الأرملة والأب؟

ما زالت تتذكر شكله كما كان حينها؛ شعره المحلوق تماماً، وعينه السودتين، وغمازات كانت تضيء لوجهه براءة. كان طويل القامة، ويميل للنحافة بعض الشيء، وهاديء، لا يجب أن يكون تحت الأضواء. لم يحاول الاستعراض أمامها حتى يعجبها، ولا أن يحاول أن يبين نفسه أذكى منها فتنهه به مثلما كان يفعل الكثير من زملائها. بل كان يشيد بتفوقها وثقافتها، ويحترم فيها حبها للاستطلاع والبحث عن المعرفة.

كم كانت حياتها لتختلف لو أنه لم يتركها.

"مش عارفة. هتكلم مع (هاشم) بكرا."

كانت (ملك) قد وصلت لهاشم أخيرا بعد أن تجاهل اتصالاتها ورسائلها منذ يوم جيئه لبيتها وإهانتة لعلي، واتفقا أن يتقابلا غدا بعد شغلها في مكتبه لمناقشة الأمر. لم تتعشم كثيرا في هاشم، فربما وافق على مقابلتها فقط ليهينها أكثر. ولكنها لن تترك ابنتها تمر بها مرت به من قبل. ستقف بجانبها هي وعلي حتى يتزوجا.

"هو انتي أصلا موافقة عاجلوازة؟"

تهتدت (ملك) غضبا. ألم يخبره (علي) بمساندتها له؟ أكانت العلاقة بينها سيئة لدرجة تمنع (علي) من التحدث معه؟

"أكيد ماكتش هكلمه لما (مايا) تعبت اقله يبجي يشوفها لو كنت مش

موافقة."

أشعلت التلفزيون وبحثت عن قناة بها أي فيلم لتجلس وتشاهده وهي تأكل، وفي تلك اللحظة اجتاحتها الإحساس بالوحدة مجددا. كانت قد انشغلت في الفترة الأخيرة، ما بين التسوق مع (مايا) لاختيار فستان مناسب لزيارة (علي) وأبيه لهم، وعواقب تلك الزيارة. والآن جلست (ملك) وحيدة، ابنتها مع حبيبها، وابنها في صومعته، ونادين كانت في موعد مع عروسين.

اهتز موبايلها، وقرأت الرسالة.

"أنا لسه مش قادر استوعب.."

ولا أنا. أسندت (ملك) رأسها على ظهر الكنب، ورفعت رجلها على حافة الكنب، وأسندت ذراعها عليها حتى تستطيع أن ترى شاشة الموبايل. لم تعرف كيف ترد. لم تنس أنه تركها، ولكنه والد عريس ابنتها، وإن مشت الأمور جيدا، سيكون في

حياتها مجددا. ستضطر أن تتعامل معه وسيكون بينها أحفاد يوما ما، سيصبح فرد من عائلتها. لا بد أن تبدأ من الآن التعود على وجوده والتعامل معه.

"صدفة كبيرة فعلا. بس هنعمل إيه بقى؟"

لاحظت أنه كان يكتب ويمسح ما يكتبه، ثم يبدأ في الكتابة من جديد. ظلت (ملك) محدقة في شاشتها، منتظرة رده، وشهقت مجددا عندما وصلها.

"تسمحيلي اكلمك؟"

تذكرت آخر مكالمة بينهما، وما حدث بعدها، ولم تستطع منع الرهبة من التسلسل داخل قلبها. ولكن، وللمرة الثانية في أقل من نصف ساعة، انتصر الفضول.

"ماشي."

رن الموبايل بضع ثواني بعد وصول ردها، وارتعشت يد(ملك) وهي ترفع

الموبايل لأذنها. "الو؟"

"بكلمك في وقت مش مناسب؟"

"لا عادي." حاولت أن تتكلم بصوت هاديء خالي من التوتر. "قاعدة

بتعشى."

"اعتقد(مايا) لسه مع علي." سكت برهة. "انتي عارفة إنها مع علي، صح؟"

"أكيد يعني." قالتها بحدة. "أكيد هبقى عارفة بتتي فين."

"أنا مش قصدي." توتر صوته. "أكيد انتي مريياها أحسن تربية، مش هيطلع

منك حاجة أقل من كده."

هدأت قليلا، وحاولت الا تكون دفاعية زيادة عن اللزوم، فهي فعلا احيانا

كثيرة لم تكن تعرف أين ذهبت(مايا)، ولكنها لم تكن تريده أن يعلم ذلك. لم تكن تريده

أن يرى كيف كانت حياتها الآن بعده. "شكرا."

"و(علي) بيحبها أوي." تنهد(يوسف). "من ساعة اليوم إياه وهو متدمر."

"هو ولد كويس، عشان كده أنا استأمتته على (مايا)." "

"ربنا يكتبهم لبعض."

و مايتخلاش عنها وقت ما تحتاجه. بالرغم من إحساسها الجيد تجاه (علي) وأنه لن يخذل ابنتها مثلما فعل أبوه، مازال جزء منها صغير يخشى أن يكون قد ورث ذلك الأمر عنه. فلم يتخل (يوسف) عنها منذ أول عقبة، ولكنه أثبت نفسه أكثر من مرة حتى اطمأنت له ووثقت به، ثم اختفى.

"ملك، أنا-"

شيئا ما بداخلها أشعرها أنه سيتحدث عن ماضيها، ووجدت (ملك) أنها لن تستحمل تلك المحادثة. لم تكن تريد أن تتطرق لذلك الوقت من حياتها الآن.

"يوسف، معلىش لو هتكلم عن اللي حصل زمان أنا مش عايزة."

"أنا بس كنت عايز اشرح-"

"مافيش حاجة تشرح." " أرجعت الحدة في صوتها. " و خلاص مش فارقة

دلوقتي. كل اللي بيننا دلوقتي (مايا) وعلي، ف ياريت نركز فيهم."

"يعني ماقدرش حتى اسأل عن حياتك كل السنين اللي فاتت دي؟"

استوقفها سؤاله. هل كان فعلا يريد أن يعرف؟ لماذا؟ هل مازال يهتم بها بعد كل

تلك السنين؟ لم تستطع أن تصدق ذلك. "ليه؟"

"ليه عايز اسأل؟ مش هعرف ارد عالسؤال ده."

"انت عايز إيه بالظبط يا (يوسف)؟"

"عايز نتكلم." "سكت برهة." "بس لو دي حاجة هتضايقك خلاص."

"مش حابة ادخل حد في حياتي." "آلها قلبها. لماذا، عندما كانت تشعر بوحدة،

يجيء هو ويعرض عليها ذلك؟ بالطبع لن تستطيع أن تقبل، ليس بعد ما فعله بها. ليس

من حقه أن يأتي بعد كل تلك السنين ويطلب أن يعرف ماذا حل بها. ليس من حقه أن

يعرف أنها عاشت حياة لم تذوق بها السعادة، متزوجة رجل يعاملها كجائزة فاز بها، كشيء يمتلكه، أنها عاشت الحياة التي لطالما أرادت لها أمها، وبالرغم من ذلك كانت (ملك) خيبة أمل كبيرة بالنسبة لها. أنها توظفت في مجال بعيد كل البعد عن مجال دراستها الذي اجتهدت فيه كثيرا، وأنها تطلقت من زوجها بعدما ذلها الذل كله. ليس من حقه أن يعرف طبيعة العلاقة بينها وبين ابنتها، التي لم تكن تعترف بها كأصل، ولا من حقه أن يعرف عن علاقتها الفاشلة مع عمرو، وحياتها الحالية من الأصدقاء ماعدا (نادين).

ليس من حقه أن يرى كيف فشلت (ملك) تماما، هي التي لطالما كانت رأسها مرفوعة ومفعمة بثقة النفس والثبات. وكان (يوسف) تذكرا يجعلها تفكر في كل ما فقدته خلال الثلاثين سنة الماضية.

"أنا أسف لو كنت ضايقتك." "تحدث بذلك الصوت الذي طالما كان نقطة ضعفها، صوت مكسور ومهزوز حرك داخلها مشاعر كانت قد دفنتها منذ زمن." "أنا متفهم جدا رفضك."

تنهدت ومسحت بيدها وجهها. "أنا بس مش في حالة نفسية تسمح إننا نتكلم. أنا وانت بالأخص."

"هو أنا بصراحة كنت مكلمك عشان كده. اشوف انتي عاملة إيه، واشوف لو محتاجة أي حاجة."

هل كان مقتنع بما يقوله؟ هزت (ملك) رأسها وضحكت ساخرة. "يعني بعد آخر حاجة حصلت ما بيننا، وبعد ثلاثين سنة، تفتكر هنعرف نبقي إيه؟ صحاب مثلا؟" "أنا فاكِر إني وعدتك إني على طول هسمعك." "تنهد وظل ساكت بضعة لحظات." "يعني، كنت حابب ماكسرش الوعد ده دلوقتي بعد ماتقابلنا تاني. بس هي كانت فكرة مش كويسة على أي حال."

وما زالت، بعد كل تلك السنين، وبعد ما فعله بها، لا تستطيع أن تتركه حزين.
"يعني انت كنت عايزني احكيلك ليه؟ أنا مش فاهمة. ما أكيد(علي)قالك إن أنا
وهاشم اتطلقنا."
"عرفت منه، اه."

"طب خلاص حابب تعرف إيه تاني؟"

"ملك، أنا مش بحاول اعرف حاجة." دخل في نبرته بعض الدفاعية. "أنا مش
بحاول اتطفل ولا اعمل أي مشكلة. نيتي صافية ناحيتك، وطول عمرها كانت
صافية. انتي مش عايزة تتكلمي عن اللي فات وأنا هحترم ده ومش هحاول اوضح
أكثر من كده."

وهي لم تكن تريد أي توضيح منه. لن يفيد الا أن يجعلها تتذكر كل الألم وخيبة
الأمم التي شعرت بها حينها، وهي لم تكن بحاجة للمزيد من أي مشاعر سلبية في
حياتها الآن. ولكن صوتا ما بداخلها حثها أن تترث، ولا ترفض عرضه ذاك بتلك
السرعة. (يوسف) كان يعرف نسخة قديمة منها، نسختها الأصلية، وربما قد يساعدها
أن تستعيد بعض من تلك البنت التي كانت تحلم وتسعى ولا تقبل بالوضع كما هو.

ولكن هل تستطيع أن تثق به مجددا؟ هل تستطيع أن تريه ما قد آلت إليه؟ مرت
على(ملك)أيام لم تستطع أن تتعرف على نفسها بهم أحيانا. تلك المرأة بمنتصف العمر
التي لم تحقق أية من أحلامها، التي انجرفت في حياة ودور لم تكن تريدهما، واستسلمت
لرغبات غيرها بعد أن فقدت كل من كانت تحبهم. حتى عندما أنجبت، لم تحبها ابنتها،
وبسبب كل تلك الضغوطات لم تنهأ بكريم، وإن كانت(مايا) كثيرة الصياح والغضب
وهي صغيرة، فكان(كريم) كثير الصراخ والبكاء.

تذكرت(ملك)عندما كانت تحبس نفسها في الحمام احيانا لتهرب من صريخها،
والتي كان يصلها - مكتوما - من خلال الباب، وتجلس على حافة دشها وتبكي،

واحيانا كانت تفتح مياه الدش حتى تغطي على نحيبها، لأن(مايا) كانت تذهب وتخبز أبيضها، وتسبب ذلك في شجارات كثيرة بينها، عادة ما تنتهي بإهانتها لملك بطريقة أو بأخرى.

كيف ستخبز(يوسف) بكل ذلك؟ حتما ستسقط من نظره، وأرادت(ملك)أن تحتفظ في حياتها بشخص واحد على الأقل لا يراها كفضل ذريع متجسد في شكل انسان. أرادت أن تبدأ من جديد، أو تستكمل من حيث قد توقفت. ربما كانت تلك فرصتها، أن تسترجع الذكريات الجيدة فقط من ذلك الوقت، فمتى كانت آخر مرة ذهبت فيها للسور؟ وجروبي؟ متى كانت آخر مرة تنزهت في الكوربة والزمالك؟ لن تخبز أحدا بذلك، فقط(نادين) حتى تشاركها الأمر مثلما كانت تفعل(كارولين)قبل اختفائها.

ربما لن ينتهي الأمر نهاية حزينة مثلما حدث منذ ثلاثين سنة.
"أنا مش عايزة اتكلم في مشاكل." ردت عليه أخيرا. "أنا عايزة انسى، وماتزعلش بس مش واثقة فيك لدرجة إني احكيك عن حياتي الشخصية. احنا عدى عمر ما بيننايا(يوسف)، وتقريبا مابقيناش نفس الأشخاص بتوع زمان. ياريت تكون متفهم."

"أكيد." وضح في صوته الحجاسة، مما عثر ضربات قلبها للحظة. "مش لازم تتكلمي في حاجة مش عايزة تتكلمي فيها. أنا هخيلكي انتي اللي تقولي وأنا مش هسأل."

"نبتدي بالحاجات السهلة؟" شعرت(ملك)بجسدها يسترخي قليلا بعد أن زال الخطر وتخطت تلك المرحلة الحرجة. "إيه آخر حاجة قررتها؟"

"ياه." ضحك(يوسف)، نفس الضحكة التي قد وشمته في ذهنها، ورجعت لها الآن واضحة تماما. "أنا مامسكتش كتاب من ساعة آخر مرة اتقابلنا لحد من كام

سنة.(علي)خلاني آخذ أجازة غضب عني عشان اريح شوية من الشغل، وجابلي كام كتاب كده، بقرا فيهم من ساعتها."

"جابلك إيه؟"

"حاجات رضوى عشور والكتاب المشهور ده اللي بيتكلم عن الرومي وشمس التبريزي."

كانت قد قرأته(ملك)أيضا، وظلا يتحدثان عنه برهة، وتطرقوا لأعمال الرومي التي كانا قد قرأها معا منذ سنوات. حدثته عن قرائتها المتقطعة عبر السنوات؛ كتب اشترتها قبل زواجها ولم تجد وقت لتقرأها، والتي كانت تحاول أن تقرأها الآن، والكتب التي أعطاها لها(كريم) من مكتبته الخاصة. علق(يوسف) أنها قد ورثت(كريم) حبها للكتب، وأدركت(ملك)أنها لم تفكر من قبل أن تأخذ(كريم) للسور، ولم تعرف إن كان قد ذهب هناك أم لا.

سألته إن كان مازال يحب الموسيقى، وأدهشته أنها كانت تحب الأغاني الشعبية الراجحة الآن، بالإضافة الى الكلاسيكيات التي مازالت تستمع لها في طريقها للمكتب، أو في العطلة الأسبوعية عندما تستيقظ مبكرا وتحسني قهوتها في شرفتها. سألتها إن كانت مازالت تشربها بملعقة سكر واحدة مثلما كانت تفعل من قبل، وشعرت(ملك)بدفء يتوغلها لتذكره تلك التفصيلة الصغيرة عنها. سألته إن كان الشاي بلبن مازال مشروبه المفضل، وأخبرها أن(علي)قد ورث ذلك عنه. تحدثنا عن أحوال البلد، والتغيرات التي عصفت بها، وموقفها مما حدث (متشابهة، مع بعض الاختلافات البسيطة)، ووجدت(ملك)نفسها تتحدث عن الأمور بالطريقة التي تعلمتها في الجامعة، ولم تتذكر آخر مرة تصرف فيها وكأنها خريجة سياسة واقتصاد، فعمرو لم يكن يجب التحدث في السياسة، وهاشم لم يهتم بمثل تلك القضايا، وكانت(ملك)دائما ما تتفادى التحدث مع(هاشم)على أية حال.

لم تخبره عن عمرو، ولا علاقتها بهاشم، وهو الآخر لم يذكر حتى اسم فاطمة. ارتاحت(ملك)لذلك، فالكلام عنها كان حتما سيؤدي الى ماضيها معا، فتفادت(ملك)تلك المواضيع، وأبقت الكلام عن أشياء أكثر سطحية، مثل رأيه في السينما والمسلسلات الآن، والفيديو وكل تطبيقات التواصل الاجتماعي الأخرى، وكيف كانت هناك فروقات شديدة وواضحة بين جيلهم وجيل ابنائهم، وبالرغم من ذلك كانت توجد أشياء يتفق عليها الجميع، مثل عشق الأجيال كلها لأغاني فيروز وعمرو دياب، والمسرحيات القديمة التي ظلت تضحكهم جميعا مهما اختلفت الأفكار والعقليات والثقافات.

تحدثنا عن صحبات الموضة الآن، سألها باستحياء عن قرارها لارتداء الحجاب، التي كانت ضده عندما كانت بالجامعة. لم تكن تريد أن تخبره أنها لبسته فقط لإغضاب(هاشم)في بدء الأمر، ولكنها أحبته مع مرور الوقت، وأصبحت مرتاحة أكثر وهي ترتديه. تحدثنا عن كرة القدم، والتي كانت ومازالت من أحب الأشياء لقلب(يوسف)، وأخبرها أنه كان يذهب للقهوة بالحارة الذي كان يسكن بها مع(علي)حتى يشاهدا الماتشات المهمة التي لم يستطعا أن يشاهداها على تلفزيونهما.

أفاقت ملك، وشعرت بالوقت فقط عندما سمعت اذان الفجر، وانتفضت من مكانها واتجهت لغرفة(مايا) لتجدها غارقة في النوم في سريرها. لم تسمعها تدخل الشقة، ولم تسمعها حتى تسلم عليها. لم تطل التفكير في الأمر، فقط هدأت عندما رأتها، ورجعت لغرفة المعيشة لتكمل حديثها مع(يوسف)، ولكنها وجدت أن حبل الوصل بينها قد انقطع، واتفقا على إنهاء المكالمة حتى يذهبا للصلاة ثم إلي السرير.

"ملك." تنهد(يوسف) تنهيدة مفعمة بالرضا والراحة وبعض من السعادة.

"شكرا على المكالمة دي، وإنك سمحتي بيها." سكت برهة. "ممكن نبقي نعملها

تاني؟"

هل كانت تريد أن تتحدث معه مرة أخرى؟ لم تتردد أصواتها الداخلية في أن يصبحوا بذنها "أبوة!". أخذت نفس عميق وحاولت تهدئة قلبها. "مممكن."
تخيلته يبتسم وينظر للأرض مثلما كان يفعل بالماضي، وازداد شعور الدفء بداخلها. "بجد شكرا، دي حاجة نفرحني أوي. هكلمك تاني بكرا."
أرادت أن تخلد إلى النوم فورا حتى يجيء الغد بسرعة، ونهرت نفسها على الفكر الشبابي الذي لم يتناسب مع سنها وكونها أم ومديرة قسم كامل. "تمام ماشي."
"تمام"، رد عليها(يوسف). "تصبحي على خير."

"وانت من اهله."

كان قد ترك(يوسف) شرفته أثناء كلامها وذهب لغرفته. انتظر حتى أنهت هي المكالمة، ثم وضع موبايله على منضدة سريره وقام ليصلي الفجر قبل أن يخلد للنوم. انتهى من صلاته، ودعا ربه أن يصلح حال ابنه ويكتب(مايا) من نصيبه. ثم رجع لغرفته واستلقى في السرير.

قد تحدث معها، بعد كل تلك السنين، واشتياقه لها الذي لم يحمد يوما، ها وقد اشتعل من جديد عن حق، معه بضع المشاعر الأخرى. لم تكن تثق به حتى الآن، ولكنه لاحظ نبرتها التي تغيرت أثناء محادثتها، كيف بدأت بحذر وتحفظ، ثم لانت واسترخت، حتى شعر(يوسف) بنفسه يتنفس الصعداء. عد تلك المكالمة كإنجاز لا بأس به، وتذكر محادثاتها القديمة عندما كانت تذهب لبيت جدة(كارولين)(حيث كانت تسكن، وكان أهلها يسكنان بالزمالك في وقتها، وكانت(ملك)تمكث بالساعات معه على الهاتف، يتحدثان عن كل شيء ولا شيء).

هل كان ما يفعله صحيحا؟ هل سيسبب مشاكل أكثر لها بسبب كلامها الذي قد وعدنا أن يستكملة غدا؟ هل فعلا كان يذكرها بأيام لا تشعرها بشيء غير الألم؟ لم تقل له ذلك، ولكنه قرأ ما بين سطورها، مثلما كان يفعل دوما. لم يكن يريد أن يؤذيها، ولا أن يجعلها تسترجع الذكريات المؤلمة، فقط كان يريد أن يتحدث معها ويسمع صوتها الذي كان قد حرم منه ثلاثة عقود. كم كان قد اشتاق لذلك الصوت الذي رد به الروح.

سبقي الأمور بينهما بعيدا عن زيجتيهما، وعن أي أسئلة شخصية شائكة قد تهد ما قد بناه اليوم. فهو لم يصدق حظه الذي قد رماه في طريقها بتلك الوسيلة، وربما كانت تلك بمثابة فرصة ثانية له معها، ليس كشريك، بل كصديق نوعا ما، أو شخص كانت تعرفه قديما في وقت لم يكن به كل تلك العقبات والصراعات.

قبل (يوسف) أن يكون ذلك الشخص لها، فمن الواضح أنه عليه الكثير من الترميم لحطام ماضيها حتى تستطيع أن تثق به مجددا، وإن كان سيكتب لابنائها ما لم يكتب لهما، فسيكون شاكر لقربه منها على الأقل.

تعهد (يوسف) أن يفعل كل ما بوسعه حتى يجعلها تثق به، وتعهد ألا يجرحها تلك المرة.

دخلت (ملك) مكتب هاشم، ولاحظت أنه قد تم تجديده منذ زيارتها له آخر مرة منذ عشر سنوات. لم تصدر قدميها أي وقع على الأرض الرخام البنية الفاتحة، ووقفت (ملك) أمام مكتب استقبال خشبي على طراز عصري، تقف ورائه بنت في أوائل العشرينات، شقراء ببلوزة تحالف سياسات أماكن العمل بأكثر من طريقة. نظرت لها البنت من طرف أنفها وتحذت باستعلاء. "حضرتك عندك معاد؟" "اه." نظرت لها (ملك) بنفس الاستعلاء.

وجهت البنت نظرتها لشاشة الكمبيوتر أمامها. "الاسم؟" "أستاذة ملك، حرم (هاشم) سابقا."

حدقت بها البنت ورفعت سماعة التليفون دون أن تشيح عينيها بعيدا عن ملك. "هاشم بيه؟ أستاذة (ملك) هنا. حاضر يا فندم." وضعت السماعة مكانها وخطت من وراء المكتب. "اتفضلي معايا."

رفعت (ملك) يدها وتجاهلتها. "عارفة الطريق."

انجهت لمكتبه في آخر الرواق، وطرقت على الباب قبل أن تفتحه وتدخل. جلس (هاشم) وراء مكتبه الضخم، يرتدي بدلة رمادية وربطة عنق نبيتي. لو نظرت له (ملك) بنظرة محايدة، كانت لتجده وسيما جدا، وكانت لديه كاريزما قوية للغاية، ولكنها كانت تمتعض منه الآن، لما أخبأته تلك الوسامة والكاريزما من شخصية كريمة وعقل مريض. ابتسم لها ومد يده ليصافحها. "لا بجد نورتي المكتب."

شدت (ملك) يدها منه سريعا وجلست، وجهها خال من أية ابتسامة. "مش

هطول عليك، عايزين نتكلم في موضوع (مايا)."

"طب تشربي إيه الأول؟"

تنهدت ملك. لم تكن بمزاج يسمح لها أن تتحمل أسلوبه اللزج الآن، حين كان يحاول أن يتظاهر بأن كل شيء على ما يرام بينهما، وأنها انفصلا انفصال محترم. "مش عايزة اشرب، شكرا."

رفع (هاشم) سماعه تليفونه دون أن ينظر بعيدا عنها. "فريدة؟ اتنين قهوة لو سمحتي، واحدة سادة وواحدة بمعلقة سكر واحدة." "أنى المكالمة وأسند كوعيه على المكتب." "نشرب قهوة ونتكلم."

"أو كان ممكن تحترم إني مش عايزة اشرب حاجة." هزت (ملك) رأسها. "أنا بكلم مين والله."

"على طول واخدة عني فكرة غلط كده؟"

"أنا اعرفك بقالي ثلاثين سنة، لو فكرة مكلمة كل ده من غير ما تتغير يوم يبقى هي مش غلط."

"ملك." تنهد ومسح وجهه بيديه. "انتي اللي حبيتي تحطي الفكرة في دماغك من أولها، ومارضيتيش تشيليه، وفسرتي كل حاجة على الأساس ده."

فسرت خيانتة له مرارا وتكرارا خطأ؟ فسرت غضبها على كل شيء وتهديدها وإهانتة لها ولشرفها خطأ؟ فسرت إهماله لمايا وكريمه وتهربه منها خطأ؟ فسرت رفضه في دفع مصاريفها المدرسية، وتكريبه لمايا بها خطأ؟ رفعت (ملك) يديها. "أنا مش جاية اتكلم عننا. أنا جاية اتكلم عن (مايا) وعلي."

"و أنا اتكلمت في الموضوع ده خلاص." وقف كلامه حين فتح الباب ودخل فراش بفنجانين القهوة وكوبين ماء. انتظر حتى خرج الفراش وأكمل كلامه. "يعني بعد كل اللي حصل ده عايزاني اناسب الراجل؟"

"هاشم، هو كل حاجة حصلت بيني وبينه كان قبل ما انا وانت ترتبط." بدأت أن تغضب، وبدأ أن ينتشر بداخلها إحساس الخزي الذي صاحبها منذ بدايتها مع

هاشم، وتعليقاته على ما دار بينها وبين (يوسف). "مايا وعلي ماهومش ذنب في الموضوع ده."

أشاح بيده. "هجيلها عريس أحسن منه وهتتسى." "يا(هاشم)مش كل الناس بتفكر في الفلوس!" صاحت به. "مش كل الناس زيك!"

"صح." أوماً برأسه وارتشف من قهوته. "بس أنا مربي بتي على كده." هزت (ملك)رأسها وشعرت بأنفاسها تكتم، وبعينها تمتليء بالدموع. "هي بتجبه. وأنا مش هخليك تعمل فيها اللي عملته فيا. كفاية أذى في الناس. طب أنا وكنت جارتك عادي، مش مهمة وعملت فيا اللي عايزه. هي بتتك. إزاي توجعها كده؟"

"الولد ده طلع من حياتك بالعافية." ابتسم لها. "عايزاني بالسهولة دي اخليه يخشها عادي؟"

"أحنا متطلقين على فكرة." أدخلت بعض الحدة في صوتها حتى تغطي على ضعفها وبكاؤها. "انت مالاكش دعوة مين يخش حياتي!" "اه، بس هعرف اخليكي عملي اللي عايزه برضه."

اهتاج الغضب والكره بداخلها. لماذا لا يموت؟ قد أخذ الله منها الكل، وبقي هاشم. بقي من سجنها منذ ثلاثين سنة، من جعلها تصمت وتتنازل عن حقها حتى تضمن سكوتها وتأمين شره، بقي من دمر أحلامها وسلب السعادة منها. كم كانت تكرهه وتتمنى موته حتى تنتهي عقوبتها. "انت بتعمل كده ليه؟"

أخرج (هاشم)من درجه سيجار وأشعله. "عشان اقدر." كتمت غيظها، وتنهدت حتى تستطيع أن تتحدث بنبرة هادئة. "طب اوعدك مش هنقابله غير في الخطوبة وكتب الكتاب والفرح. مش هيبقى فيه عزومات والكلام

ده. وانت كده كده أبو العروسة، يعني مش هتخط إيدك في إيده. وهو مش هيبقى موجود أوي يعني، كلامنا هيبقى مع علي."

"طب سيك من أبوه." أشاح بيده. "الواد بيقولك معاه ثلاثين ألف. هنعمل بيهم إيه دول؟ وماعدوش شقة، هتعيشيه معاكي؟"

"يا سيدي يخش جمعيات ويظبط أموره." بدأت أن تأمل بالرغم من نفسها. "و يعني انت عارف الشباب تعبانين إزاي دلوقتي، مافيهاش حاجة لو ما طلبناش مهر وشبكة، ونخليهم يستعملوا الفلوس دي في بيتهم."

ضحك هاشم. "طب ما اجيلهم شقة بالمرة؟ هو أنا بتتي معيوبة عشان اعمل كده؟"

جفلت (ملك) من تلميحه. "و أنا ماكتش معيوبة يا هاشم." "بالنسبالي كتي. وأنا لحد علمي بتتي مش زيك، الا بقى لو انتي ماعرفتيش تربيها زيك كده والبنت مشيت على حل شعرها."

استشاطت غضبا وصاحت به. "دي بنتك اللي بتتكلم عنها دي!" "صوتك يوطى!" رزع يده على مكتبه وانتفضت ملك. "ماتنسيش نفسك."

هتكلمي في الجوازة دي تاني، الفيديو هيتبعتلهم على الواتساب!" انكسر شيئا بداخلها، وفاض بها. "ابعته!" صرخت به. "ابعته! أنا اتخنقت منك! ابعته، أنا مش فارق معايا!"

حل الصمت على المكتب، وسمعت فقط صوت عقارب الساعة. خفق قلبها بشدة في صدرها، وشعرت بهدوء وسكينة لم تشعر بها من قبل، كما لو كانت قد قفزت من أعلى بناء وكانت الآن محلقة في السماء. ساد الصمت أيضا في رأسها، لأول مرة منذ سنين لم تستطع عدها. سكتت الأصوات كلها، وتلاشى الخزي والذنب والألم والسخط.

"انتي قولتي إيه؟"

"ابعته." قالتها بصوت خافت. "كريم مش هيفرق معاه، ومايا كده كده انت

كرهتها فيا. ابعته يا(هاشم)وخلصني."

وسعت عيناه ولاحظت(ملك)أنه كان يتنفس من فمه. جيد، قد صدم. "انتي اتجننتي يا ملك؟ ومايا لما تشوفه وتعرف إن أمها عملت كده، وعادي اتجوزت واحد بيعبها ومارفضلهاش طلب، نفتكري هتعمل إيه؟ هتقول خلاص مامتي عملت يبقى عادي، وشوفي بقى هنلم بتتنا إزاي." هز رأسه وأخذ نفس من السيجار. "لا، لا، انتي لا يمكن تكوني أم."

ضحكت ملك. "طب قعدت تهددني بيه ليه وانت خايف على بنتك منه؟ ولا

انت طلعتي بدي عشان خلاص، مابقاش فارق معايا؟"

اضطرب وجهه وانعقد جبينه، ورفع السيجار لفمه بيد مرتعشة. "أم بشعة..."

لم تؤثر بملك كلماته، شعرت وكأن مشاعرها قد تبدلت، ولم تعرف إن كان ذلك

شيء سيدوم أم مجرد مؤقت. "ابعته دلوقتي."

"استهدي بالله يا ملك." صاح بها. "انتي عايزة تخربي البيت أكثر ماهو

خروب؟ انتي اتجننتي؟"

"يعني مش هتبعته." أمأت برأسها. "مايا هتتجوز(علي)يا هاشم. وهوافق.

وهتبقى موجود ومش هتبوظ فرحتها."

"انتي بتتكلمي بثقة ليه؟" أشاح بيده، ورسمت(ملك)على وجهها ابتسامة طبق

الأصل من ابتسامته. "عادي كده تفقدي احترام بنتك؟"

"انت ضيعت احترام بنتي ليا من زمان أوي." هزت كتفها. "مش فارقة."

"برضه مش لازم اوافق."

"هجوزها له من غير رضاك."

"خلي سمعة بتتك في الأرض يلا."

"بتتك قالتلي لو ماتجوزتوش مانزعلش من رد فعلها عشان احنا اللي ماعرفناش نربيهها." صممت(ملك)حتى ترى وقع كلامها عليه. "بتتك مستيعة سمعتها وسمعتنا ومش فارق معاها حاجة غيره. ماتضيعهاش انت عشان غرورك."
"أنا خايف عل -"

"انت مش خايف على حد!" صاحت به، وغمرها الشعور بالرضا لانفاضته.
"انت عمرك ما خوفت عليها أصلا. هي ماكتتش في حسابك. أنا وانت عارفين انت بتعمل كده ليه. لو مش هتقف جنبها وتعمل اللي في مصلحتها، أنا هاخذ بالي منها.(مايا) هتتجوز الوادده."

"مش هترضى تعمل كده من غيري." هز رأسه. "أنا عارفها بتحبني ومش هتعمل كده فيا."
"بتحبه أكثر."

سكت(هاشم)ومسح بيديه على وجهه. كم كانت مستمتعة برؤيته هكذا. لماذا انتظرت حتى الآن حتى تفعل ذلك؟ هل لم يكن أي شيء مما أرغمها عليه(هاشم)في خلال تلك السنوات دافع قويا بالقدر الكافي حتى يدفعها هكذا؟ وهل كان تهديده لها كل تلك السنوات فارغ؟ ألم يكن ينوي أن يرسل لمايا وكريم الفيديو؟ وتهديده لها من قبل أن يولدا، هل كان ذلك فارغ أيضا؟

هل عانت(ملك)كل تلك السنوات بدون سبب؟

"اديني وقت افكر."

قامت(ملك)ورمقته بنظرة كلها احتقار. "رد عليا في خلال اليومين دول. كفاية تعذيب في البنت لحد كده."

دفعت(نادين) عربة التسوق الى الامام بعد أن اضافت لها مسحوق الغسيل. كانت تحب رحلاتها للسوبرماركت جدا، ففي أروقه شعرت بأن حياتها طبيعية، خالية من التعقيدات، كانت شخص آخر يتبضع مرتديا هودي وبنطلون قطني رياضي، تجذب أنظار الناس فقط بسبب شعرها الأزرق. دندنت مع الموسيقى المنبعثة من المكبرات الصوتية، وأضافت بعض الأشياء لعربتها. كانت تتلفت لترى إن كان لديهم عصيرها المفضل، عندما لمحت بنت بشعر بني موج ووحمة صغيرة أسفل خدها. انقبض قلب(نادين) وشهقت، وكادت أن تتعثر وتقع لولا أنها أمسكت بالعربة واتزنت. رفعت رأسها لتتفقد البنت ولكنها قد اختفت. شرعت(نادين) في التجول بأروقة المتجر، تنظر يمينا ويسارا، وتتجاهل عروض العاملين بالمساعدة.

غير محال. كانوا قد تركوا البلد. قد أخبرتها هند بنفسها أنهم سيسافرون لألمانيا، حيث كان يعمل أبوها، اختفوا من بعد ذلك. هل كانوا قد رجعوا؟ هل ستستطيع تحمل ذلك؟ ظلت تبحث عنها لمدة ساعة، حتى ألمها ذراعيها من دفع العربة، وفقدت(نادين) الأمل. أكملت تسوقها بعقل شارد، بعد أن تلاشى السلام من داخلها. أيعقل؟ ألم يكن كافي ظهور(عاصم)في حياتها مجددا، والآن هند أيضا؟ لماذا الآن؟ لماذا بعد كل تلك السنين، وكل المجهود الذي قد بذلته حتى تتخطاهم؟

دفعت(نادين) ثمن مشترياتها، وطلبت منهم أن يوصلوها للبيت. غادرت المتجر واتجهت مشيا لبيتها. كانت تحتاج لبعض الهواء قبل رجوعها. أشعلت سيجارة وتجاهلت تعليقات بعض الشباب الذي مرت بجانبهم. كان عقلها عالق في الماضي الآن؛ أكانت فعلا هند، أم فقط بنت أخرى تشبهها؟ قد تكون(نادين) مخطئة، ربما تلاعبت بها عيناها، فهي كانت تفكر في ماضيها كثيرا تلك الأيام، وربما كان ذلك فقط خدعة نظرها، سراب ماضي تحاول الهروب منه.

تدافعت الذكريات في ذهنها، ولم تستطع أن تمنعها أو توقفها، لم تستطع أن تلهي نفسها عنها. تذكرت يوم مجيء رؤوف لشقتها أول مرة، وكيف فتحت الباب له وهي ترتدي قميص نوم فاضح أكثر من الذي جعل (عاصم) يفعل بها ما فعله منذ أربع سنوات. تذكرت كيف أشاح نظره عنها، أو أبقاه مصوب أعلى رقبتها. تذكرت حركاتها وهي تغرف له الأكل، وامتعضت (نادين) من الصورة التي لم يبهتها الزمن، ولم يقلل من حدتها عقلها ليحميها، فلم تكن تستاهل تلك الرحمة.

تذكرت معاناته البادية بوضوح على وجهه، وكيف أفنعت نفسها أنه متوتر بسبب انجذابه إليها، وأنه مازال يحاول أن يقنعها أنه يحترمها، وأنه لا يريد ذلك الأمر منها. إن لم يكن يريد ذلك، إن لم يكن منجذب إليها، فلماذا كانا معا؟ لماذا أراد أن يتزوجها؟ ماذا كان يريد بها؟ الصحبة؟ فقط ذلك؟ لم اعترف لها بحبه إن كان ذلك كل ما يريده؟ تذكرت (نادين) كيف ازداد عندها ومثابرتها، وكيف حاولت أكثر فأكثر أن تكسره ويجعله يفعل شيء تجاه انجذابه إليه. تذكرت كيف كف عن تجاهل الأمر، وكيف طلب منها أن ترتدي شيء آخر، كيف حاول أن يشرح لها أنه لم يجيء لهذا السبب، أنها كانت قد وعدته أنها فقط سياكلان ويتابعا فيلم. حينها دحرجت (نادين) عينها وقالت. "يا رؤوف هو انت طفل كده عشان تصدقني؟ انت ماكتتش راضي تبجي، قولى اجيبك تشوف انت بتقول لأ لإيه."

"يا (نادين)، أنا مش عايز." قالها بصوت أجش، وكاد يكون يلهث بفمه، ويرتفع صدره ويهبط تعبا من التحكم بنفسه. "افهمي ده لو سمحتي."

"هو انت متعقد من حد تاني؟" جلست بجانبه وأمسكت بيده. "جربت مع

حد وماعجبكش مثلا؟"

"انتي عارفة كويس جدا إني ماعملتش حاجة مع حد قبل كده."

"طب خلاص مالك بقى؟"

تنهد ومسح وجهه بيديه. "أنا مش عايز. الموضوع بالبساطة دي." انعقد جبينها. "مش انت كنت قولتلي إنك مش مقفول مني؟" "اه."

"طب ليه بتقول مش عايز؟"

"عشان مش صح! صح بها." "عشان أنا بحترمك أكثر من كده، وقولتلك ده مليون مرة قبل كده."

"يابني انت نسيت ابن عمي عمل إيه فيا؟" ضحكت (نادين). "أي حاجة غير كده هتبقى احترام ماتقلقش."

"دي مش حاجة تهزري فيها."

"أنا اللي اقول اقدر اهزر في إيه وإيه لأ." اقتربت منه وتجمد جسده بجانبها. "يا رؤوف بقى فك شوية." "لا؟"

تجاهلته (نادين)، وأخذت زمام الأمور في يديها. تجاهلت اعتراضاته، جعلت أذنيها صماء لترجيح لها أن تكف عما تفعل، وانقباض جسده. تجاهلت كل شيء صدر منه، وثبتت على مهمتها. انقبضت معدة (نادين) وهي تتذكر، وسالت دموعها على خديها وهي بالشارع.

"نادين، كفاية."

ارتعش جسدها.

"نادين، ارجوكي."

وقعت السيجارة من يدها المرتعشة.

صمت، صمت تام مكسور فقط بأنين.

توقفت (نادين)، وأسندت يديها على جزع شجرة.

لم يكن يتحرك، لم يكن يصدر نفس حتى، ولم تأبه هي، و
أكملت.

شهقت (نادين) أنفاسها وتجاهلت نظرات المارة وسؤال بعضهم لها إن كانت
بخير.

خيانة جسده له، وشعور الانتصار الذي غمرها.

تقيأت (نادين) على جذور الشجرة، كم كانت تكره نفسها. من كانت تخدع؟
كانت انسانة كريمة. لم تكن أحسن من عاصم. هو سلب منها حرقتها، وهي فعلت
برؤوف الشيء ذاته، رؤوف الذي أحبها واحترمها، وجاهد حتى يحافظ عليها ويعطيها
تجربة مختلفة ترجع لها بعض من كرامتها وقيمتها.

اجتاح الألم صدرها، وبكت (نادين) كما لم تبك منذ سنين. لم تستطع رجليها أن
تحملها، ووقعت (نادين) على الأرض، وأجهشت في البكاء. لم تكن تستحق أي شيء
جيد. لم كانت تكره (عاصم) وهي مثله؟ لم كانت تنهره على فعل شيء هي بنفسها قد
فعلته؟ كانت منافقة. كانت تدعي الفضيلة، وهي ليست أكثر من عاهرة، تستعرض
جسدها وتسلمه لأي شخص يريد، وتقنع نفسها أن تلك كانت الحرية المستحقة لها.
وعندما تتذكر فعلتها؟ تشرب لتنسى.

ولكن خمور العالم أجمع لن تمحي ما فعلته.

ظلت (نادين) مسندة على الشجرة، تبكي وتدع الخزي والكره يأخذها مجراها،
غير آبهة بنظرات الناس وهمساتهم. بكت حتى آلمها صدرها، ونبض الصداع برأسها،
ونفدت دموعها. حتى هدأت العاصفة وسكن الموج. ثم قامت.

"خذ دول كان." أعطت(مايا) بعض المعاطف لعلي الذي كاد يوقعهم من ثقلهم. "كده معاك كام واحد؟"

"انتي جبتي كل بلطو في المحل؟"

هزت(مايا) كتفيها وعقدت ذراعيها فوق صدرها. "يعني هتقيس واحد وتمشي مثلاً؟ بطل دلع وخش قيس."

دحرج(علي) عينيه واتجه لغرفة القياس. "طب اقنى بره عشان اوريكي." "ماشي." وقفت(مايا) بجانب باب غرفة القياس، وتفقدت المحل حولها. لم يكن محل من الماركات التي اعتادت(مايا) التسوق منهم عادة، كان محل صغير بوسط البلد، به غرفة قياس واحدة للرجال وأخرى للنساء، وجلس خلف الكاشير رجل في منتصف عمره يتظاهر بأنه لم يكن يراقبها منذ دخولها المحل.

مر أسبوع منذ ذهاب أمها للتحدث مع أبيها، ومازال يتهرب منها هي ومايا حتى لا يعطيها رد. قررت(مايا) أن تتجاهل الأمر وتستمر في علاقتها مع(علي) بشكل طبيعي، حتى يظهر أبوها مجدداً ويخبرها عن قراره. قد لانت قليلاً تجاه أمها منذ ذلك اليوم في بيت أبيها، فقد لاحظت دعم أمها لها ولعلي، وكيف أعطتها المساحة الشخصية التي كانت تحتاجها(مايا). ومن الناحية الأخرى، كان يطلب منها(علي) أن تعاملها بأسلوب أحسن، لأنها كانت حليفتها أمام أبيها، بجانب أنه كان يجب أمها ويرتاح لها، ولم يجد أنها تستحق جفاء(مايا) معها.

ولكن كيف ستغير تلك المعاملة الآن بعدما ترعرت عليها؟ فهي منذ أن كانت طفلة وهي في حالة صراع مع أمها، وتذكرت(مايا) كم كانت أمها حزينة وهي طفلة، تملأ بيتها بطاقة سلبية لا تنفد، وتعامل والد(مايا) بجفاء وبرود دون داع.

تذكرت (مايا) كيف كان أبيها يجلس معها ويشكي لها، وكيف كانت تؤله طريقة أمها معه، بعد أن أعطاهما كل شيء، وكيف أصرت أن تبقي (مايا) بعد انفصالها. ربما كانت تساعدنا الآن فقط لإيذاء أبيها، وجرح مشاعره، وشعرت (مايا) بالذنب تجاه ذلك الأمر، ولكنها كانت ستختار (علي) فوق أبيها. ببساطة كانت تحبه أكثر، ولن تخسره بسبب غيرة أبيها من صديق أمها السابق، أو ألمه من رؤيته. لم تكن مشكلتها.

فتح (علي) باب الغرفة وكان يرتدي معطف صوف أسود يصل لركبتيه، وكأنه مفصل عليه. "إيه رأيك؟" سألتها وهو يعدل من ياقة المعطف. "حلو." كم كان وسيما. كان أحلى من أي ولد قد رأته من قبل. "هات ده وقيس الباقي."

"والله مكسل." ضحك ونظر خلفه لئلا المعطف الذي قد وضعهم على كرسي صغير بالداخل. "بصي هم مقاسي، ف هاخذ واحد رمادي كمان وحلو أوي كده." تأفت (مايا) ورمت يديها للأعلى. "الكسل ده بيطلع بس لما ننزل ندور على هدوم. ماشي."

"معلش." خلع (علي) المعطف وأعطاه لها. "هجرب الجينز بس ونمشي." أومات برأسها وأقفل (علي) الباب. اهتز موبايلها في جيبتها وأخرجته لتتفقد الرسالة. سلمى. أدخلته جيبتها دون أن تقرأ الرسالة، فلم تكن قد تحدثت مع سلمى منذ ما يقرب الأسبوعين، ووجدت أنها لم تشتاق إليها. أرادت (مايا) أن تتعد كل البعد عن أصدقاء الجامعة، حتى لا تنجرف وتخطيء مجددا، ولم تكن تريد أن تسمع عن (طارق) أو تراه. لم يحاول أن يتصل بها منذ تلك الليلة، وبالرغم من الراحة التي شعرت بها بسبب بعده، إلا إنها شعرت بإهانة أيضا. ألتلك الدرجة كانت (مايا)

رخيصة بالنسبة له؟ لم يأبه بها يوما، حتى عندما كانا معا. ولكن هي أيضا من تركته يصل له خبر ارتباطها بعلي من أصدقائها المشتركين، فربما كان هو على حق. وإن كان قد أخبر أي شخص بما حدث بينهما، فلم تكن تريد أن تجازف أن يعرف (علي) شيء من أصدقائها، ولذلك أبقته بعيدا عنهم وبقيت هي أيضا بعيدة، فمن الأفضل أن ينسوها كلهم، بالأخص أن بقي بضعة أشهر فقط على تخرجها، ولن تضطر أن تتعامل معهم مجددا. غمرتها تلك الفكرة بالراحة والهدوء، وأزاحت عنها غيمة القلق التي كانت تتبعها. لن يعرف علي.

فتح الباب مجددا وتفقدت (مايا) الجينز. "حلو، مطبوط."
"طب ماتخدي لفة تشوفي لو فيه حاجة عاجباكي انتي."
رمقته (مايا) بنظرة. "ماعتقدش."

دفعت (مايا) ثمن مشترياتها وحملت خمس حقائب شراء من أصل عشرة، وحمل (علي) الباقي. نظرت للكاشير وابتسمت له. "شكرا."
"العفو يا أستاذة." بادلها الرجل ابتسامتها ثم صوب نظره لعلي. "ربنا يخليها لك."

ابتسم (علي) واحمرت وجنتا (مايا). "يسمع من بوقك ربنا. سلام عليكموا."
"وعليكم السلام."
انجهت (مايا) للمدخل وتبعها علي. انتظرت حتى خرجا من المحل ونظرت له.
"ربنا يخليني ليك فعلا."
"و يخليني ليكي." رد عليها بابتسامة ساخرة. "عايزة تروحي فين دلوقتي؟"
"شوف أي قهوة نقعد فيها." هزت كتفيها. "صرفنا كتير دلوقتي."
ضحك علي. "عشت وشوفتك بتقتصدي يا (مايا)."

دحرجت(مايا) عينيها. "طب شوف هنقعد فين عشان دراعي وجعني." كانت فعلا تريد أن تقتصد، فلم تعلم كيف سيكون رد فعل أبيها تجاه خطبتها من علي، وخشيت أن يقطع عنها المصروف غضبا منها، أو حتى يغضبها أن تتخلى عن علي. فحاولت(مايا) أن تدخر بعض المال، بالأخص أنها لم تعد تخرج مع أصدقائها. وقررت أنها ستبدأ في البحث عن عمل فور تخرجها، حتى تحصل على راتب ريبا سيساعدها في الإيدار.

تمشيا حتى وصلا لقهوة لم تكن مزدحمة كثيرا، ووضعها حقائب مشترياتهما على كرسي وجلسا. أشاح(علي)لصبي جاء لمائدتها وطلبا شاي وطاولة، ثم نظر إليها علي. "في أي أخبار؟"

هزت(مايا) رأسها. "لسه مايرودش. مش عارفة في إيه." تنهد علي. "يبقى مش عاجبه الكلام وهيرفض بس بيأجل إنه يقول." "ماعرش بقي." أزاحت شعرها عن وجهها. "هنشوف. ولو رفض هنتصرف، عادي."

سكت(علي)برهة. "في حاجة فكرت فيها ممكن تساعد في موضوع الفلوس ده، بس لو أبوكي عرف هيرفض أكثر."

انعقد جبين(مايا). "فكرة إيه؟" تردد(علي)قبل أن ينطق. "فكرت اشتغل أوبر." "بعد الشغل؟" هزت(مايا) رأسها. "علي، انت بتروح مش شايف قدامك. هتقعد كيان تسوق؟ لأ طبعا، ماتتعبش نفسك كده."

"ممكن اسوق شوية بعد الشغل." أشاح بنظره بعيدا عنها وشعرت(مايا) أنه محرج. "وفي ال weekend أكثر."

مدت (مايا) يدها وأمسكت بيده. "حبيبي، مش لازم تعمل كده. مش محتاجين ده."

"الثلاثين الف مش هيعملوا حاجة."

"ماحنا مش هنتجوز بكرا. هنعوش ونجيب."

"طب خليني افكر في الموضوع شوية." جاء الصبي ووضع أمامها كوبان شاي وسكرية والطاولة. انتظر (علي) حتى ذهب قبل أن يكمل كلامه. "اعرف كام واحد من صحابي اشتغل أوبر ويمكن يرسيني."

لم تعجبها تلك الفكرة. لم تكن تريده أن يفعل ذلك. قد يركب معه أحد من أصدقائها الذين يعرفون شكله، ولن تأمن (مايا) من سخرتهم منها ومنه، وقد يتكبرون عليه. ثم أن (علي) كانت كرامته وكبريائه أهم عنده من أي شيء، وكانت هي نفسها أحيانا تتعجرف على سائقين أوبر حتى وبخها (علي) ذات مرة. لم تكن تريده أن يسمع شيء يبرح كرامته من أحد الركاب، ويتشاجر معهم.

"مكشرة ليه بس؟"

"مش عاجباني الفكرة." احتست رشفة من الشاي بعد أن أضافت له السكر.

"وجع دماغ وانت هتضايق من أول يوم."

"طب خليني بس اتكلم مع صحابي ونشوف."

"ماشى." فتحت (مايا) الطاولة ورتبتها. "يلا؟"

"هتكسيني زي كل مرة بس ماشى." أمسك الزهر وهزه ثم رماه. "غلطة

عمري إني علمتهالك والله."

"خلي عندك روح رياضية."

حاولت (مايا) أن تبقى متفائلة ومبتهجة وهي معه، حتى تعوض بعض ما فعلته به من انهيار وتعب واكتئاب بعد تلك الزيارة. حاولت أن تمزج وتتعامل بشكل طبيعي، وأن تسهل عليه التعامل معها. لم تضغط عليه أن يخرجني في أماكن غالية، أو بعد انتهاء يوم عمله، فتركته هو يقرر متى وأين يخرجني، وأظهرت الحماسة لأي فكرة كان يقترحها. أرادت أن تكون خفيفة عليه، والآن تحمله أي عبء في تلك الفترة. في الأرجح نبع ذلك من إحساسها بالذنب، ولكنها لم تكن تريد أن تثير شكوكه بسبب تصرفاتها وأسلوبها المختلف معه، فحاولت أن تضيفي لمستها على طريقتها الجديدة، حتى لا يشعر بأي اختلاف.

ولكنها كانت قد تغيرت على مدار الأشهر الماضية، وتعلمت كيف تتقبل ذلك التغيير بعد أن كانت ترهبه. فهي الآن كانت تتقبل طبيعة مشاعرها وعمقها تجاه علي، وإن لم تكن جاهزة بعد أن تفصح بها، أو أن تقول تلك الكلمة، ولم يضغط عليها علي، أو يطلب منها قولها. كانت أيضا تفكر في الارتباط بطريقة مختلفة؛ قل تفكيرها في الماديات وكل تلك الأشياء السطحية التي طالما اعتقدتها من أهم الأشياء في أي علاقة، وأنها تضمن استمرار العلاقة وارتياحها بها.

اهتمت الآن بطريقته معها، واحترامه وتقديره لها. كيف كان يستمع لها كلما تحدثت معه، وأعارها انتباهه. كان دوما ما يحاول أن يعرف الكثير عنها، مع احترام خصوصيتها في موضوع علاقاتها السابقة، ويتذكر كل التفاصيل التي أخبرته بها. وبدأت أن تهتم بطموحه في العمل، وتقدره، وتفخر به كلما شاركها نجاحاته. كان ذلك شيئا آخر تحبه فيه، أنه حريص على إشراكها في تفاصيل حياته اليومية، ويتنظر منها الاهتمام، ويستمتع لرأيها ويعطيه حجمه. لم يكن يعاملها كطفلة مدللة لا تفهم شيء، وكان لا يشعرها أنها تافهة أو قليلة الخبرة، ويستهيء بها وبكلامها، مثلما كان يفعل بعض من الآخرين.

احترمت فيه أيضا مبادئه وثقافته، أفكاره التي جمعت بين الفكر المعاصر والأصول. لم يتخلى عن واحد بسبب الآخر، بل جاهد أن يعدل بينهما، وبالنسبة لمايا فهي رأت أنه قد نجح. كانت تكن له احترام بجانب مشاعرها العاطفية، وانبهار أيضا، مما كان شيء مستجد عليها تماما. فهي لم تخلص للآخرين مطلقا، حتى (طارق) التي كانت قد جنت عليه، فقد تركته دون تردد عندما قابلت علي.

لن تقبل رفض أبيها.

لن يستطيع أحد أن يأخذه منها. ستضمن ذلك.

ارتفعت أصوات البائعين في أرجاء الزقاق الضيق، وارتطمت بنت شعرها قصير بملك ولم تتلفت لتعتذر لها. وقفت (ملك) ونظرت حولها، وكادت الا تتعرف على السور. لم يكن هكذا في التسعينات عندما ذهبت آخر مرة مع (يوسف)، ولم يكن مزدحم بتلك الطريقة. رأت قطة نائمة فوق تل كتب قديمة، وأصحاب الدكاكين يقفون خارج دكاكينهم يحتسون الشاي أو القهوة ويتبادلون قصص حياتهم اليومية.

"ماما." خرج إليها (كريم) ويده كتابين، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة

كبيرة. "انتي إزاي ماجبتيش هنا قبل كده؟"

"مش عارفة." بادلته الابتسامة وهزت كتفها. "بس هو كان أهدي من كده

زمان."

"هو مافيش مكان في مصر هادي دلوقتي." التفت (كريم) للبائع. "لو سمحت

بكام دول؟"

"وريني كده يابني." تفقد البائع الكتب وارتشف من شايه. "كده خمسين؟"

"بس؟"

"أربعين."

نظر (كريم) لملك وقد وسعت عيناه. "ماما، بتعملي إيه؟"
"استنى انت بس. "خطت من حوله حتى وقفت أمام الرجل. "أربعين جنيه
إيه يا حج ده الكتب متبهدة خالص وواحد فيهم مافهوش غلاف أصلا."
"ماشى يا ست الكل. "ضحك الرجل. "أربعين جنيه."
دفع له (كريم). "شكرا. "مشيا من الدكان ودخلا ما يليه. "احنا بنفاصل هنا
عادي؟"
تههدت (ملك) وضحكت. "دي آخرة المدارس الأجنبية."
"تخيلي (مايا) هنا مثلا."
هزت (ملك) رأسها. "انت عايز (مايا) تتركب المترو؟ يجيلها صدمة حضارية يا
بابا."
ضحك (كريم) وركع حتى يتفقد الكتب المرصوفة على الأرض. "بجد يا ماما
أنا كنت بسمع عن المكان ده بس مافتكرتش إنه هيبقى كده."
"أومال افكرته هيبقى عامل إزاي؟" دخل البائع ورائهم وأسند كوعه على
رف. "هو اه ماعندناش تكيف ولا حتة تشربلك فيها كوباية كاباشتينو، بس هتلاقي
عندنا حاجات مش هتلاقيها في حتة تانية."
"ده حقيقي. "أومأت (ملك) برأسها. "أنا كنت باجي هنا أيام الجامعة من
زمان، كنت بلاقي هنا أي حاجة كنت بدور عليها ومش بلاقيها في أي مكتبة برا."
"لا، ومش هتلاقي الأسعار دي دلوقتي حضرتك."
"خالص، أنا بتخض لما بنزل. كنت زمان آجى لراجل كبير هنا يلاقي في
الداكين التانية اللي عايزاه لو مش عنده. مش فاكدة دكاته فين للأسف."
"قوليلي اسمه وأنا ادلك."

"كان اسمه... " أغمضت (ملك) عينيها ودعكت جبينها، ثم طرقت بصوابها ونظرت للبائع. " عم رضا عوضين. "

ابتسم لها الرجل. " دي دكانته يا ست الكل. كان أبويا، الله يرحمه. " انقبض قلب (ملك) على الرجل ذو الوجه السمح وتجاويع خط فيها التاريخ نفسه. " ربنا يرحمه ويحسن إليه. كان راجل طيب أوي. "

" ربنا يخليكي يا ست الكل. "

" تعيش وتفتكره. "

" أمين. " نظر البائع إلى (كريم). " إيه يا هندسة، اساعدك في حاجة؟ " تقريباً لقيت اللي عايزه. " وقف (كريم) ويده ثلاث كتب آخرين. " بكام دول لو سمحت؟ "

" خلي يا باشا. " ضحك البائع. " ده الست الوالدة طلعت صاحبة مكان. "

" ربنا يخليك والله. " ابتسمت له ملك. " بس بالله عليك قولينا. "

أوماً البائع برأسه. " طب كتابين بأربعين والثالث هدية مننا. "

" يا حج ماينفع - "

" ورحمة عم رضا ده آخر كلام. " أشاح بيده. " عايزة الراجل يقوم من تربته يديني علقه من اللي ماشوفتهومش وأنا عيل؟ "

ضحكت (ملك) وأومات برأسها. " خلاص حلفتني بالغالي. "

دفع له (كريم) وأعطاه البائع كيس ليضع الكتب به. " شكرا. "

" شرفتونا، المكان مكانكوا. "

" تسلّم يا حج. " اتجهت (ملك) مع (كريم) للدكان المقابل له وتنهدت. " يا عالذكريات يا (كريم). "

نظر إليها وابتسم. " كنتي بتيجي هنا مع (يوسف)؟ "

تعثر قلبها ونظرت له، تتفقد عينيه لتحاول جس نبض ما جال برأسه. "فعلا عايز تعرف؟"

"أنا هموت واسألك من ساعتها." ضحك (كريم). "ماتحكيلي اللي حصل طيب."

ابتسمت عندما غمرتها الذكريات. "كان زمان عندي واحدة صاحبة اسمها كارولين، كنا قرييين جدا. (كارولين) دخلت تجارة، وكان (يوسف) يبذاكرها...".
ظلا يتسوقان، وحكت له (ملك) عن أول مقابلة لها مع (يوسف)، وثاني مقابلة، وحكت له عن رحلة الأقصر وأسوان، التي كانت نقطة التحول في علاقتهما. فكانا قد سافرا فعلا، وأمضت الطريق كله معه هو وكارولين في كايينة القطر، وعلا صوت ضحكهم وتردد في رواق الكايينات. تذكرت أن أعينهم هي وهو لم تغفل طوال الطريق، وهمسا حتى لا يقلقا (كارولين) من نومها.

ثم وصلا الأقصر، وافترق طريقهما فقط عندما وصلوا الفندق وذهبت (ملك) مع (كارولين) لغرفتهما المزدوجة، واتجه (علي) لغرفته التي كان سيشارك فيها مع حسن، أحد زملائه. دخلت (ملك) لتستحم بسرعة وتغير ملابسها، وارتدت فستان طويل زيتي بأكام قصيرة، وصندل جملي، وأخذت معها قبعة احتياطي إن قرروا يتنزها في أرجاء أرض الفندق. انتظرت (كارولين) حتى جهزت هي الأخرى، ونزلا للمطعم حتى يتناولوا الغداء.

لمحت (ملك) يوسف يجلس بمفرده على مائدة صغيرة في منتصف المطعم، وتوجهت له هي وكارولين. "اتأخرنا عليك؟"

"لا، أبدا." هز رأسه. "قلت انزل بدري الحق تراييزة فاضية."

"كويس." ردت كارولين. "روحوا انتوا هاتوا أكلكوا وأنا هستنى ترجعوا

واقوم."

"مش مشكلة، أنا ممكن استنى."

"يا(يوسف) قوم بس." أشاحت بيدها وجلست. "أنا مش جعانة أصلا. يلا روحوا."

"مش هتأخر عليكي." تركت(ملك)قبعتها وحقيبتها الصغيرة على المائدة، واتجهت هي ويوسف للبوفيه. "المكان حلو أوي. الأوض فظيعة."
"هو جميل فعلا." وفقا في الطابور وابتسم لها(يوسف) ابتسامة خجلة.
"شكلك حلو في الفساتين."

احمرت وجتتهاها. "شكرا. مش بعرف آجي بيهم الكلية خالص، وماما مش بترضى تخرجني بيهم، بس قلت هنا ينفع."
"هو شكله حلو فعلا." ظل ينظر لها برهة، ثم نظر بجانبه والتقط طبق وأعطاه لها. "اتفضلي."

"شكرا." تذكرت(ملك)ما قد جلبته معها. "ابقى فكرني بس اوريك حاجة لما نتقابل بالليل. بفكر أقعد على حمام السباحة شوية، بس(كارولين)بتقولي إنها هتنام بدري."

"أكيد." أوما برأسها. "عايزة توريني إيه؟"

ابتسمت له ابتسامة غامضة. "مفاجأة."

ضحك(يوسف). "ماشي ياستي."

غرفا الأكل في طبقيتها، ورجعا للمائدة حتى تجلب(كارولين)بعض الأكل لنفسها. جلسوا ثلاثتهم يأكلون معا، ويكملون حديثهم ويتطرقون لمواضيع أخرى. كان برنامجهم سيبدأ غدا في الصباح الباكر، فكان لديهم بقية اليوم ليستريحوا فيه أو يفعلوا ما يشاؤوا.

جلسوا مع بعض أصدقائهم بعد الأكل، ومع حلول الليل بدأت ضجتهم أن تهدأ، وتسلس الناس وانفرطوا رويدا رويدا، حتى بقي (يوسف) مع (ملك) و(كارولين) التي تشاءت بشكل مبالغ فيه. "طب أنا هطلع أنام بقى."

"استني خديني معاكي." قامت ملك. "هطلع اجيب حاجة من الشنطة." تلفتت ليوسف. "مممكن تستتاني على حمام السباحة؟"

"أكيد." قاموا كلهم واتجهوا للمصعد. وقف (يوسف) خارجه وأوما لها برأسه. "هسبقك على هناك."

"تمام." أغلقت أبواب المصعد، وتنهدت ملك. كان قلبها يعدو في صدرها من توترها، وجاءت أنفاسها سريعة وسطحية.

"اهدي." ضحكت كارولين. "هيجب الهدية."

"يا رب." أزاحت (ملك) شعرها عن وجهها، واتجهت مع (كارولين) إلى غرفتهما لتأخذ الهدية الملفوفة بورق هدايا أخضر داكن. "مش هتأخر."

"لأ، أتأخري. ارجوكي."

أسرعت (ملك) في خطاها، حتى وصلت لحمام السباحة ورأت (يوسف) يقف على حافته ويديه في جيبيه. وصلت له ورفعت الهدية. "كل سنة وانت طيب. انت عيد ميلادك كان من يومين، صح؟"

ابتسم لها وبدا عليه الحيرة والتفاجؤ. "اه، بس ماكتتش اعرف إنك فاكرة." "أكيد فاكرة." أخذ منها الهدية وعقدت أصابعها معا من شدة توترها.

"افتحها."

فك (يوسف) اللزق ببطء حتى لا يقطع ورق الهدايا، ووسعت عيناه حين رأى الغلاف القديم وعنوان الكتاب. ظل يحدق به برهة، ثم رفع عينيه لها، وزاد توتر (ملك) مما رأته بهما. "انتي افتكرتي؟"

" رجعت بعدها وجيئته، وقولت اديهولك في عيد ميلادك. ده اللي كنت عايزه،
صح؟"

" ابوة." مسح بأنامله على غلاف الكتاب ولاحظت(ملك)ارتعاش يده.
" ملك،" نظر إليها بدهشة وهز رأسه. "أنا مش عارف اقولك إيه."
"دي حاجة بسيطة يعن-"

"بحبك."

اختفت ابتسامتها، وسكن الكون، وتوقفت الأرض عن الدوران.

"و بعدين؟"

ارتشفت(ملك) من كوب الشاي ووضعتة أعلى المائدة. كانت هي وكريم جالسان في قهوة قريبة من السور، اعتادتها قديما مع(يوسف) عقب زيارتها للسور. قد انتهيا من التسوق هناك هي وكريم، وأكملت سردها لقصتها هي ويوسف حتى وصلا القهوة وجلسا. "قولتله إني كان بحبه، وبقينا مع بعض."

"و بابا دوره إيه بقى؟"

تجهمت ملك، وشعرت أن غيمة ما حلقت فوق رأسها. "أبوك كان جاري. كنت شايفاه بيرا قبني من زمان، بس عمره ما جه كلمني. كان مع(يوسف) في الكلية، نفس الدفعة، وكان بيغير منه. أنا ويوسف ما جنبناش نعلن علاقتنا، بس اعتقد إنه خد باله، عشان بعد الرحلة اتغير خالص..."

تذكرت(ملك) اقتراب(هاشم)منها عقب رجوعهم من الرحلة، وكيف ذهب لأبيها وأمها وطلب يدها. رفضته(ملك) بحجة أنها تريد أن تنتهي من دراستها قبل أي شيء، وما زال أمامها عامين حتى تتخرج. ثارت أمها عليها، ولكن وقف أبوها في صفها، وأخبر(هاشم)بقرارها ذلك. لم ترد أن تخبر أهلها عن(يوسف)، لأنه لم يكن جاهز حتى يتقدم لخطبتها بعد. كان ما زال أمامه عام آخر في الجامعة، ثم سيبحث عن وظيفة ويدخر بعض المال حتى يستطيع أن يشتري شبكة.

ساعدتها(كارولين)أن تخرج معه في الخفاء حتى لا يشعر أهلها بأي شيء، فقد اعتادا أن تقضي(ملك)عطلة الصيف بصحبة(كارولين)معظم الوقت. أمضت(ملك)مع صيف مليء بخروجات للسور وجروبي وقهاوي كثير حين تعسر المال معه. حاولت(ملك)الا تشعره بالفرق بينها، ولم تطلب منه أي شيء. اتفقا أن

طلما هما الاثنان مازالا طلاب، فلم يكن عادلا أن يدفع هو الحساب كلما خرجا. لم يرتاح (يوسف) لتلك الفكرة، ولكنه لان أخيرا ووافق أن يفعلا ذلك حتى يحصل على وظيفة.

مر الصيف، ورجعا مجددا للدراسة، وأبقت (ملك) كارولين معها طوال الوقت حتى لا يشك أحد بهما، وحتى لا تشعر (كارولين) أنها منبوذة وأن (ملك) قد تخلت عنها، وأيضا حاولت أن تخصص وقت لها هما الاثنان فقط. ولكنها وجدت (كارولين) متفهمة للغاية، وتحنها على قضاء بعض الوقت بمفردها مع (يوسف) حتى تتعرف عليه أكثر. خشيت (ملك) أن يراها أحد زملائهما، وازداد ارتياها مع مرور الوقت، وأصبحا يذهبان لأماكن بعيدة، كانت (ملك) شبه متأكدة أن معارفها لن يخرجوا فيها، ولكن قلقها لم يبدأ، فهي لم تكن تريد اطلاقا أن يصل الأمر لأهلها.

أما هاشم، فلم تسكته كلمات أبيها له، وحاول أن يتقرب منها في الجامعة، ويعرض عليها أن يقلها للبيت بعد محاضراتها، وكانت دوما ما ترفض. لم تكن تطيق هاشم، فكان متعجرفا جدا، ويتباهى بالسيارة التي قد اشتراها له أبيه، ويتحدث دوما عن الفتيات التي كان يوقعهم في حبه. وجدته مقزز، ومثيرا للشفقة. لم تسحر بوسامته وثناء أهلها، ولم تكن ترى غير (يوسف). فكان (يوسف) شخص بسيط وواضح، يحترمها ويحاول دوما أن يشعرها بحبه لها، ويطمأنها أنه لا يريد شيئا آخر من الحياة غير أن يتزوجها ويقضي حياته معها.

لم تكن (ملك) قد أحببت من قبل. كانت تخشى ذلك الضعف والوضوح أمام شخص قد يستطيع أن يدمرها في أقل من ثانية، ولكن (يوسف) كان استثناء. شعرت (ملك) أنها قد تعرفت على كل ثناياه وخباياه منذ أن قابلته من سنة، فهو حكى لها عن أهله وطفولته، لم يحاول أن يجعل من ظروفه البسيطة، ولا عمل أبيه كفراش. لم

تأبه بظروفه، فهي لم تكن من الفتيات المادية التي تهتم فقط بكبر بيت الزوجية، حتى تتباهى به أمام صديقاتها ومعارفها. لطالما اعتقدت أن أهم شخص هو شريك الحياة، ووجدت (ملك) أن (يوسف) كان أفضل شريك على الإطلاق.

مرت السنة الدراسية، وتخرج (يوسف) من الكلية بتقدير امتياز، وعين فور تخرجه في مصلحة الضرائب التابعة لمنطقته. أرادت أن تحتفل به في مكان شاعري، ولكت خافت أن يراها أحد، فاتفقت مع (كارولين) أن يحتفلا بحديقة فيلا جدتها التي كانت تمكث معها (كارولين) في مصر الجديدة، وكانت جدتها كبيرة بالسن، لا تستطيع التحرك كثيرا، وكان سمعها قد ساء مع مرور الزمن، فأكدت لها (كارولين) أنها لن تشعر بشيء.

ذهبت (ملك) إلى بيت (كارولين) ومعها كعكة بالشوكولاتة، واشترت من كشك مجاور زجاجتين من مشروبه الغازي المفضل. قصت لها (كارولين) بعض الورد من الحديقة، وفتتوا أوراقه ووزعوها على المائدة. لم تكن تقتني (ملك) أية فساتين قصيرة، فأخذت من (كارولين) فستان أبيض من الشيفون، يصل لركبتيها، وله حمالات عريضة. أخذتها (كارولين) لمصنف شعر مجاور، وعندما رجعا وضعت لها بعض المكياج.

دقت الساعة السادسة، ونظرت (ملك) من نافذة (كارولين) المطلة على بوابة الفيلا، ورأت (يوسف) واقف خلفها. أسرع للبوابة وتركت (كارولين) في غرفتها. فتحت له البوابة واحمرت وجتها عندما رأت عيني (يوسف) تتسع ويحديق بها. "إزيك؟"

"في اللحظة دي أنا زي الفل. " رفع عينيه لها. " وحشتيني. "

" و انت. " أمسكت يده وشدته للداخل، وقفلت البوابة خلفها. " تعالي، محضر الك مفاجأة. "

تمشا للحديقة الخلفية للفيللا، ورأي(يوسف) المائدة والشمع والورد المبعثر،
والكعكة والمشروبات. ارتسمت على وجهه ابتسامة كبيرة. "إيه كل دة؟"
"مبروك عالشغل." وقفت على أطراف أصابعها وقبلته على وجنته. "أنا
فخورة بيبك أوي."

ارتعش زفيره وضمها إليه. "قربنا يا ملك. قربنا مانضطرش نستخبي."
"أنا مش عايزة اضغط عليك." رجعت للوراء حتى تنظر له. "مش عايزاك
تحس إنك وراك حاجة لازم تعملها."
"و أنا مش عايز استنى." خطفت النظرة التي رأتها بعينيه أنفاسها. "مش عايز
اخبي. عايز الناس كلها تعرف إننا لبعض."

"و أنا كان." شدته وجلسا على الكنبه الصغيرة، وشرعت في تقطيع الكعكة.
"اعتقد بابا مش هيبقى عنده مشكلة في حاجة، وهيعرف يمشي كلمته على ماما. هو
على طول بيقولي إنه أهم حاجة عنده اللي اتجوزه يكون بيحبني."
"لو الموضوع كده يبقى اتطمئن خالص." أخذ منها الطبق وفتح لنفسه إحدى
الزجاجتين. "بالمناسبة، فكرت في حاجة."
"إيه؟"

"في الفرح، في أغنية عايزنا نرقص عليها، بتفكرني بيكي كل ما بسمعها."
ابتسمت له ملك. "إيه؟"
"هي أغنية لسيناترا. اسمها 'Strangers in the Night'."
"عارفاها!" وسعت ابتسامة ملك. "و بحبها أوي. خلاص، دي هتبقى
بتاعتنا."

"خلاص اتفقنا."

"يوسف؟"

نظر لها وارتسمت على وجهه ابتسامة بسيطة. "أبوة؟"
"بحبك."

جلست (ملك) في شرفتها، تقرأ إحدى الروايات التي قد اشترتها صباح اليوم مع (كريم). سمعت الباب يقفل ويفتح، ومالت للأمام لتجد (مايا) متجهة لها. "إزيك يا حبيبتى؟"

"تمام." جلست (مايا) أمامها. "بابا رد؟"

هزت (ملك) رأسها. "كلمته تاني وماردش."

تأففت (مايا)، وفي تلك اللحظة رن موبايل ملك، وظهر اسم (هاشم) على

الشاشة. انتفضت (مايا). "ردي!"

"حاضر." أمسكت (ملك) بموبايلها. "ألو؟"

"موافق." قالها وزفرت (ملك) نفس قد حبسته منذ أيام. "بس بشرط."

انقبض قلبها مجددا. "إيه؟"

"ترجعيلي."

تفتت قلبها. لا، لن ترجعه بعد كل ذلك، لن تسجن نفسها مجددا. كانت قد

تحررت منه، وبدأت أن تطيق جسدها بعد أن كف عن لمسه ورؤيته. لن تستطيع أن

ترجع، ستكتئب مجددا، وستفقد الحياة معناها-

مالت (مايا) إلى الأمام، وبعينها أمل وخوف، ولم ترى (ملك) ابنة الثالثة

وعشرين، بل طفلة بصفيرتين، تلعب وتجري في أرجاء المنزل.

انفطر قلب ملك، وتخيلت فرحة ابتها، وخفف ذلك الألم وريدا.

"موافقة."

رن الموبايل، وظل يرن، حتى كاد(يوسف) يفقد الأمل ويقفل، لولا صوت(ملك)الذي صدر منه وهو ينزله عن أذنه.

"ملك؟ إزيك؟"

"...تمام."

انقبض قلبه من نبرتها. "مال صوتك؟"

"هاشم وافق على(مايا) وعلى."

امتلاً قلبه بالفرح، وخرج من غرفته حتى يخبر علي. "عملتيها إزاي دي؟ عملتي

إيه عشان تخليه يوافق؟"

"وافقت ارجعله."

تسمر(يوسف) بمكانه. "إيه؟"

"وافقت ارجعله." ارتعش صوتها غضبا. "وافقت ارجع لواحد كان بيخونني

من واحنا مخطوبين. واحد فضل يخونني، ويستتاني انزل مع العيال عشان يجيب حد في

السريير اللي بنام عليه. هرجع لواحد بقاله ثلاثين سنة بيدلني بفيديو لينا، وبيقولي إني

رخيصة وسهلة، ويهددني يفضحني قدام ولادي، كل ده عشان انت اتخليت عني!"

ارتعد(يوسف) وأسند نفسه على الحائط. "ملك-"

"انت إزاي عملت فيا كده!" بكت. "إحنا كنا أحسن اتنين مع بعض شوفتهم

في حياتي! كنا مخططين لكل حاجة! وانت اتخليت عني بعد ما كنت وعدتني!"

دمعت عيناه، ودعك صدره ليذهب بعض الألم. "أنا عملت ده عشانك."

"عملت ده عشان إزاي! بابايا كان خلاص هيوافق."

"ماكانش هيوافق." بكى(يوسف). "هاشم جه قالي إنه تعبان جدا، ومش

هنلحق نتجوز وهو لسه موجود. وخدني وزرناه في المستشفى. قالي إنه لو حصله

حاجة انتي ومامتك هتبقوا محتاجين حد يقف جنبكوا ويصرف عليكوا، وأنا ماكنتش

هقدر اعمل ده. قاللي إنه هو يقدر، ولو سيبتك ومشيت من سكات، هيعمل ده من غير مشاكل."

"ف سيبتي وأنا أبويا بيموت؟"

"هو قاللي إن ده أرحم من أي وقت تاني."

"انت مغفل." اخترقت الكلمة صدره. "أنا كنت قولتلك مليون مرة مالاكش دعوة بموضوع الفلوس. أنا أمي عندها فلوس، وبابا كان سايلنا برضه. أنا قولتلك مليون مرة يا(يوسف)! وانت برضه عملت اللي في دماغك، ودمرتلي حياتي!"

"ملك-"

"المأذون هيبجي الأسبوع الجاي." ارتعش صوتها، ولكنها قد كفت عن البكاء.

"الأسبوع اللي بعده هات(علي)وتعالوا. وما تتصلش بيا تاني. كفاية واحد فيكوا في حياتي."

"ملك- " ولكنها قد أنهت المكالمة.

هطل المطر، ووقفت(ملك)وراء زجاج نافذة في غرفة كارولين. رأت(يوسف) يدخل من بوابة الحديدية، وكانت(كارولين)تنتظره بالأسفل حتى تساعده يصعد لملك دون أن تراه جدتها. ابتعدت(ملك)عن النافذة وعقدت يديها توترا. سمعت خطوات خارج الباب ودخلت(كارولين)ومعها(يوسف) الذي قد غرقت ملابسه.

"الجو بره بشع." قالت كارولين، وتفقدت ملابس(يوسف). "انت هيجيلك برد. هات انشفلك قميصك."

احمرت وجنتا(يوسف) وتلعثم وهو يرد. "إزاي يعني؟"

دحرجت (كارولين) عينيها. "يوسف، احنا طلعتنا رحلة فايد في الجامعة ونزلنا كلنا الماية. مالك بقى؟"

"عندها حق." هزت (ملك) كتفيها عندما نظر لها. "يوسف، الموضوع مش هياخذ خمس دقائق. عادي يعني. بدل ما يجيلك برد وتتعب."
تردد (يوسف) برهة، ولاحظت (ملك) أنه بدأ أن يرتجف. "ماشى." مد يد للوراء وشد التيشيرت من على ظهره. أعطاه لكارولين وقد احمر وجهه بالكامل. "شكرا."

"لا، العفو." اتجهت (كارولين) للباب. "هروح انشفه وآجي."
"تمام." انتظرت (ملك) حتى أقفلت (كارولين) الباب خلفها ونظرت ليوسف. "كنت عند بابا النهاردة." تذكرت منظر أبيها صباح اليوم وهو في سرير المستشفى، شاحب الوجه وقد نقص وزنه. لم يفارق أذنيها صوت صفير جهاز القلب، ورائحة المحاليل المعلقة. انقبض قلبها وامتلاأت عينيها بالدموع. رمت نفسها في ذراعيه ولم تأبه بعري صدره. "بابا تعبان أوي يا (يوسف)."

قد مر ثمانية أشهر منذ احتفالها بوظيفته، في نفس المكان، ولكن كم اختلفت الظروف. فحينها كان صيف وبه احتمالات لا حصر لها، وكان حضنه لها مفعم بالأمل، والآن ارتعشت (ملك) في حضنه، خوفا وحزنا. قد حلت بأبيها ذبحة صدرية، وحالته تتدهور كل يوم. ربت (يوسف) على ظهرها. "أنا آسف."
"أنا خايفة أوي."

"حبيتي، أنا موجود. ضمها له. "هيخف إن شاء الله ويبقى كويس."
"و لو ماخفش؟" رجعت للوراء ونظرت بعينه. "أنا مش مستعدة اخسر كوا انتوا الاتنين."

"مش هتخسريني." وضع كفيه على وجهها، ومسح دموعها بإبهاميه. "أنا مش هسيبك يا ملك. لو حصل إيه مش هسيبك."

هزت (ملك) رأسها، ولم تستطع أن تكف عن البكاء. "ما انت بقالك فترة قاعد بتقولي إنك خايف، وبتكلمني في فلوس وحاجات انت عارف إنها مش فارقة معايا." "بقلق ساعات بس يا ملك." تنهد وأسند ذقنه على رأسها. "بس أنا معاكي أهو ومش هروح في حته. وبكرا باباكي يخف واتقدملك ونتجوز." قبل رأسها. "بحبك."

شعرت بنفسه على وجهها، وكتم صوت المطر والرعد في الخارج كأنها كانا تحت الماء. كم كانت خائفة في تلك اللحظة، وتحتاج لبعض الطمأنينة، بعض الأمان والحب والاهتمام، وها هنا وقف (يوسف)، موطنها ومسكنها، مستقبلها. مرت اللحظات وهما واقفان هكذا، ذراعيه حول خصرها، يديها مستندتين على صدره. لم تعلم من منها مال الأول، ولكنها شعرت بالروح ترد لها حين انطبقت شفاههم، وشدته (ملك) لها، وتشبثت به في وسط كل تلك العواصف. تشبثت به، فمن آخر كان حبل نجاتها؟

وقفت (نادين) في صالون بيتها، ترتدي روب أسود من الساتان، بالكاد يكون أطول من بلوزة. احتست من كأس نبيذ أحمر، وتجاهلت سرعة ضربات قلبها. سمعت الرعد، وصوت قطرات المطر وهي ترتطم بزجاج الشرفة. جاء الوقت لتشفع فيه عن جريماتها، وإن كان ذلك لن يفيد رؤوف الآن.

في ليلة ماثلة منذ ما يقرب الخمسة عشر سنة، تلاحم البرق والرعد خارج شقتها القديمة، وبالكاد غطى على صياحها هي ورؤوف. وقف أمامها رؤوف يترنح إثر إحساسه زجاجة نبيذ كاملة، فقد شرع في الشرب عقب مرثم الأولى، ولم يتوقف منذ ذلك اليوم - عن الشرب وأشياء أخرى. تذكرت ارتعاشه عقب فعلتهما، وذعره وحيرته. ظل يردد أنه لم يكن يريد أن يفعل ذلك، ولماذا ارغمته، لماذا جعلت تحكمه في نفسه من المستحيل. ظل يلومها بعض الوقت، واتهمته (نادين) بالضعف والسذاجة، وأخيرا بعدم الرجولة.

ظل يقول أنه يريد أن ينسى، يريد أن يهدأ عقله، فرمت (نادين) زجاجة نبيذ مازالت مقفولة بجانبه على الكنبه، وكانت تلك البداية. شرب رؤوف بشراهة، حتى طردته أمه من بيته بعد أن رجع لهم كل يوم وهو سكران لمدة شهر، وجاء ليسكن مع (نادين). في بداية الأمر كان الوضع جيد، ولكنه بدأ يسكر أكثر فأكثر، ولم تستطع السيطرة عليه، حتى فصل عن عمله، وحل عليه الاكتئاب بحق.

راقبت (نادين) تدهوره، وكيف كف عن الاعتناء بنفسه، ولم يكن يأكل غير بعض اللقحات كل حين وحين، وبدأ أن يأخذ منها أموال حتى يشتري المزيد من الخمر، حتى تشاجرت معه (نادين)، وأخبرته أن المرتب كاد ينفد من أول أسبوع عقب القبض. استمرت شعجاراتها، وامتنعت عنه (نادين)، وكان يثور ويبيكي ويترجاها الا تمتنع عنه، والامتنع عن الشرب. ظلا هكذا شهور، حتى ذلك اليوم المشؤوم.

كان يترنح أمامها عندما دفعته خارج شقتها وسكرت الباب. تجاهلت بكاءه، وترجيه لها الا تتركه. دفعت نفسها بعيدا عن الباب ودخلت لتستحم. تذكرت (نادين) أنها بقيت في الداخل لمدة ساعة على الأقل، وخرجت لتجد هاتفها المنزلي يرن.
"الو؟"

"انتي عملتي فيه إيه؟" صرخت بها هند وهي تبكي. "عملتي فيه إيه قبل ما ينزل؟"

ارتعد قلب (نادين). "في إيه يا هند؟"

"رؤوف عمل حادثة." نحبت هند وسقطت (نادين) على الأرض، وسالت الدموع من عينيها كالفيضان. "عمل حادثة بسبيك."

جففت (نادين) دموعها في الحاضر، وأخذت رشفة كبيرة من كأسها. إن عاشت عمريين على عمرها، لن تستطيع أن تكفر عن ذنبها. ولكنها ستحاول. وستبدأ الآن.

رن الجرس، وأخذت (نادين) نفس عميق. حسنا، فليبدأوا.

اتجهت لباب شقتها على رجلين صلبة، وقلب يخفق بصدرها كطبل الحروب. فتحت الباب وارتسمت على شفيتها ابتسامة لطالما أعدتها كأحد أسلحتها. "كنت متأكدة إنك هتيجي."

بادها (عاصم) بابتسامة شبيهة لتلك التي على وجهها. "ما أنا على طول بجيلك يا (نادين)."

نظرت (مايا) للمطر من خلال نافذتها المغلقة وعبس وجهها. "يعني يوم ما مامتي توافق ترجع لبابايا ويرضى إننا نتخطب، الجو يقلب كده؟"

"بتحصل في الكتب كتير." رد عليها (كريم) بصوت ضجر. "الجو بيقلب لما كل حاجة بتروح في داهية."

نظرت له (مايا) من فوق كتفها. "أحنا مش في كتاب. أنا مش متفائلة."

"أنا هرجع اعيش مع بابا." رمقها بنظرة. "ما فيش أي حاجة تدعو للتفاوض. كفاية إحساس ماما."

"هي ليه بتكرهه أوي كده؟" جلست أمامه على السرير. "هو ماعملش حاجة وحشة."

ضحك (كريم) ساخرا. "هو ماعملش غير وحش. انتي اللي مسقطه بس." "يعني ماشي احيانا كان بيزعق." وضعت (مايا) يدها على جانبها، فوق ندبة لم تمسحها السنين. "و كان بيتعصب أوي." أزاحت الذكرى من عقلها، مثلها مثل ذكريات كثيرة كانت قد دفتتها في مكان ما شديد العمق بداخلها، مكان معتم وخفي. "بس عادي، أهيات كثير كده."

"مايا." وضع (كريم) كتابه جانبا. "مش عشان في أهيات كثير بيضربوا ولادهم ويعلموهم إزاي يستحموا ويغفروا لنفسهم عشان أمهم ماتشوفش الكدمات والتعاوير، يبقى ده صح. اللي بابا كان بيعمله غلط."

"ماما السبب." تجهمت (مايا)، وانسال اللوم على لسانها بسرعة وبسهولة. "كانت بتوتره وتعصبه، أكيد كان هيطلعه على حد."

"على ولاده؟ (مايا)، أنا جسمي لسه معلم منه." "لماذا كان يصير أن يخلق شيء من لا شيء؟" كل الناس بتضرب ولادها."

تنهد (كريم) وأشاح بنظره. "كلمتي علي؟" "باباه تقريبا كلم ماما واتخانقوا." هزت كتفها. "حقيقي مش قادرة اهتم. كلها أسبوعين واتخطب."

هز (كريم) رأسها ووقف. "أنا هروح اتظمن على ماما، تيجي؟" "لأ، فاكس مش قادرة على النكد دلوقتي."

رمقها بنظرة جعلتها تشعر بالذنب، ولكنها تجاهلتها. معظم أصدقائها كانوا يحبون أن يدعوا أن أهلهم لم يضربوهم قط، ولكنها رأت ندوب مماثلة لندبتها تلك،

وكانت تعرف أن الارتطام بحافة المكتب، أو الوقوع على السلم لم تخلف ندوب كتلك.
لم يكن أبيها أول ولا آخر أب يضرب أولاده.

و لكن...والد(علي) لم يضربه قط، وكادت تكون متأكدة أن(علي) لن يرفع يده
على أي طفل له. شعرت(مايا) بشيء من الرحمة بداخلها، لم تراه من قبل في أبيها أو
غيره من آباء أصدقائها، تلك العلاقة بينهم وبين أولادهم التي لم تسمح لهم بتحمل
إيذائهم. كتلك التي شعرت بها في أمها.

ارتابت(مايا). من أين جاءت تلك الفكرة؟ أمها لم تكن رحيمة، كانت أمها باردة
وقاسية، و...

وقع صدى الكلمات في ذهن(مايا)، ولكنها كانت قد فقدت صلابتها. تطايرت
الكلمات كالمدخان في رأسها.

هبطت طائرة في مطار القاهرة الدولي، وترجلت منها امرأة أربعينية بشعر أسود
يصل لأسفل رقبتها، ومعها رجل بمنتصف العشرينات. أخذت المرأة نفس عميق،
تغلغل صدرها هواء لم تتنفسه منذ سنين وسنين. وقف الرجل يترقبها، وقد انعقد
جبينه. لسنين كثيرة كرهت المرأة ملامح الرجل - عندما كان مازال طفلاً - وكرهت
ما فعله بحياتها، ولكنها لم تستطع أن تكرهه هو. صبيها الجميل، الذي قد سار رجلاً
يملاً العين والقلب بالفخر.

"ماما؟" عدل من حقيبة ظهره. "يلا؟"

أخذت المرأة نفس عميق آخر، وخطت للأمام.

استدارت(نادين)، وشرعت في المشي ببطء تجاه غرفة نومها. "خدت نمرك من(لبنى)على أساس نظبط المفاجأة اللي كنت عايز تعملهاها. صدقتني."
 "بس ليه غيرتي رأيك؟" تبعها، واقشعر جسدها من قربه. "وإزاي جت في بالك الصفقة دي؟"

انتظرت حتى دخلت غرفة نومها واستدارت لتواجهه. وضعت يديها على صدره، وفقط سمحت لبعض التوتر أن يظهر عليها. "أنا محتاجة اضمن إنك مش هتأذي لبنى، عشان مافضلش شايلة ذنبها طول حياتي. وانت مش هتتغير يا عاصم. تسمي اللي جواك ده مرض، أو حاجة طبيعية جواك، مش مهم. بس انت مش هتبطل تعمل كده." "توقفت لتأخذ نفسها، وجعلته يسمع الرعشة في زفرتها. "فكرت إني لو خيلتك تعمل ده معايا، خلاص مش هتعمل حاجة فيها."
 "وانتي هتستحملي؟ بعد كل اللي عملته فيكي؟"

"انت ربيتني على كده." قالتها بصوت واضح وقوي. "من وأنا عندي تمن سنين وانت بتعمل فيا كده. حتى لما كنت بقولك لأ."
 "ما قولتلك." رفع يده ومسح بظهر أصابعه على خدها، وكادت(نادين) أن تتقيأ. "مش هاخذ بكلمة عيلة."

"أنا عايزة اسمعها منك." ارتعش صوتها، ورفعت عينيها لتقابل نظرتها.
 "عايزة اسمع منك انت عملت إيه فيا."

ابتسم عاصم، ووطى رأسه ليهمس في أذنها، همسة ترددت في الغرفة الخالية، وسرد لها أفعاله بالتفصيل، حتى لم تتمكن من جح ارتعاش جسدها، وانهار الدموع من عينيها في صمت. استمعت، ومع كل كلمة شعرت بجملدها يحترق، كل كلمة

وقعها كلسعة لهب. استمعت، حتى نفذت فعلايتها، وساد الصمت في الغرفة مجددا. ولكن، يؤخذ على (عاصم) أنه لم يتعرف على الصمت الذي عادة ما يسبق العاصفة. وقد حضرت له (نادين) إعصار.

كان يوجد بارافان خشبي داكن بغرفتها، به بعض النقوش العربية، ولكنه لم يكن مفرغ، فلم يرى (عاصم) من كانت تقف خلفه، وتكتم أنفاسها ويكاؤها حتى لا يكتشفها. خطت من وراء البارافان لبني، ووقفت على رجلين ترتعش ويدها مازالت على فمها، تحديق به بعينين تترقق بالدموع والصدمة. تسمر (عاصم) في مكانه عندما رآها، وخطت (نادين) للوراء حتى تتلذذ في رؤية لحظة معرفته أن حياته كما يعرفها قد انتهت.

"لبني؟" ارتعش صوته، وشحب وجهه، ولمحت (نادين) يديه ترتعش. "انتي إيه اللي جابك هنا؟"

"أنا مصدقتهاش. "هزت (لبني) رأسها. "لما كلمتني قالتلي آجي، وقالتلي عنك حاجات، مصدقتهاش. بس جيت عشان اثبتها غلط، عشان اشوف عايزة تعمل إيه. "أنا... " نظر لنادين كأنه يريد أن تنقذه. "أنا..."

"مش هتتعرف تقنعها باللي اقنعت بيه مامتك زمان. "كتمت ضحكتها احتراماً للبني. "انت انتهيت يا عاصم، من كل النواحي."

خلعت (لبني) دبلتها، ورمتها على الأرض. ثم نظرت لنادين. "أنا هاخده معايا دلوقتي. أخويا كان معايا عالتليفون كل ده وسمع كل حاجة. هو واقف تحت دلوقتي. انزلي روعي باقي في أي حته، عشان ما يرجعش يعمل فيكي حاجة."

"محضرة الشنطة من قبل ما تيجوا."

"شكرا. على كل حاجة عملتها. "أومأت (لبني) برأسها، ثم نظرت لعاصم،

وامتلأت عيناها بالكره. "يلا."

تبعتهما(نادين) للباب، وقلته، وأحكمت من الأقفال الجديدة التي قد ركبتهما
البارحة بعدما خططت كل شيء. تنفست الصعداء، و فقط عندما تأكدت أنها قد مشيا
من العمارة كلها، بكت(نادين).

جلست(ملك) في سريرها، محدقة أمامها. لم ترد على(كريم) عندما جاء ليطمئن
عليها، ولم ترد على موبايلها عندما رن. لم تكن تريد التحدث مع أي شخص. كم كان
العالم مكان قاسي، يسلب حريتها كلما تذوقتها، مرارا وتكرارا على مر السنوات.
والآن، من أجل ابنتها، ستخسر كل شيء مجددا. بعد أسبوع، ستكون عروس مجددا،
تخطو داخل السجن مرة أخرى، وسيرتسم على خلاياها بصمات هاشم، ولن تستطيع
أن تمسحها تلك المرة. لن تستطيع أن تتطهر منه مجددا. كل ذلك من أجل ابنتها، التي لم
تأبه بشيء سوى أنها ذات نفسها ستكون العروس بعد أسبوعين.

تمزق قلب(ملك) عندما تذكرت فرحة ابنتها عندما أعلمتها بقبولها شرط أبيها،
كيف قفزت من كرسيها ورقصت، ونادت(كريم) حتى يجيء ويحتفل معها. ثم رن
موبايل ملك، ورأت اسم(يوسف)، وانفجر شيئا ما بداخلها ظل مكتوما ثلاث عقود.
قامت وحبست نفسها في غرفتها، وردت عليه، وكان ما كان. المغفل، ترك
كلمات(هاشم) تؤثر به، بعدما صمدت أمامها(ملك)سنين. لم يكن قد
أخبرها(هاشم)بتدخله، ولكن ذلك الشك قد راودها منذ آخر مقابلة بينها
وبين(يوسف) منذ ثلاثين عاما. عندما طلب أن يقابلها، وذهب لكافيه لم يعتاده من
قبل، وأخبرها فيه بوجه من صخر، أنه يريد أن ينهي علاقته بها.

لم تسع رأسها صدمتها، وبكت أمام رواد الكافيه، وظلت تسأله عن السبب، ولم
يرض أن يفصح لها. ظلت تسأله. "ليه يا(يوسف)؟ ليه بتعمل كده؟"

هز(يوسف) رأسه، "مافيش نصيب."

تذكرت بروده القارص، وكيف شعرت بقلبها ينفطر، ثم يتفتت لرماد وهي تشاهد ظهره وهو يتعد عنها. تذكرت كيف حام(هاشم)بعدها، وانتظر حتى توفي أبوها بعد أسبوع، ثم جاء ليزورها هي وأمها، وانتظر مرور الأربعين قبل مجيئه مع أبيه وأمه لخطبتها.

كم كان يضغط عليها هو وأمها، ثم هددها حين ظلت ترفض. تذكرت(ملك)عندما تركتها أمها لتحضر القهوة، وهمس لها(هاشم)عن فيديو قد وصله لها وهي تقبل(يوسف) في غرفة كارولين، وظل يهدد أن يريه لأمها، ولن يكون صعب عليه أن يقنعها أن الفيديو ما كان الا بداية لأفعال أخرى ارتكبتها(ملك)مع(يوسف) في تلك الغرفة. ظلت تحاول معه، حتى علمت بخطبة(يوسف) لفاطمة، جارتة التي كانت تجيء معه احيانا للجامعة، وانهارت تحت كل تلك الأحمال، وقبلت. تذكرت الرعب التي عاشت به في الخطبة، وانتظارها(يوسف)، وأملها أن يرجع لصوابه وينقذها من فكي أمها وهاشم. ولكن لم يجيء(يوسف)، واكتملت شقتها، واشترت لها أمها الفستان، وأخيرا عقد قرانها على هاشم.

ستتحمل العودة لذلك السجن، فقط لترى فرحة ابنتها مجددا. ستتحمل أي شيء. رن الجرس، وتركت(ملك)كريم يفتحه، ربا طلب أكل له ولأخته. ولكنها سمعت خطى تقترب من غرفتها، ودفع الباب، ووقفت(نادين) على العتبة. "مش بتردي ليه؟"

لم ترد ملك، واستلقت في سريرها. سمعت(كريم) يسرد لنادين ما قد حدث، وانفجرت(نادين) صائحة بها، تقول لها أنها حمقاء لقبولها، وأنها لن تحتاج لفعل ذلك، فحتها كان يوجد حل آخر. ظلت(ملك)صامته حتى يأس(نادين) منها، وقامت.

ستمضي أسبوعها هكذا، في صمت تام، حتى تستطيع أن تحصد قدر كافي من الطاقة لرؤية (يوسف) بعد كتب كتابها الثاني بأسبوع، في خطبة ابنتها، وحتى تستطيع أن تفرح بابنتها في ذلك اليوم. ستضطر أن تتظاهر بالفرحة طوال فترة الخطبة، حتى لا تفسد من فرحة (مايا)، ثم ستكمل حياتها هكذا حتى يحين وقتها، حية ميتة، وقد انطفأ كل شيء بداخلها.

رجعت (نادين)، ودخلت السرير بجانبها. ضمتها من الخلف وربتت عليها.
"هلا قيلك حل . ماتلقيش يا ملك."
لم يعد من القلق فائدة.

جلست (مايا) بسريرها، تأكل ساندوتش قد أعده لها (كريم)، وتحدث مع (علي) على موبايلها. "يعني باباك لسه متضايق؟"
"مش راضي يكلمني." تنهد علي. "هو اللي أنا فاهمه إنهم اتخانقوا، غير كده ما عنديش تفاصيل."

"إن شاء الله هيبقى كويس." أزاحت شعرها عن وجهها. "محتاجة أنزل أجيب فستان للخطوبة، وجزمة، واشوف مين هيبجي. بجد كان نفسي اعملها أوي حاجة كبيرة، بس خلاص احنا اتفقنا."
"مايا." حدثها (علي) بنبرة مستاءة. "انتي مش فارق معاكي خالص اللي مامتك هتعمله؟"

هل كان يجب أن تتأثر؟ كانت أمها تصلح من غلطتها، وفي الوقت نفسه تنقذ علاقة (مايا) وعلي، التي كادت أن تنتهي بسببها. "مش فاهمة مطلوب مني اعمل إيه؟"

"مش متضايقها خالص؟" تنهد مجددا. "أنا حاسس بالذنب."

"علي، ما ترجع لبابا يعني، فين المشكلة؟" دحرجت عينيه. "و كمان يعني إيه الأهم دلوقتي، إن احنا نكمل ونتخطب ولا مشاكل ماما مع بابا؟"
"مامتك هترجع لواحد اتطلقت منه. أكيد مش هتبقى مبسوطه."
"و أنا مالي بقى تتبسط ولا لأ!" لماذا كان يحاول أن يشعرها بالذنب؟ "أنا حياتي تبوظ ليه؟ ما خلاص هي عاشت حياتها واختارت تسودها على نفسها، أنا ماليش دعوة؟"

"انتي سامعة صوتك دلوقتي؟"

"اكفهرت (مايا) وعلا صوتها. "ماله صوتي؟"

"صوت عيلة دلوعة."

صفتها الجملة في وجهها، وسكتت (مايا) صدمة. لا، لم يقل (علي) ذلك. لم ينعتها بتلك الصفة التي لطالما فرحت أنه لم يقلها من قبل. هل كان يفكر بها بتلك الطريقة؟ فعلا؟ أكان فعلا يراها فتاة مدللة، لا تأبه الا بنفسها؟ شعرت بألم يقبض قلبها، ودمعت عينيه. "انت فعلا شايفني كده؟"

"مايا-"

"انت كنت الشخص الوحيد اللي ماحسسنيش بكده!" صرخت باكية. "و أنا كنت مرتاحالك عشان عمرك ما حكمت عليا! انت ماتعرفش حياتي كانت عاملة إزاي في البيت ده!"

"طب ممكن تهدي؟" بدا على صوته الندم، ولكنها كانت نائرة، ومجروحة، وأرادت أن تتخلص من بعض من نارها.

و لم يكن (علي) هو المصعب الصحيح.

"اقفل دلوقتي يا علي."

"مايا-"

أنهت المكالمة، وقفزت من سريرها. ستأخذ سخطها وترجعه للمنبع.
اتجهت (مايا) لغرفة أمها، ولم تأبه بوجود (نادين). لم ترى شيء سوى أمها.

"انتي مش هتبطلي تبوظيلي حياتي؟"

فزعت أمها من نومها، ونادين أيضا. "مايا؟" انعقد جبين أمها حيرة، وكان صوتها مازال خافت وضعيف من النوم. "في إيه؟"

"انتي بتبوظي كل حاجة!" صرخت بها (مايا). "بوظيتلي طفولتي! عمر ما حسيت إن عندي أم! طول حياتي وانتي نكدية ومكتسبة على طول. في إيه في حياتك وحش؟ جوزك كان معيشك أحلى عيشة! وخلفتي اتنين مافهوش عيب واحد. كتتي عايزة ترمينا ليه وتروحي الشغل؟ فيه إيه فينا غلط عشان ماتقبش عايزانا؟ لا ومش كفاية إني ماعنديش أم، لا كمان طفشتي بابايا."

وقفت (نادين) ولمعت عينها غضبا. "مايا!"

تجاهلتها (نادين)، وتجاهلت دموع أمها، وأنيها الخفيف، وتجاهلت حتى الأصوات الصارخة في رأسها، تأمرها أن تكف عما تفعله. "و دلوقتي عشان واحد كتتي ماشية معاه، حياتي أنا بتبوظ. هو سابق، صح؟ رماكي وعشان كده بتعملي في بابا كده؟ ما أكيد سابق! مانتي-"

طبقت يد على فمها أخرستها، وقفز قلبها في صدرها، ثم هز صوت أخيها الحوائط حولهم. "بس بقى!"

دفعها (كريم) بعيدا وارتطمت بتسريحة أمها. "كريم!" صاحت أمها. "انت بتعمل إيه؟"

"دي اتجننت خلاص!" صاح وهو يحدق بمايا، التي ظلت على الأرض ترتجف.
"انتي مالقيتيش اللي يربكي! أنا ماشوفتش واحدة أنانية للدرجة دي! ده إيه كل

القرف اللي جواكي ده! انتي مش شايقة هي بتعمل إيه عشانك؟ انتي مش شايقة هي بتضحكي إزاي؟"

"بتضحكي بإيه؟" صاحت (مايا)، ووقفت على رجلين ترتعش. "وهو بابا كان عمل إيه يعني؟" شاهدت نظر (كريم) وهو يصوب تجاه أمهما. "ماتقولي؟" نظرت (مايا) هي الأخرى لأمها، التي كانت تبكي في حضن (نادين). "قوليلي انتي، بابا عمل فيكي إيه؟"

ظلت أمها صامتة، وانكسر وجهها أكثر، وهزت رأسها.

"بالظبط كده." قالت (مايا). "ولا حاجة. انتي عندك مشاكل."

"اطلعي بره يا (مايا)." نظرت لأخيها، الذي فجأة لاحظت أنه أطول منها، وأعرض، وله لحية وصوت أجش يرهب. "اطلعي برا!" ركضت (مايا) خارج الغرفة، فقط توقفت في غرفتها لتأخذ موبايلها وحقيبتها، وركضت خارج باب الشقة.

لم يستطع (علي) أن يكف عن الحركة، وتمشى في البيت كالحيوان المحبوس. لماذا لم تكن ترد عليه؟ ماذا حدث لها؟ هل ينزل في ذلك المطر الذي لم يكف، ويذهب لبيتها ليطمئن؟ لم يكن يريد أن يقلق أمها، وحتى التليفون قد يقلقها، وربما لم تكن تريد أن تكلمه هي الأخرى. لماذا لم يأخذ رقم (كريم)؟ حاول (علي) أن يكلمها مجدداً، ولم ترد. لقد سمح لغضبه وإحساسه بالذنب أن يتمكن منه، فكان (علي) غاضب لأنه لم يستطع أن يفرح بقبول أبيها له وهي يرى أباه حزين لتلك الدرجة. لم يستطع أن يستدرج منه أية تفاصيل عن مكالمته مع أم (مايا)، سوى أنها قد تشاجرا. لم

يفهم(علي)لماذا جاءت سعادته على حساب أبيه وملك. لماذا كانت الأمور معقدة لتلك الدرجة؟ لماذا-

رن موبايله، وكاد يقع منه من فرط تلهفه. "مايا؟"

وصله نشيجها. "علي..."

"انتي فين؟" لم تكن بالمنزل، فسمع(علي)صوت الهواء العاصف حولها، وصوت بوق سيارة. "انتي نزلتي؟"

"كريم طردني من البيت، قولت اروح لبابا ابات عنده، بس مالتقوش في البيت ولا لقيت أمل. كلمته قفل عليا وبعثلي رسالة يقوللي إنه مع صحابه، وقاللي اروح."

اغمض(علي)عينيه وقبض يده. "انتي فين دلوقتي؟"

سكتت برهة. "تحت بيتك. ممكن اطلع؟"

اسرع(علي)للباب وفتحه. "مستنيكي."

انته(مايا) المكاملة، وبعد بضع دقائق رآها، واعتصر قلبه من منظرها؛ كانت ترتدي بلوزة قطنية خفيفة، وبنطلون قطني خفيف، وشبشب منزلي. قد غرقت بأكلمها من المطر، ووقفت ترتجف وهي تضم حقيبتها لصدرها.

نظرت له بذل وألم وانكسار. "حتى لو شايفني زي ما قلت، ممكن ماتطردنيش؟"

أنا ماعنديش حد غيرك."

دمعت عينا علي، وشدتها إليه، وضمها لصدره الذي كاد ينفجر من شدة ألمه هو

الأخر. "ولأنا يا(مايا)."

استيقظت (مايا) وفتحت عينيها، وأخذت بعض الوقت حتى تتذكر أنها في غرفة علي. جلست في السرير برهة لتفريق، وأمسكت موبايلها لتتفقد الوقت. الحادية عشر صباحا. كان (علي) يصحى مبكرا، فربما قد يكون قد استيقظ. قامت (مايا) من السرير، وعقدت من رباط البنطلون التي قد استلفته من علي، وعدلت من التيشيرت الثقيل الذي قد أعطاه له. وقفت أمام مرآته لتتفقد نفسها؛ شعر مجعد، عينان متورمتان وتحتها هالات سوداء. حاولت أن تمشط من شعرها بأصابعها لتروضه نوعا ما، وتنهدت عندما فشلت، واتجهت خارج الغرفة.

اتبعت (مايا) صوت التلفزيون، ووجدت (علي) وأباه في مطبخها المطل على غرفة المعيشة. جلس أبوه على المائدة يتابع التلفزيون، بينما وقف (علي) يحضر الإفطار. كان قد نام على الكنب في غرفة المعيشة، وعندما دخلت (مايا) المطبخ رأته يدعك أسفل عنقه. "صباح الخير."

تلقت (علي) وأبوه لها، واحمرت وجنتاها خجلا، فمن المؤكد أن أباه الآن قد حكم عليها أنها ليست محترمة، فمن تجيء لبيت من لم يكن خطيبها بعد، وتمكث عنده الليلة؟ ابتسم لها (علي) وخطا نحوها. "صباح النور، نمتي كويس؟"

أومأت برأسها، ونظرت لأبيه الذي كان يراقبها. "أنا آسفة بجد على امبارح. حصل عندي ظروف في البيت."

"أنا عرفت مامتك إنك هنا." تنهد أبوه. "ماكانتش عارفة تزعقلي عشان خليت بنتها تبات هنا، ولا تشكرني عشان بنتها ماباتش في الشارع."

"بابا." تجهم علي. "مش وقته الكلام ده. قالتلك كان فيه ظروف."

هز أبوه رأسه. "مش صح..."

وطت(مايا) رأسها. "لو ينفع بس آخذ هدومي وهمشي على طول." "انتي مش هتروحي في حته." قالها(علي) بصوت حاد. "بعملنا فطار أهو، وبعدين هفهم منك حصل إيه."

"مش عايزة اضايق باباك أكثر."

"أنا مش متضايق منك." رد أبوه. "انتي زي بنتي يا(مايا). وينت حد كان غالي عليا أوي. بكلمك كأب بس. مش صح إنك تيجي تباتي هنا، مش هتسلمي من كلام الناس."

"يعني كانت تبات في الشارع؟" علا صوت علي.

"علي." امسكت بذراعه وشدت عليه. لم تكن تريد أن يتشاجر مع أبيه بسببها.

"اهدى. أنا مش متضايقة."

"طب اطلعي اقعدي في البلكونة لحد ماجيلك."

"خليكوا." وقف أبيه واخذ بيده فنجان القهوة. "هطلع أنا عشان ماحدث

يشوفها من الجيران. مش ناقصة."

ظلت(مايا) صامته حتى ذهب أبوه وتركهما، ثم نظرت لعلي. "أنا آسفة."

وضع كفيه على خديها وقبل جبينها. "انتي ماعملتيش حاجة غلط، جيتي

للشخص الصح. هو بس خايف عليكى مش أكثر."

لفت(مايا) ذراعها حول خصره وتنهدت حين شعرت بذراعيه حولها. "تعبت

يا علي."

"عارف." مسح بيده على ظهرها. "هنقعد نفطر دلوقتي وتحكي لي اللي حصل.

ماشي؟"

أومأت (مايا) برأسها، وجلست على المائدة، تتابعه وهي يحضر لها بعض البيض المقلي. سخن لها رغيف خبز، ثم ذهب ليعطي أباه إفطاره في الشرفة. رجع وجلس بجانبها على المائدة، وشرعا في الأكل. ظلت (مايا) صامته وهي تأكل، وتفكر في أي مكان آخر تستطيع أن تأوى فيه. اتضح لها أن أباهما لم يريداهما في بيته لسبب أو لآخر، وستعامل مع هذا الألم لاحقا، ولكن الآن كانت بحاجة الى بيت آخر وأويها، لأنها لن تستطيع أن ترجع بيت أمها الآن.

هل حقا قالت هذا الكلام القبيح كله؟ متى وصلت (مايا) لتلك الوحشية؟ تذكرت أنين أمها، وآلمها قلبها. لم تستحق أمها منها كل ذلك السخط والكره، حتى وإن كان بينها اختلافات، حتى وإن تسببت أمها في تفتت عائلتهم. لا، كانت (مايا) مخطئة. لن ترجع بيتها الآن، حتى تهدأ أمها، وحتى يمر وقت كاف يسمح لها أن يتعاملوا كأن شيئا لم يكن. ولكن من سيأويها؟ سلمى، التي لم تحدثها (مايا) منذ أسابيع؟ (نادين)؟ لن تطلقها (نادين) أكثر من أمها، وستصرخ فيها وتشعرها بالذنب. لم يكن لديها شخص آخر...

"مالك؟" وضع (علي) شوكته على طبقه ونظر لها. "وشك قلب ليه؟"

"بفكر هروح فين من هنا." هزت كتفيها. "ما فيش مكان اروحه."

"هتروحي بيتك."

"مش هينفع." تركت شوكتها ولفت في كرسيها لتواجهه. "اتخانقت مع ماما امبارح بعد ما قفلت معاك، بس زودتها المرة دي أوي." سردت له (مايا) ماتم البارحة وما صدر منها، ورد فعل أمها. لم تأبه (مايا) أن يحقرها (علي) بعد حكايتها، فهي كانت تستحق حكمه عليها، ونظرته لها. قد سأمت كل شيء؛ أن تظهر بصورة غير صورتها، والأعيب عقلها التي بررت أفعالها المقيتة بأعذار بالية.

انتتهت من سردها، وأرجعت رأسها إلى الوراء. "قول اللي عايزه."

"طب انتي حاسة بإيه تجاه اللي عملتيه؟"

أكان طبيب نفسي الآن؟ هز (مايا) كتفيها. "عارفة إنه غلط، بس مش قادرة

اصلح. مش قادرة اعمل أي حاجة."

"ماهو ده مش حل. دي مش خناقة هتروح لوحدها. انتي محتاجة تقعدي مع

مامتك وتصلحووا اللي بينكوا ده."

لم تكن (مايا) من محبي المواجهات، وفي أي حال لم تكن بحاجة الى علاقة جيدة

مع أمها، فقد تربت دونها، واعتادت ذلك. لن تحيء الآن وتصلحها، فما الفائدة؟

هزت (مايا) رأسها. "مش وقته طيب."

"طيب خلصي فطار ونشوف. ممكن اطلع اجييلك هدموم من عندك ونروح أي

حتى نقعد فيها شوية لحد ما نشوف حل."

أومأت (مايا) رأسها، وقاومت نداء السيرير لها مجددا.

في شارع قديم بمصر الجديدة، مشت امرأة ذات شعر أسود قصير، وصوبت

عينها حولها. رأت محلات جديدة لم تكن موجودة آخر مرة مرت من هنا، وبعض

العمارات الجديدة التي لم تلائم اطلاقا العمارات التي ترعرعت حولها تلك المرأة. خفق

قلبها بشدة وهي تتجه لعمارة معينة، وحاولت أن تهديء من روعها، وتضع احتمال أن

مهمتها تلك قد تفشل. جزء صغير بداخلها أراد ذلك؛ الا تجد ما قد جاءت اليوم من

أجله، وترجع بلدها سالمة من أي توابع لمواجهة حتما ستجرحها. ألم يكن كافيا رؤية

أمرها بتلك الحالة المزرية؟ كادت الا تتعرف عليها عندما رأتها منذ قليل، هي وأبيها

الذي قد شاخ وانحنى ظهره.

وصلت العمارة التي كانت وجهتها، ورأت أطفال يلعبون بالمدخل. سألتهم عن

اسم حارس العقار، وذهبت بنت منهم لتناديه. عقدت المرأة أصابعها وازدادت سرعة ضربات قلبها. رجعت البنت ومعها رجل في منتصف عمره، يرتدي جلباب وشبشب مهتريء. "سلامه عليكموا."

"و عليكم السلام." عدلت من نظارتها. "لو سمحت، كان فيه واحدة عايشة هنا زمان، اسمها (ملك) رفاعي. تعرف هي ساكنة فين دلوقتي؟"

"أيوة، أستاذة (ملك) بنت الباشمهنس عابرحمن محمد رفاعي." "أوما برأسه. بس يا ست الكل ماتأخذينيش يعني، مش هعرف ادلك عال عنوان."

خلعت نظارتها وقرصت أعلى أنفها. "أنا اعرفها من زمان. محتا-"
"أيوة دلوقتي عرفت حضرتك." ابتسم لها الرجل. "عاش من شافك يا ست الكل. أنا أحمد، أبويا مصطفى الله يرحمه كان هو اللي بيقعد هنا زمان أيام ما الست (ملك) كانت ساكنة هنا، وكنت بشوف حضرتك كثير."

لم تتذكره، ولكنها لن تظهر ذلك حتى لا يزجر ويمتنع عن اعطائها ما كانت تريده. "طيب ممكن تديني العنوان لو سمحت؟"

"دقيقة بس انادي مراتي، هي بتروح لست (ملك) تساعدها في الشقة ساعات، تدلك أحسن مني."

شعر ذلك الجزء الصغير بداخلها بخيبة أمل، وتفشت الرهبة فيها. لا مفر من تلك المواجهة اذا. رجع الحارس ومعها امرأة تبدو أصغر منه بكثير. "يا أم مصطفى، دلي ست الكل هنا على عنوان ست ملك."

أخرجت المرأة موبايها وكتبت العنوان بعد أن أملتة عليها زوجة الحارس، وأخذت نفس عميق. حسنا، مازال ليدها أيام حتى تستعد. لا سبب للعجلة. ستأخذ وقتها وتفكر فيما ستقوله، ثم ستذهب وتنتهي من الأمر برمته.

شكرتها كارولين، وذهبت.

وصلت (ملك) ومعها (كريم) للعنوان الذي قد أرسله لها (يوسف). وجدت مكان للركن أمام بوابة العمارة، ونزلت هي وكريم من سيارتها. نظرت (ملك) حولها؛ في حياة أخرى، ربما لكانت من سكان تلك الحارة. حاولت أن تتخيل رد فعل نفسها ذات العشرين السنة، هل كانت لتقبل المعيشة هنا؟ تذكرت كم كانت مثابرة قديما، كيف ثارت ضد الطبقة المتفشية في المجتمع، وكيف حاولت أن تجعل (يوسف) فخور بأسرته البسيطة وظروفه. ولكنها الآن نظرت حولها، وحاولت أن تتخيل المعيشة هنا، في كل تلك الضجة والشارع الضيق، والإحساس بعدم الخصوصية. تخيلت (كريم) ومايا هنا، هل كانت ستستطيع أن ترسلها لمدارسها الأجنبية؟ هل كانت ستستطيع أن تدخل (مايا) جامعتها تلك؟

ولكن (علي) لم يحظى بمثل تلك الفرص، ومع ذلك كان شاب يملأ العين ويفخر به القلب. نظرت حولها ولمحت بنت تقف عند كشك ويتدلى من ذراعيها معطف أبيض، ويدها عدة كلية الصيدلة، وفي محل آخر شاب وعلى ظهره مسطرة هندسة. ربما لم تكن لتكون حياة سيئة للغاية، إن قضتها مع شخص يحبها.

"يلا يا ماما." وضع (كريم) يده على ظهرها، ودخلا العمارة. لم يكن بها مصعد، فشرعا في طلوع السلم، وشكرت (ملك) الجيم الذي جعلها تصل لطابق (يوسف) دون أن تلهث أو تتعب. وقفت أمام باب شقته، ورنت الجرس. خفق قلبها بشدة في صدرها، واستمدت من وجود (كريم) بجانبها بعض القوة. متى كبر ابنها وأصبحت تعتمد عليه، نفسيا قبل أي شيء؟ شعرت (ملك) في تلك اللحظة ببعض من قلقها تجاهه يتلاشى؛ سيكون ابنها بخير.

فتح الباب، ووقف(علي)أمامها وورائه(مايا)، التي وسعت عيناها وانعقد جبينها. تنحى(علي)جانبا حتى يترك لملك وكريم مساحة كي يدخلوا. "أفضل لي حضرتك."

اقتربت(ملك)من(مايا) بحرص، التي وقفت تراقبها كحيوان مجروح. حاولت(ملك)أن تبسم لها، ولكن ارتعشت شفيتها. وصل(كريم) لمايا قبلها، وضمها إليه. "أنا آسف." دمعت عينا(ملك)عندما رأت ذراعي(مايا) يلتفان حول ظهر(كريم). "ماكانش ينفع ازقك كده، ولا ازعق." مال للوراء حتى ينظر بوجهها. "بس انتي غلطتي يا(مايا)، وزودتي الموضوع أوي المرة دي." "أومأت(مايا) برأسها. "أنا عارفة." رفعت عينيها ونظرت لملك. "أنا ماكانش قصدي اللي قولته."

"هتتكلم في البيت." لم تكن تريد أن ترى(يوسف). "ها تي حاجتك ويلا بينا." "محتاجة أغير هدومي."

"أومأت(ملك) برأسها. "هستناكي انتي وكريم في العربية تحت." "استني يا ملك."

تعثر قلبها وتسمرت(ملك)مكانها. جاء(يوسف) من الشرفة ووقف بعيدا عنها، "علي، خد(مايا) وكريم وخشوا جوا ثانية."

قبل أن تتلفظ(ملك) بكلمة، وجدت نفسها تقف بمفردها مع(يوسف) في غرفة معيشته. لمحت بعينيها كنبه بنية مهترئة، وكريسيين نفس لون وقماش الكنبه، وتلفزيون من الطراز القديم. بجانب التلفزيون رأت الباب المؤدي إلى الشرفة الصغيرة، وانفتح المطبخ على غرفة المعيشة، وبجانب المطبخ رواق يؤدي لحمام وغرفتين. قد تسع شقته في صالون شقته بالإضافة إلى السفارة، وحاولت أن تتخيل الحياة هنا مجددا.

قطع(يوسف) حبل أفكارها. "ممكن نتكلم شوية؟"

"ما فيش حاجة نتكلم فيها." هزت رأسها ولم تلق عينيه. "أنا اللي غلطانة إني خلّيت نفسي انسى اللي حصل زمان، واخلىنا نرجع نتكلم عادي." "انتي حاطة في دماغك إني اتخلّيت عنك." أخذ خطوة تجاهها. "حطى نفسك مكاني؛ الشخص الوحيد اللي كان ممكن يمشي الموضوع كان في المستشفى بين الحياة والموت، ومامتك رفضت الفكرة تماما لما قولتلها، وفجأة طلّع (هاشم) اللي متعين في شركة أبوه ويقبض قدي عشر مرات، وعنده شقة وعريية، ولقيته واقف جنبكوا فجأة ومامتك مرتحاله."

حاولت (ملك) أن توقفه في كلامه، لم ترد أن تسمع تلك القصة مجددا، ولكن أوقفها (يوسف) وأكمل كلامه. "جه قعد يتكلم معايا وقاللي إن انتي مش هينفع تبقي شغالة في الخارجية وجوزك شغال وظيفة أي كلام في مصلحة الضرايب، وإني لو بحبك بجد يبقى المفروض اسيبك تبقي مع حد يليق بيكي، وعشان ماتبقاش العلاقة بينك وبين مامتك متوترة. أنا شوفت المكان اللي اتربتي فيه يا ملك، شوفت المستوى بتاعك، كنت هظلمك لو كنت جيبتك هنا."

"و انت فاكر إن واحد زي (هاشم) كان هيسمحلي اشتغل في الخارجية؟" ضحكت بسخرية. "ده بالعافية خلاني اشتغل سكرتيرة. هو صرف عليا وعيشني في مستوى حلو، بس ذلني على كل قرش دفعه، وخد حقه مني كويس اوي. عالأقل لو كنت عشت معاك، كنت هبقى مع حد بيحبني، المفروض. حد بيحترمني. ولادي ممكن مايكونوش دخلوا المدارس دي، ولا اتربوا في المستوى ده، بس عالأقل بتي كانت هتحبني. ابني كان هيطلع عنده أب مش بيكسره كل ما يشوفه. ماكتتش هبقى شغالة في الخارجية، وعلى فكرة أنا كنت حاطة في اعتباري إن الموضوع ده ممكن مايمشيش من ساعتها، بس فضلتك عليه."

"يمكن." هز كتفيه وابتسم لها ابتسامة تحمل ألم شبيه يألمها، ألم عمره ثلاث عقود. "ويمكن كتتي تحسي إنه سجن تاني بالنسبالك."
مسحت (ملك)دموعها. "ماعادش له لازمة الكلام ده خلاص."
سكت برهة، ثم انعقد جبينه كأنه تذكر شيء. "صحيح كنت عايز أسألك، فيديو إيه؟"

لم تكن تريد أن تجربه. أكان عليها أن تنطق عنه أثناء غضبها؟ حتما سيستشيط غضبه عندما يعرف، ولم ترد(ملك)أن تزعجه. ولكنها مازالت تعرفه، تعرف أنه لن يهدأ حتى يعرف. اخذت نفس عميق وتحذت. "صورنا فيديو في بيت كارولين."
شعرت بوجتتها يحمر، ولكنها قابلت عينيه. "لما كنا في أوضتها."
ظلت الحيرة على وجهه بضع لحظات، حتى فهم قصدها، وكما تنبأت ملك، احمر وجهه غضبا ولمعت عينيه. "انسان قدر! عملها إزاي أصلا؟"
"كان واقف جوا سور الجنية." هزت(ملك)كتفها. "تلاقينا ماخذناش بالنا منه بسبب المطرة." وذلك الشيء الآخر. "واحنا كنا واقفين قدام الشباك."
هز(يوسف) رأسه، ومازال الغضب مهيمن على تعابير وجهه. "وهتجوزي الشخص ده تاني؟"

اختنقت أنفاسها كلما تذكرت، وشعرت بقبضة على روحها تتطفئها. ربا، بعد زواج(مايا)، ستستطيع(ملك)أن تتحرر من(هاشم)مجددا. ولكنه أكيد يعلم أنها ستفعل ذلك، وسيدبر شيئا ما يجعلها تبقى معه تلك المرة. أخذت(ملك)نفس عميق لتذهب بعض من خنقتها. "هتجوزه. عادي، عملتها مرة هعملها تاني."
"مش لازم."

"إيه يا(يوسف) وأنا هقولك؟" هزت رأسها. "انت لو في إيدك حاجة تعملها لعي، هتقدر ترفض؟"

لم يرد، لم يكن يوجد رد. لن يطلب منها أن تتراجع عن قرارها، فسعادة ابنه مقرونة بقرارها، ومهما كان يكن لها من مشاعر، فلم تكن أقوى من حبه لابنه. تنهد تنهيدة المنهزم وأوماً برأسه. "عايز اقول حاجة أخيرة بس، انتي عمرك ما كنتي قليلة بالنسبالي. أنا كنت بموت يوم ما قولتلك إني مش عايز اكمل، وإن كنت اتظاهرت بغير كده، ف ده عشان حسيت إن دي أسهل طريقة أخليكي تنسيني بيها. انتي على طول كنتي قوية يا ملك، وكرامتك كانت عالية. أنا قلت هتسمعي الكلمتين دول، هتسنيني على طول وتمحيني من حياتك. ماكتتش اعرف انك هتتجرحي للدرجة دي."

كم من مرء خسر دنيته بسبب افتراضات رسمها ذهنه كحقائق منزلة. تذكرت(ملك)علاقتها، وحبها، ولم يعد يشوب الذكرى في ذهنها وصم تخليه عنها. تذكرت اللحظات الحلوة، والمرات التي قال لها(يوسف) أنه يحبها، وروحها التي وجدت قرينها في روحه، وقلبها الذي خفق - ومازال، بعد كل تلك السنين يخفق - باسمه. تذكرت حلمها الذي سكن بها وهي فتاة العشرين، والذي أصبح طيف أحلى حكاية عاشتها. تذكرت خططها للمستقبل، وعاطفتها الجياشة التي رسمت تلك الخطط.

و تلك النظرة التي لمعت بعينه كلما رآها، والتي أشعرتها بكل ما جال في قلبه تجاهها. تذكرت تلك القبلة الوحيدة، التي حاول(هاشم)على مر السنين أن يكرها فيها، ولكنها ظلت النور في عتمة الحياة معه، ذكرى تداعب قلبها المتألم، فتداويه قليلا. تخيلت حياة معه؛ أول وجه تراه عندما تستيقظ، أول صوت تسمعه. احتسائها القهوة معا في الصباح، فراقها للعمل، واللقاء في المساء. تخيلت أسرة يسود بها المودة، بيت تمتليء أرجائه بالضحك والموسيقى، لا بيت يضحج بصراخ أهله، ويسوده الكره والألم والذل. تخيلت جسم لا يقشعر من ملامسة جسم آخر له، جسم يرتعش لسبب

غير الاشمزاز والخوف. دموع تسيل من الفرحة وليس القهرة. ذراعان يكونان لها الحمى وليس المنفى. فلطالما شعرت(ملك)أنها منفية عن نفسها وهي في حضن هاشم، وها هنا يقف مسكنها الأزلي والأبدى، وها هي تقف خارجه، مكبلة عنه. أغمضت(ملك)عينيهما، وتخيلت كل ذلك، واكتفت بالخيال. فهي كانت ابنة الكتب، وما لأهل الكتاب غير الخيال.

سمعت خطواته تجاهها، وزفرت نفس مرتعش حين شعرت بأنامله تمسح دموعها. فتحت عينيهما، ولم يقف أمامها رجل في منتصف العمر، بل شاب في مقتبل حياته، ينظر إليها بعينين سودتين هامت وهوت فيهما، عينين ترى فيها انعكاس بنت بشعر بني طويل، وأمل لم ينطفيء بعد، وبكت ملك، وحزنت على فراقها. "ملك." امتلأت تلك العينان بالدموع، ووجدت(ملك)أنها مازالت لا تستطيع تحمل ذلك المنظر. "أنا آسف على كل حاجة. آسف عالعرم اللي راح. انتي عشتي جوايا السنين دي كلها، وهتفضل عايشة. أنا حبيتك زمان أوي، ولسه بحبك، وهفضل أحبك." نشجت ووطت رأسها، وشعرت بشفتيه تطبق على جبينها، وسكنت العاصفة التي كانت برأسها برهة، فقط لتستمتع بتلك اللحظة، وتفصل منها ذكرى أخرى ستطري من صعوبة الأيام القادمة. حاولت(ملك)أن تكتم نحيبها، وضمها(يوسف) إليه، ودفنت وجهها في عنقه وبكت، وتشبثت به مثلما فعلت ذلك اليوم في المطر. شدد(يوسف) من حضنه لها، ومكثا هكذا، غير آهان بأعين أبنائهما، غير آهان بأدوارهما، ولا أي شيء سوى تلك اللحظة، تلك اللحظة التي داوت جروح عمرها بعمر الفرحة الوحيدة التي عرفوها في تلك الحياة.

استندت(نادين) على سيارة وهي تدخن، تراقب مدخل العمارة المواجهة لها كالصقر. ظلت سنين تتفادى المرور من هذا الشارع، وها هي الآن واقفة فيه بإرادتها. قد توالى على العمارة حراس كثيرون، ولم يتعرف الحارس الحالي على من جاءت لكي تسأل عليهم. لم يكن عندها أي مواعيد اليوم، وقررت أن تنتظر حتى ترى من جاءت لتراه، أو حتى تستجمع شجاعة كافية لتصعد للشقة التي عاشت بها أفضل سنين حياتها، وتكتشف اذا ما كانت رأت طيف في السوبرماركت.

رن موبايلها في جيبيها، وأخرجته لتجد رسالة من عروس ما قد اقترب فرحها، وكادت(نادين) الا تلحق رؤية المرأة الثلاثينية التي مرت من أمامها ودخلت مدخل العمارة، امرأة بوحمة صغيرة أسفل خدها. لحقتها(نادين)، والتقطت نفسها حتى تناديا. "هند؟"

وقفت المرأة، وتلفتت لنادين. "أيوة، مي- "تسمرت هند في مكانها، ووسعت عيناها صدمة. "نادين؟"

ارتعد قلب(نادين) في صدرها، وكادت توقع موبايلها من رهبتها. "يبقى انتي فعلا اللي شوفتها في السوبرماركت."

انعقد جبين هند، وتألّت(نادين) مما رآته في ملامحها من ملامح رؤوف. "انتني بتعملي إيه هنا؟ سوبرماركت إيه؟"

شرحت لها(نادين) ما حدث في السوبرماركت، وأنها لم تستطع أن تكف عن التفكير بالأمر، وعلمت أنها لن تهدأ حتى تتأكد بنفسها. استمعت لها هند، ولم تبد على وجهها أي تعبير قد يفصح عما دار بداخلها. انتهت(نادين) من حكايتها، ونظرت إليها بتطلع. "هتقولي حاجة؟"

هزت هند رأسها في حيرة. "مش عارفة فيه إيه يتقال." سكتت برهة، ثم عدلت من قبضتها على أكياس التسوق. "الحاجات ثقيلة." تفقدت (نادين) لحظة، ثم تنهدت. "تعالى نطلع."

قفز قلب (نادين) بصدرها، ورفعت عينيها لشرفتهم. "متأكدة؟" أوأت هند برأسها. "مش هنقف نتكلم في الشارع." فكرت برهة، ثم أكملت حديثها. "طب استنيني هنا، هطلع الحاجة ونروح نقعد في أي حطة نتكلم." كتمت (نادين) خيبة أملها، وقالت لنفسها أن ذلك الاقتراح كان أفضل بكثير من دخولها تلك الشقة مجددا. "ماشي هستناكي."

"ماشي." أبقت هند عينيها على (نادين) لبضعة ثواني أخرى، ثم استدارت وتركتها.

حدقت (ملك) في مرآتها، وتفقدت وجهها الخالي تماما من التبرج. اذا كانت مضطرة أن تدخل سجنها مجددا، فلن تتظاهر تلك المرة بأنها مقبلة على جنة. لفت حول رأسها طرحة رمادي خالية من أي زركشة، وكانت ترتدي بلوفر أسود من الصوف، وبنطلون أسود أيضا. وقفت ورائها(نادين)، متجهمة وعابسة. "يا ملك، طب سيبيني اتكلم معاه طيب."

"هتقوليله إيه؟" لفت(ملك) في كرسيها لتواجهها. "أنا لو ماعملتش كده هيقولهم حاجات مقرفة عني، مش هيقف عند الفيديو، وأنا مش هستحمل ولادي يبقوا عارفين عني كده."

"حاجات مقرفة ماحصلتس." أزاحت(نادين) شعرها عن وجهها، وخطت نحو ملك. "كريم عمره ما نظرتة ليكي هتتغير."

"أنا مش عايزة(مايا) تعرف. ومايا هتصدق أي حاجة أبوها هيقولها، ولو عاندت وهو قال مش عايز جوازتهم تتم، هي مش هتفرح."

"ما تحكيلها يا(ملك) هو بيهب إيه."

"مش هخليها تكرهه يا(نادين)!" قد سأمت من ذلك الحديث. "مش هتستفيد حاجة لما تعرف هو قد إيه انسان مقرف. مش عايزة الموضوع يوصل إننا قاعدين بنفضح بعض قدام ولادنا. خيلنا بس نتعامل مع الموضوع بشوية احترام عشان مانبوظش فرحة البنت."

"يعني هي فرحانة وهي شايفكي كده؟"

"هي مركزة في فرحتها." لم تشأ أن تقول لنادين أن جزئا ما بداخلها كان يتألم من عدم اكتراث ابنتها، وعدم رؤيتها لقبول(ملك)الرجوع لهاشم كتضحية تقوم

بها(ملك)من أجلها. لم يتحدثنا عن شجارها الأخير منذ رجعا للبيت بعد زيارتهم ليوسف، وتفادت(ملك)الكلام معها حتى لا يحدث شجار آخر.

ولم نتحدث منذ ذلك اليوم مع(يوسف) أيضا. وهو لم يحاول أن يكلمها. ربما كان ذلك أفضل، حتى لا يتعلقان ببعض مجددا فقط لتقطع صلتها بعد تزوجها من هاشم، الذي أمرها الا تقابل(يوسف) والا تتحدث معه من الآن فصاعدا، فقط كان مسموح لها أن تتواجد بنفس الغرفة معه في خطبة(مايا) وعقد القران والفرح.

طرق أحدهم على الباب ودخلت(مايا). "يا ماما، انتي لسه مالبستيش؟ احنا محتاجين نزل نروح لبابا. المأذون على وصول."

"حاضر يا(مايا). تنهدت(ملك)وقامت. "أخوكي جاهز؟"

"اه." التوت شففتا(مايا)عبوسا. "و مسودها زيك كده."

"حقها." ردت(نادين). "يعني الست ماصدقت اتطلقت من أبوكي،

ومغصوبة ترجعله تاني، عايزاها تعمل إيه؟ تطل بالأبيض؟"

"يا ماما." خطت(مايا) نحوها. "يا ماما، اديله فرصة بس المرة دي، مش

يمكن لو هديتي عليه كده وعاملتيه حلو تلاقيه هو كمان حلو؟"

لم تكن(ملك)قادرة على الخوض في هذا النقاش، فأومأت برأسها وابتسمت

لابنتها. "حاضر يا حبيبي."

"شكرا." سكتت(مايا) برهة. "طب حظي أي makeup يا ماما، أي حاجة."

قبل أن ترد ملك، رن جرس الباب. "انتوا طالبين حاجة؟"

انعقد جين(مايا). "لأ، بابا قال هنتعشى سوا كلنا بعد ما المأذون يمشي."

"يبقى مين الي عالباب؟" اتجهت(ملك)خارج غرفتها وتبعتها(مايا) ونادين،

وتسمرت في مكانها عندما رأت(علي)ويوسف وقد فتح لهما(كريم) الباب. "بتعملوا

إيه هنا؟"

تفاجأت (ملك) عندما خطا نحوها (علي) وليس (يوسف). "ماترو حيش يا طنط.
ضميري مش ساحلي اخليكي عملي كده. مش هبقى فرحان وأنا عارف إني اتسبتلك
في الوجة ده كله."

"علي؟" خطت (مايا) للأمام وحدقت به. "انت بتعمل إيه؟ انت عارف إنها لو
ماتجوزتوش بابا مش هيرضى يخلينا نتجوز."

"هنفكر في حل تاني." هز (علي) رأسه. "مايا، انتي عارفة أنا بحبك قد إيه،
وعارفة إني عايز اتجوزك النهاردة لو اقدر، بس هتبعي فرحانة فعلا لو على حساب
مامتك؟"

"بس هفرح أوي لما أنا وانت نفرکش، صح؟" صاحت به،
وأغمضت (ملك) عينيها. لماذا جاء؟ لماذا كان (علي) يصعب كل شيء؟ لماذا سمح
له (يوسف) بذلك؟ فتحت عينيها ونظرت ليوسف، ورأت في عينيه قلة الحيلة. ربما لم
يكن موافقا على كلام علي.

"أكيد مش هتفرحي." تنهد علي. "ولا أنا. ومش بقولك نفرکش. هنلاقي حل
تاني-"

"و ليه؟" احمر وجه (مايا) غضبا. "ليه ندور على حل تاني لما فيه حل قدامنا
أهو؟ ليه نعقد الموضوع؟"

"عشان ماينفعلش نبقي بالأناية دي!" علا صوته هو الآخر. "مامتك هربت
منه بالعافية! ودلوقتي هترجعه عشاننا!"

"ما ترجع! مش هي أم؟ والأمهات بتضحى؟ خليها تضحى بقى مرة في
حياتها!"

تحدث (يوسف) لأول مرة منذ مجيئه. "مامتك ضحت كثير في حياتها يا (مايا)."

"أنا ماليش دعوة!" صرخت (مايا). "مش ذنبي إنها ضحت في حاجات مالهاش علاقة بيا! أنا مش هوقف حياتي عشان حد!"

"تاني؟" صاح بها علي، وحاول أن يشده (يوسف) للوراء، ويقبض على ذراعه. "تاني الكلام ده؟ فكري في حد غير نفسك مرة!"

"ماحدثش أهم مني." قالتها (مايا) بحقد وسخط بعثا الرعب في قلب ملك. ماذا فعلت حتى تكون ابتتها بكل ذلك السواد وكل تلك الأنانية؟ "ماحدثش يستاهل يبقى أهم مني. ماحدثش عملي حاجة عشان يبقى أهم مني."

"ولا حتى أنا؟" هز (علي) رأسه. "ما طبعا مش هبقى أهم منك."

"انت بتبيعني دلوقتي وعاييزني اقولك إنك أهم مني؟"

"مايا." وضع (كريم) يده على كتفها وتحدث بصوت هاديء. "علي مش بيعك."

"ما أكيد انت هتقف في صفه!" لفت لتواجهه. "عشان انت بتكره بابا ومش عاييزه يرجع حياتنا."

"أنا بكرهه لسبب. هو شخص مش كويس."

"خلاص!" ارتفع صوت ملك. سكت الجميع ونظروا لها، واستجمعت هي قوتها حتى تتحدث بصوت ثابت لا يرتعش. "علي، شكرا على إحساسك الجميل ده، بس أنا مش متضررة للدرجة. مافيش أم هتفضل نفسها على فرحة بنتها. أنا مش هدمر حياة (مايا) زي ما حصل معايا، فلو فييدي حاجة اعملها عشان اخليها تفرح هعملها."

تلقت لمايا، التي نظرت لها بتوجس ودفاعية. ابتسمت لها ملك. "مايا، الأم الكويسة عمرها ما تذل ولادها بأي حاجة هي عملتها عشانهم. ولا تحاول تبينلهم. أنا مش عايزاكي انتي ولا أخوكي تجبوني عشان مجرد بعملكوا حاجات. أنا هرجع

لأبوكي راضية، عشان ده هيفرحك. انتي أكثر حد تعب لما انفصلنا، وكان دلوقتي موضوع علي، فأنا هعمل ده وأنا راضية عشان في مصلحتك. " نظرت (ملك) حولها. "أنا سمعت رأي كل واحد فيكوا تجاه الموضوع ده، وهكمل فيه، والأب الوحيد اللي هنا موافقني على رأيي، عشان عارف يعني إيه يبقى عندنا ولاد، وعارف إيه اللي حياة بتطلب مننا نعمله عشانهم. "

سكتت (مايا) برهة، وقد اختفت الدفاعية قليلا من وجهها، ونظرت لأمها نظرة كلها ضعف، وامتنان مزوج بألم، وحيرة.

ولكن لم تكن (مايا) تلك الشخص، وشاهدت (ملك) أسوارها تبنى من جديد، ورسمت على وجهها الجفاء والتحجر. "أهي قالتلكوا إنها مش متضايقه. عايزين إيه بقى؟"

"مايا،" هز (علي) رأسه. "انتي بتخوفيني منك ساعات..."

"ليه بخوفك؟" انعقد جبينها. "عشان مش بتظاهر زيكوا إني ملاك؟ عشان واقعية؟ خلاص ماما عاشت حياتها. صاحبت في الجامعة، وبعدين اتجوزت واحد عيشها حياة كويسة، وطلعت عينه عشان ماحبتهوش. " نظرت (مايا) لأمها. "اتجوزتية ليه لو مش بتحببته؟"

لم ترد ملك. ظلت صامته، بالرغم من أعين الآخرين عليها، يحشوها أن تفصح لمايا عن حقيقة أبيها التي مجدته.

استكملت (مايا) حديثها. "و اشتغلت، واتطلقت، وحببت تاني بس أنا مش هعيش مع راجل غريب أنا. قولتلها يا أنا يا هو في البيت، حقي. هي اختارتني. أنا ماغصبتهاش على حاجة. وبتخرج وبتزل جيم وعايشة حياتها. وأنا لسه في أول حياتي، وقابلت واحد بيحبني وعايزني اتجوزه، وهبقى فرحانة وأنا معاه، ليه اتحرم من ده؟"

"مش هتتحرمي منه." ابتسمت لها (ملك) لتطمئننها، وتجاهلت قلبها الذي كان ينفطر. لم تجبها خلية واحدة في جسم (مايا). ابتنتها البكر، وقفت هنا وتحدثت عنها كما أنها مربية أو شغالة لديها. "هننزل دلوقتي نروح لأبوكي، وهرجعله، وخطوبتك انتي وعلي الأسبوع الجاي زي ما أبوكي قال. صح يا علي؟"

ظل (علي) ساكت، محقق بيايا، وعلى وجهه تردد وحيرة زرعا الرعب في قلب ملك. لا، لن يتخلى عن ابتنتها الآن. لن تستحمل (مايا). لن تتعايش مع هذا الألم. لن- رن الجرس مرة أخرى. نظروا كلهم لبعض، ولم يتحرك أحد حتى رن الجرس مجددا. فاق (كريم) أول واحد، وذهب لباب الشقة، وتبعوه جميعهم. لم تستطع (ملك) أن ترى من كان يقف، فقط رأت شعر أسود قصير. "أبوة؟"

"دي شقة (ملك) رفاعي؟"

"أبوة؟" خبطت (ملك) حول (كريم) لترى زائرتها. "مين-"

توقف قلبها عن النبض لبضع ثواني. لا. كان محال. لم تقف أمامها. كانت عيناها تجدعها. شعرت بيوسف يجيء ويقف بجانبها، ونظرت له ورأت نفس الصدمة على وجهه. اذا، لم تكن تتخيل. وقفت فعلا أمامها. هي. اللغز التي لم تستطع (ملك) حله طوال تلك السنوات. الشيء الذي لم تفهمه. الشخص الأخير الذي تخلى عنها وقت شدتها.

"كارولين؟"

في فيلا في مصر الجديدة، عاشت فتاة شعرها أسود كالحرير، ينسال على ظهرها كالحرير. عاشت مع جدتها في فيلا أصابت قلوب كل أصدقائها بالغيرة. كانت لديها

ملابس من أعلى الأماكن هنا، وملابس من لندن وباريس وأمريكا وميلان. وكان لديها أحدث الأجهزة، ومصروفها بلا أفق.

ولكنها عاشت بعيدة عن أهلها، اللذان سكنوا بشقة في الزمالك عندما لم يكنا في الخارج يعملان. كان أبيها طيار وأمها مضييفة، فكانت الفتاة تراهما من حين إلى آخر، وحتى عندما كانا في مصر بنفس الوقت، أحيانا كثيرة كانا يفضلان أن يقضيا وقتها القصير بمفردهما، دون طفلة رزقا - وبالنسبة لهما نقما - بها خطأ. أراد أبوها وأمها أن يعيشا حياة خالية من المسئولية، حياة شبابية بوهيمية، فألقى الأب ابنتها عند أمه العجوز، ورآها فقط عندما كان يسأم زن أمه عليه هو وزوجته.

كانت الفتاة جميلة جدا، يجبها جميع شباب الحي، ولولا أنها كانت بمدرسة بنات فقط، لكانت عانت من المشكلة ذاتها في المدرسة أيضا. أحبها الشباب، بتلك الطريقة التي يتلهف بها الشخص الجائع على وليمة، ويتركها ويذهب حين يشبع. فهمت الفتاة ذلك مع مرور الوقت، وقررت أن تتمنع عندما تبدأ دراستها الجامعية، فزملائها هناك لن يكونوا عارفين شيئا عن ماضيها، وقد يجدوا بها شيء قيم يجعلهم يمكنون أكثر من شهر.

كانت لتلك الفتاة صديقة لا تأبه بالشباب ولا بالعلاقات، وكانت جميلة أيضا، ولكنها كانت تحفي جمالها، وتطلب أن يعجب بها الناس لعقلها وثقافتها. لاحظت الفتاة أن شباب الحي الذين كانوا يتهافتون عليها كلما رأوها، ينظرون بعيدا عن صديقتها احتراماً. ونبتت في قلب الفتاة بذرة الغيرة. لماذا كانوا يحترمون صديقتها وهي لا؟

دخلت البنتان الجامعة، وبالطبع دخلت الصديقة أعلى كلية من كليات القمة، أما هي فدخلت كلية التجارة، وهي أحسن شيء استطاعت أن تلتحق به بمجموعها. نالت إعجاب بعض الشباب، ولكن قلبها كان (ملك) فتى واحد بالأخص. أسرها

شعره الناعم الذي كان يتطاير مع الريح، وضحكته التي جعلت قلبها يخفق بشدة، وعيناه التي جعلتها تنسى الكون من حولها. كان غني مثلها، يسكن بجانب صديقتها، وكان له سيارته الخاصة، ومغامرات مع الفتيات. شعرت الفتاة وكأنه قرينها التي لطالما انتظرتة، وحاولت أن تتقرب منه، ولكنها لاحظت عينيه التي كانت دوما ما تقع على صديقتها. ولم يعجبها ذلك.

في بدء الأمر، أقنعت الفتاة نفسها أنها تحمي صديقتها من ذئب بشري، وحتى تبقيه بعيدا عرفتها على زميل لها، وفرحت عندما بعد شهور طويلة اعترفا بمشاعرهما وارتبطا. كم كانت خيبة أملها عندما اخبرتها صديقتها أن فتى أحلام الفتاة قد تقدم لخطبتها. حسنا، لا بد أن تأخذ خطوة أكثر وضوحا.

تعرفت عليه الفتاة ولم تخبر صديقتها، وكالذئب شم الفتى رائحة فريسة من الممكن أن يستعملها كطعم للإيقاع بالملكة ذات نفسها. أقنع الفتاة أنه ييادها نفس الشعور، وعيشها بقصة حب لم تكن تحلم بها. بالطبع استمتع بوقته معها، فلا مانع من بعض المرح واللعب أثناء الصيد. اعتقدت الفتاة أنه يجيبها، ولكنه بعد فترة بدأ أن يسأل عن صديقتها وحببيها. بدأ الشك أن يساورها، وعندما شعر الفتى بذلك، أخبرها أنه يكره حبيب صديقتها، لأنه قد واعد ابنة عمه قديما، وكسر قلبها، ظلت البنت تعاني حتى انتحرت. وكان الفتى يخشى أن يفعل ذلك بصديقتها، وهو يعلم أنها غالية جدا عند الفتاة.

ظلت تشك، وسألته عن سبب تقدمه لخطبة صديقتها سابقا، وأقنعا الفتى أنه فعل ذلك فقط ليجس نبض الفتاة، ويعرف اذا كانت تحبه فعلا كما شعر أم لا. استمرت علاقتها سنة في الخفاء، ولم تخبر الفتاة صديقتها شيئا، لأن صديقتها كانت تكرهه. وبعد سنة سألت الفتاة السؤال الذي كان يراودها منذ فترة.

"هتتجوز إزاي؟"

"يعني إيه؟"

"أنا مسيحية وانت مسلم. هنعمل إيه؟"

"سيبيني افكر."

تركته يفكر، وسكت شهور، حتى علم أن صديقتها قد أخبرت أباه عن حببها، وعن ظروفه الصعبة، وأنه قد وافق عليه، وأنه قد اقنع أمها أن توافق أيضا. ولكنه طلب منها أن تنتظر حتى يفيق من تعبها، وعقب ذلك بإمكان حببها أن يتقدم لخطبتها.

استشاط الفتى غضبا، وثار واهتاج، حتى خافت الفتاة منه. سألته لم كل هذا الغضب، فقد اتضح أن الولد ليس لديه نية سيئة، وأنه فعلا يحب صديقتها، فأين كانت المشكلة. صاح بها أنه ليس من العدل أن يهنا بحياة جيدة بعدما تسبب في إنهاء بنت عمه حياتها. تفهمت البنت، وأرادت أن تحدثه في شيء أهم من حياة صديقتها العاطفية.

"محتاجة اتكلم معاك في حاجة."

لم يرد عليها، ظل يدخن السيجار الذي كان يسرقه من مكتب أبيه، وينظر خارج نافذة غرفتها.

"هاشم."

نظر إليها بتلك العينين اللاتي جعلتا قلبها يسرع من نبضاته. "إيه يا كارولين؟"

اهتز موبایل (مایا) على مائدة غرفة المعيشة، ولم يعره أحدهم أي اهتمام. قد انتهت (كارولين) من حكايتها، وكانت (ملك) مازالت تحاول استيعاب وجود صديقة عمرها السابقة في بيتها، بعد اختفاء طال ثلاثين عاما. جلست (كارولين) أمامها، تدخن سيجارة الكترونية، وقد قصت شعرها لأسفل عنقها بعد أن كانت بطول ظهرها سابقا. هل فعلا لم تلحظ (ملك) حينها غيرة (كارولين) منها؟ هل فعلا لم تلحظ اختلاف معاملة الشباب بينها وبين كارولين؟ وإحساس (كارولين) تجاه ذلك الأمر؟ كيف دخلت صديقتها المقربة في علاقة مع أكثر شخص كانت تكرهه ملك، علاقة استمرت أكثر من سنة، ولم تشعر أو تشك؟ أكانت قد اندمجت في علاقتها بيوسف حتى باتت لا ترى شيئا خارج فقاعتها؟

نظرت (ملك) ليوسف، ورأت أن عينيه كانت عليها، بها لوم وبعض من الغضب. "انتي ماقولتليش إن مامتك وافقت في الآخر." هزت (ملك) رأسها. "هي كانت موافقة في الأول، بعدين لما بابا تعب رفضت تماما، وكانت عنيفة في الموضوع ده، وعمري ما فهمت ليه."

"هاشم راح اتكلم معاها." وجهوا جميعهم أنظارهم مجددا تجاه كارولين. "راح قالها على قصة بنت عمه، وقالها إنه سمعه بيتكلم عنك وحش يا ملك، وإنه هيتجوزك عشان فلوسك. مامتك خافت، وقالتله إن أبوكي قبل ما يتعب كان بيفكر إن هو اللي يساعد (يوسف) في الشقة. (هاشم) خوفها أكثر وقالها لو عملوا كده (يوسف) هيعرف يقنعك تكتبي الشقة بإسمه، وإنه أصلا كان واعد بنت تانية في الكلية إنه يتجوزها، وكانوا بيعجوا ويروحوا مع بعض على طول." نظرت (كارولين) ليوسف وبعينها ندم وخزي وأسف. "فاطمة. فضل كده لحد ما اقتنعت تماما، وقالها إن انتي يا (ملك) مش

هترضي تسيبي (يوسف)، لازم تيجي منه هو. مامتك كانت متضايقة جدا، عشان باباكي كان موصيها لو حصله حاجة إن هي تجوزك (يوسف) وماتوقعش كلمته، بس هي كانت بتحاول تحميكي."

لم تكن تعلم (ملك) أن قلبها بإمكانه أن ينفطر مجددا بهذا الشكل. لماذا كل هذا الأذى، فقط ليعاملها (هاشم) بتلك الطريقة الكريهة بعدما فاز بها وتزوجها؟ لماذا كل هذا التخطيط حتى يوقع بها؟ واستغلاله مشاعر كارولين، وتلاعبه بألمها، وجعلها توقع كلمة زوجها وهو على فراش الموت. لماذا كل تلك الألاعيب؟

"أنا كنت مصدقاه في الكلام اللي بيقوله. ارتعش صوت كارولين. "أو بحاول اقنع نفسي عالأقل. كنت مغيبة تماما، بالأخص بعد ما عرفت -"

"بعد ما عرفتني إيه؟" ارتعش صوت (يوسف) أيضا، ولكن غضبا. نظرت إليه ملك، وقد احمر وجهه، ولمعت عيناه. كانت عروق رقبتة وجبينه نافرة، ويديه مقبوضتين. شعرت بمثل غضبه داخلها، يغلي ويتفاقم.

"بعد ما عرفت إني حامل منه."

لم يتنفس أحد. حتى الكون خارج شقتهم تلك، سكن وهدأ. مسح (يوسف) على وجهه بيديه، وظلت (ملك) محدقة أمامها. أكملت (كارولين) كلامها بعد برهة. "طبعما لما قولتله اترعب، وقاللي إننا لازم نهرب. كان عارف إن خالي في أمريكا، وإني واخدة الجنسية من بابايا اللي كان اتولد هناك أصلا، وقاللي اسافر هناك وهو هيظبط أموره ويجيلي." ضحكت ساخرة. "و زي الهبله سافرت. واشتغلت عشان أحوش شوية فلوس. واستنيت. ولما ابتدى بيان عليا سييت بيت خالي وخذت ستوديو ليا. (هاشم) قعد يقولي إنه مش هينفع يسبب شغل باباه كده من غير ما حد يمسكه مكانه. في مرة سألته ليه ماحدث من عمامه أو ولاد عمامه يمسك الشغل، وساعتها قاللي إن باباه وحيد أصلا." شعرت (ملك) بأعين (كارولين) عليها. "عرفت ساعتها

إن قصة بنت عمه كانت كدبة، وإن كل حاجة كانت كدبة. بعدها كلمت حد من صحابه، وعرفت إن انتوا اتخطبتوا."

أغمضت(ملك)عينها، وحاولت أن تسكت بعض من الضجة التي كانت برأسها. لم يكن فقط الأمر خطط هاشم، ولكن أيضا خيانة(كارولين)لها. كانت قد عاشت(ملك)حياتها غاضبة منها لتخليها عنها في محتتها، ولكن الآن تحول ذلك الغضب إلى كره، وسخط لم تشعر بمثله.

"ماكلمتوش ثاني، ولا هو حاول يوصلني، أو يسأل على ابنه. وأنا ماقدرتش اواجه أي حاجة من اللي عملتها. لا منظرک وانتي مقهورة على باباكي التعبان ويوسف اللي سابقك، وإن أنا كنت نوعا ما السبب في ده، ولا إني سييت جدتي ومشيت، والله أعلم الشغالة اللي كانت عندنا خدت بالها منها ولا لأ، وبعدين عرفت من خالي إنها ماتت بعد ما أنا مشيت بكام شهر، ف ماكتتش قادرة انزل اواجه الموضوع ده."

"يعني البيبي عاش؟" سأل علي.

"اه."

كان لمايا وكريم أخ. غير شرعي وغير منسوب لأبيهم، ولكنه كان أخوهم. سمعت(ملك)كريم يسأل. "هو فين؟"

"مستنيني تحت." فتحت(ملك)أعينها ونظرت لكارولين، التي كانت تبتسم لكريم. نظرت لمايا، ورأت على وجهها الشاحب صدمة. قد كشفت حقيقة أبيها لها، أو جزء منها على الأقل، ولم تستطع(ملك)أن تهتم بما قد يسببه لها ذلك. لم تستطع أن تفكر بأي شيء غير غضبها هي.

"يعني انتي عملتي كل ده." تحدثت(ملك)لأول مرة منذ أن خطت(كارولين)داخل شقتها. "عشان بس يرضى عنك؟ انتي في ولا حاجة من اللي

قولتيها فيها إنه هددك يسيبك لو ماساعدتيهوش، أو طلب منك حاجة أصلا. انتي اللي كتتي من نفسك بتوصليله المعلومة."

"أنا كنت خايفة عليك-"

"انتى ماكتتيش خايفة غير على نفسك!" صاحت (ملك) بها. "خايفة عليا كتتي تيجي تقوليلي. بس انتى كتتي بتشجعي العلاقة بينى وبين (يوسف) عشان ابقى مش متاحة لهاشم. هفترض إنك كتتي مصدقة حوار بنت عمه ده، ماجيتيش تقوليلي ليه؟ كتتى عايزانى اكمل معاه وهو المفروض بيخدعنى كده عشان مابصش لهاشم؟"

بدأت (كارولين) فى البكاء. "أنا عارفة أنا عملت إيه! ماعنديش أعذار اقولها. أنا غلطت فيكى-"

"غلطتى؟" علا صوت (ملك) أكثر. "انتوا دمرتولى حياتى. أنا كل ده بهدي نفسى وبقول أمى ماكانتش هترضى، وكنت شاكة إن (هاشم) لعب فى عقل (يوسف)، واناأكدت من كام يوم. برضه قولت إن مامتى ماكانتش هترضى." هزت (ملك) رأسها. "يعنى احنا كان فيه احتمالية نتجوز وانتي ساعدتى (هاشم) بيوظها؟ انتى كتتى زى أختى! إزاي طلعتى الشخص ده؟"

"اهدي يا ملك." تحدث (يوسف) بصوت مكسور، وربت على ذراعها. "مالوش فائدة الكلام ده."

"يعنى انت راضى باللى حصل ده؟"

"أكيد لاً!" ارتفع صوته هو الآخر. "بس هنعمل إيه؟ مايفش حاجة نعملها."

اللى حصل حصل."

رفض ذهنها قلة حيلتها تجاه ما فعله بها هاشم. لن تستطيع أن تنسى وتكمل فى قرارها أن تتزوجه. لن تستطيع أن تنظر بوجهه الآن دون أن تبصق به، وأن تنعته بأقبح الصفات. ولم تستطع التواجد حول (كارولين) الآن. لماذا؟ لماذا جاءت بعد كل تلك

السنوات؟ بعدما مر الزمن ولم يكن يوجد فرصة لإصلاح ما دمرته هي وهاشم؟ ما الفائدة من كلامها الآن؟ لن يغير شيء. فقط زود من جرحها وقهرتها على الحياة التي سلبت منها.

"انتي جاية تقولي ده دلوقتي ليه يا كارولين؟" سألهما(يوسف). "جاية دلوقتي ليه؟"

"ابني." هزت كتفيها. "قالي إن مشاكلي كلها هتتحل لو جيت صلحت اللي عملته. أو على الأقل اعترفت بيه."

"ابنك طالعلك انتي وأبوه." قالت(ملك)(بصوت حاد. "بيحب الأذى. انتي ماعملتيش حاجة غير إنك زودتي في الجرح اللي بقالنا سنين بنحاول نخف منه."

هزت(كارولين)رأسها. "أنا ماكتتش جاية عشان كده."
"انتي لقيتينا إزاي أصلا؟"

"سألت في البيت القديم. قالولي عنوانك وجيت."

نعم، مازال ابن حارس العقار القديم هناك، وكان احيانا يرسل زوجته لتساعدتها في تنظيف المنزل. وربما تذكر(كارولين)واعتقد أنه لن يضر أحد بإخبارها عنوان(ملك)الجديد. قامت ملك، واتجهت لغرفتها، مشيحة بيدها أن يسكتوا ويتركوها عندما نادوا عليها. لم تكن تريد أن تبقى في حضرة كارولين، لم تستطع تحمل وجودها. دخلت غرفتها وشدت الستائر وأقفلتها لتحجب النور، واستلقت في سريرها دون أن تخلع حتى طرحتها.

لم تستطع تقبل كيف كانت قد اقتربت من تحقيق حلمها، فقط لتسلبه منها من كانت أعز صديقة لديها. لم؟ حتى تحظى برضا هاشم؟ أهذه الدرجة كانت صداقتها رخيصة عند كارولين؟ لم تبد يوما اهتماما بهاشم، بل كانت تمقتة. كيف

شعرت (كارولين) بأي تهديد منها؟ كيف لم تحذرها؟ وهل هانت عليها عشرة دامت خمسة عشر سنة؟ فقط من أجل شاب كان يتلاعب بها؟ ولم لم تنتهها عندما علمت بخبر الخطبة؟ كان من الممكن أن تتركه (ملك) وتشرح كل شيء لأمها، وتخبّر (يوسف) بالأعيب (هاشم) وخداعه. كان من الممكن أن تقضي حياتها مع (يوسف)، تشيخ معه وتربي أجيال يحملون اسمه. لماذا أخبرتها كارولين؟ لماذا فتحت جرح بالكاد قد بدأ يلتئم؟ والآن لن تستطيع أن ترى (هاشم) حتى، وستضطر أن تزوج (مايا) بمفردها دون موافقته ومساندته.

أغمضت (ملك) عينيها وحاولت أن تخلي ذهنها من كل شيء حتى تستطيع أن تهدأ قليلاً. أرادت فقط أن يكف نحيب روحها وصراخ عقلها، أما قلبها فقد تفتت لرماد، إثر كل تلك الصدمات وخيبات الأمل. كانت بحاجة إلى بعض الراحة، فقط بضع دقائق تلتقط فيهم أنفاسها. مكثت (ملك) على السرير، واستسلمت للتعب.

"ماما؟"

أبقت (ملك) عينيها مغمضتين، وتجاهلت (كريم). سمعت خطاه تتجه نحوها، وتنهدت ضيقاً في ذهنها. لماذا لم يدعوها وشأنها؟ كانت تريد بعض الوقت لنفسها. فقط ساعة أو اثنين، ثم ستقوم وتتعامل مع كل تلك المشاكل التي ظلت تتفاقم عليها. شعرت بالسرير يهبط من حمل جسده (كريم)، ظل جالس بجانبها صامت برهة. "انتوا ممكن تتجوزوا." سكت برهة، وانقبض قلب (ملك) أكثر. "مش حرام يعني. ومايا تتجوز علي. وبابا يخبط راسه في الحيط." "مايا مش هتوافق."

"مش لازم كل حاجة نعملها في حياتنا نبقى بنفكر فيها من ناحية(مايا) هترتاح ولا لأ. انتي كده بتزودي فيها الأنانية."

"كريم." بثت في صوتها كل تعبها وغضبها وعدم قدرتها على تحمل أي نقاش. "خلصنا. هي لسه برا؟"

"اه. مش عايزة تمشي قبل ما تكملوا كلامكوا."

حسنا، ستخرج لها وتسمع ما بقي من كلامها، ثم ستطلب منها أن تذهب ولا تحاول أن تتصل بها مجددا، وسيتهيئ الأمر. ستطلب من الجميع أن يذهبوا، ويتظنوا استعدادها لقوتها، حتى تخوض معركة زواج(مايا) من(علي)مع هاشم، وتخبرهم بالنتيجة.

قامت(ملك)من السرير، وتبعها(كريم) خارج الغرفة إلى غرفة المعيشة. رفعوا جميعهم أعينهم لها، وتجاهلتهم كلهم وجلست في المكان الوحيد الشاغر بجانب(يوسف). "عايزة تقولي إيه ثاني يا كارولين؟"

"أنا عارفة إني جيت متأخر اوي." ردت كارولين، ولم تتأثر(ملك)بالندم الذي رآته على وجهها وسمعته في صوتها. "بس يا(ملك)انتي كتي لازم تعرفي حقيقت-"
"أنا عارفة حقيقته كويس ومش مستنية حد يعرفني." حامت فكرة بداخل رأس ملك، وراقبت(كارولين)وهي تسألها. "انتي اللي قولتيله بييجي يوم المطرة، صح؟"

وطت(كارولين)رأسها خزية. "أيوه."

"انتي فاهمة أنا اتذلت إزاي بسبب اليوم ده؟" لم تأبه بسباع(مايا) وكريم وعلي لذلك الكلام. لم تأبه بأي شيء الآن. رن جرس الباب، وذهب(كريم) ليفتحه. "انتني فاهمة هو عمل فيا إيه بسبب الفيديو؟"
انعقد جبين كارولين. "فيديو إيه؟"

"يعني انتي مش عارفة؟" صاح بها(يوسف)، وفزعوا جميعهم منه. "جيتيه لحد بيتك ومش عارفة هو عمل إيه؟"
"وحياة ابني ماعرف!"
"صورلنا فيديو واحنا واقفين في أوضتك." تنهدت ملك. "كان في الجينية هو."

هزت(كارولين)رأسها وغطت وجهها بيديها. "لأ...لأ..."
تفاقت الأمور في رأس ملك، وتسارعت الأفكار في ذهنها؛ تذكرت ما قد أخبرها به(يوسف) منذ بضعة أيام، وفي تلك اللحظة لم تستطع أن تفهم رد فعلها حينها. كيف تقبلت الأمر هكذا وسكنت ولم تواجه هاشم؟ كيف سمحت له كل تلك السنوات أن يبتزها ويعاملها بتلك الطريقة، وهي تسكت ولا تدافع عن نفسها؟ لم كل هذا؟ بسبب فيديو؟ فيديو لها تقبل حبیبها في لحظة عاطفية بينهما؟ لم تكن جريمة تستحق مثل هذا العقاب! لماذا سمحت له يفسد لحظة من أسعد لحظات حياتها؟

(يوسف)، لماذا قد يتلاعب بتفكيره بتلك الطريقة، ويضربه في المكان الذي يؤلمه؟ لماذا يتلذذ في ذل الناس هكذا؟ ولم لم توقفه(ملك)من قبل؟ لماذا خضعت له؟ أكانت منكسرة حينها لتلك الدرجة؟ بالفعل قد انكسرت بعد ترك(يوسف) لها واختفاء(كارولين)ووفاة أبيها، وظل(هاشم)يكسر فيها أكثر كل تلك السنين لثلاثتهم جراحها وتقوى عليه. ولكن قد ولى وقت ذلك الانكسار.

سمعت(ملك)في رأسها صفير، وشعرت بشيء ما بداخلها يحتاج ويكسر أصفاده، ويعصف هائجا بها. لم تدر بأي شيء سوى ذلك الوحش الساخط بداخلها، وظهور(هاشم)في الحجرة فجأة. لم تشعر(ملك)بنفسها وهي تقف وتتجه نحوه، فقط شاهدت الابتسامة وهي تهرب من وجهه ويحل محلها الصدمة عندما

راى(كارولين)وتعرف عليها، ثم الرهبة التي احتلته عندما لاحظ(ملك)وما بدا عليها. "ملك-"

رنت الصفعة في أرجاء البيت، ثم اهتزت الحوائط من صوت ملك. "انت مش راجل. انت أحقر وأوسخ شيء أنا شوفته في حياتي. انت واحد فاشل ومريض وماحدث في الدنيا دي حبك ولا هيحك عشان انت مقرف." ضربته على صدره بكفيها وترنح للوراء. "أنا عشت معاك أوحش سنين حياتي. مافيش مرة كنت بشوفك أو بسمع صوتك وكنت بطيقك. مافيش مرة لمستني وماكنتش قرفانة من نفسي. انت وصمة عار عليا وعلى ولادك. كفاية إن انت كنت في حياتنا أصلا. بتذل فيا من ساعة ما عرفتني، وبوظت حياتي من غير سبب، بس عشان انت مريض. قعدت تقولي فيديو ومش فيديو وبتذلني بيه وانت بتعمل حاجات أقدر مليون مرة!"
"يا ملك-"

"انت تخرس خالص." صفعته مجددا. "كل ده بتذل فيا وعشان لحظة واحدة في حياتي، ومعيشني في رعب. طب تصدق وتآمن بالله؟ اللي انت شوفتني بعمله ده، أشرف وأنصف مليون مرة من كل مرة انت لمستني فيها واحنا متجوزين. عشان انت مش نضيف. انت نجس. ونجست بيتنا اللي فيه عيالنا وسريري اللي بنام فيه بالعافية جنبك بالمناظر المقرفة اللي كنت بتجيبها دي. ويا بجح، تقولي خدي العيال وانزلوا يا(ملك)عايز اقعد لوحدي. ماتخليش(مايا) تعيش معايا يا(ملك)عشان ابقى براحتي. تخليني أنا اصرف عاليبت ده وعلى تعليمهم من جيبي وانت بتدي بتتك بس مصروف أنا بزود عليه الضعف وبقولها إنه كله منك."
"ممکن ته-"

"قولتلك تخرس!" صرخت به. "انت عمرك ما مليت عيني، وكنت بحب واحد تاني لما التجوزتك، وحييت واحد تالت وأنا معاك. وسيبتك عشان اعرف ابقى

معاه، وانت مارضتش حتى. كرهت بتتي فيا من غير سبب. بتتي اللي كنت مستنياها
عشان تحلي دنيتي عليا في البيت ده، كرهتها فيا من قبل ما هي تفهم أصلا، وتيجي
تقولي أنا اتريت من غير أم. احنا عملناللك إيه عشان تعمل فينا كل ده؟"

"أنا كنت أحسن منه!" صاح بها هاشم. "و هو عامل فيها حاجة وهو ولا
حاجة أصلا! وانتي. بنات الحتة كلهم كانوا ييموتوا عليا، وانتي عاملة فيها إنك
أحسن من أي حد. مش أنا اللي اترفض يا ملك! وعشان واحد زي ده!"

"أنصف منك!" دفعته ملك. "أنا وهو أنصف منك! أنا استحالة كنت ابص
لواحد زيك. أنا ماكتتش شايفاك أصلا. إيه معاك فلوس؟ وأنا عيني كانت ماليانة.
وهو أنصف منك مليون مرة! وكان مالي عيني، وأنت ولا يوم مليت عيني، وولا مرة
فكرت فيك بطريقة كويسة، كله كان قرف وكره. أنت ولا حاجة يا هاشم. أنت
ماتستاهلش تبقى حاجة."

"شايفة أمك يا(مايا)؟" خطأ(هاشم)من حولها ووقف يواجه(مايا)، التي لم
تتحدث منذ جاءت كارولين. "شايفة بتقول إيه على باباكي؟"

"شايفة." وقفت وامتلات عينها بالكره التي لطالما رأته(ملك)موجه لها،
ولكنه الآن صوب تجاه هاشم. "و هزود وأقول إني مايشرفنيش تكون بابايا."

"انتي مش متريية." رفع يده ليصفعها، ووجد جدار عازل يدفعه بعيدا ويصبح
بصوت أجش في وجهه.

"ماتقربش منها!" دفعه(علي)مجددا. "ماتفكرش تلمسها."

"و هو لسه هيفكر؟" صاحت(مايا). "ما هو ياما مد إيده عليا. أنا وكريم.
وجسمي لسه معلم منه. وكان بيخوفنا ويخلينا مانقولش لماما ومانوريهاش." انكسر
صوتها. "أنا كنت بدافع عنك طول حياتي. وبحاول اطلعلك أعدار، وانت
متستاهلش كل ده. وطلعتني زيك، طلعتني حد مقرف زيك." نشجت وسالت

الدموع على خديها. "انت خليتي مش كويسة! انت خليتي شخص زبالة! أنا بكرهك!"

وقف (كريم) بجانبها ولف ذراعه حولها. "اهدي. ماستاها لش إنك تتعبي عشانه."

"انت." نظر له (هاشم) باستحقار. "انت الي مريض فعلا. أنا فعلا ماخلفتش راجل."

"ما انت مش راجل." ابتسم له (كريم) بسخرية. "هتجيب راجل إزاي؟ بس أنا مايشرفنيش أنا كمان إن انت تكون أبويا، ف احنا كده خالصين."

لف (هاشم) ونظر لملك، التي كانت ترتعش غضبا لا يفنى. "شايقة تريبتك؟" "شايقة." "أومأت برأسها. "و فخورة بيهم. وابني أرجل منك وأنصف منك.

انت الزبالة الي في الشارع أنصف منك. واطلع بره يا هاشم." "انتي اتجنتي؟"

"اطلع بره بدل ما ابنك وخطيب بنتك يرموك في الشارع."

"قبل ما يمشي." "وقفت (كارولين) ونظرت لملك. "فيه حد أنا عايزاه يشوفه." فهمت ملك، وأومأت لها برأسها. اتجهت (كارولين) للباب، وفتحته، ورجعت لها ومعها شاب في منتصف العشرينات، به من (هاشم) الكثير، ولكن بطيبة وبشاشة لم تراهم (ملك) من قبل في وجه أبيه.

"هو ده؟" سأل الولد كارولين، وأومأت برأسها. أرجع نظره لأبيه وقد امتعض وجهه. "هي حكيتي عنك، وبصراحة عمري ما حسيت إني ناقصني أب. أنا فرحان إني ماعرفتكش، بس كنت عايز أشوف الراجل الي دمر حياة مامتي." سكت الولد برهة. "الراجل الي يعمل كده في بنت، ويلعب بيها بالطريقة دي، عارف بيسموه عندكوا إيه؟"

"و أنا إيش عرفني إنك ابني؟"

"أنا غلطت كتير يا هاشم." تنهدت كارولين. "بس كنت مخلصالك، وعمري

ما كنت زبالة زيك. سام، يلا بينا."

"ثانية واحدة." توجه سام إلى (ملك) ووقف أمامها. "أنا مش هطلب إنك

تساعحي مامتي. دي حاجة أنا ماليش دعوة بيها. بس أنا كنت حابب اتعرف على

إخواتي، لو هما حابين، ولو حضرتك توافقي."

"سام، مش وقته!" نهرتة كارولين.

"استني يا كارولين." تنهدت ملك، ولاحظت أن (هاشم) مازال يقف هنا. "ما

تتنيل تمشي بقى!"

نظر إليهم (هاشم) جميعهم باستحقار، ولكنه مشى، ولم ينظر ورائه،

وتنهدت (ملك) راحة. حاولت أن تركز في هذا الأمر لحظة فقط، حتى تنتهي منه

ويذهبا. "أنا بالنسبة لي ماعنديش مشكلة. انت مالاكش ذنب في اللي حصل. بس أنا

مش هطلب من ولادي حاجة، وأكيد انت هتتفهم ده."

"طب سييني أنا اشوف الموضوع ده." ترك (كريم) (مايا) بجانب علي، وأخذ

سام بعيدا. خطت (كارولين) تجاهها.

"أنا آسفة على كل حاجة يا ملك." هزت رأسها. "مش عارفة أنا ممكن أقول

إيه تاني، ويمكن مافيش حاجة تتقال أو تتعمل بعد اللي اتسببت فيه. أنا بس عايزاكي

تعرفي إني آسفة، وندمانة."

و صدقتها ملك، ولكنها لم تكن تستطيع أن تحمي غضبها وتتخطاه. ليس الآن

على الأقل. كانت تريد وقت تفكر فيه بهدوء، ربما في السكون الذي سيتبع تلك

العاصفة. "خلاص يا كارولين. لو سمحتي مش عايزة اتكلم."

"تمام." أوأمت (كارولين) برأسها. "أنا همشي دلوقتي."

انتظرت (ملك) حتى مشت كارولين، ورجع (كريم) للغرفة. "هنعمل إيه بقى دلوقتي؟"

"أنا هخش أنام." ردت ملك. "ولما افوق نبقى نقعد ونشوف هنعمل إيه. بس مش دلوقتي خالص، ولا بكرا."

"خدي وقتك خالص." شد (يوسف) (علي) من ذراعه، واتجه نحو الباب. "و كلميني لما تبقي جاهزة."

أومأت (ملك) برأسها، وانتظرت حتى سمعت الباب يقفل ورائها هما ونادين، التي فهمت رغبة (ملك) في أن تكون بمفردها، واتجهت لغرفتها أخيرا.

وقفت(مايا) في منتصف غرفة معيشتهم بمفردها، وقد ذهبت كلا من أمها وكريم لغرفتيهما. كان عقلها مازال يحاول استيعاب كل ما قد حدث في البضع ساعات الأخيرة، وكل ما قد اكتشفته عن والديها، وكل ما قد أرغمت أن تواجهه بعدما كانت قد دفتته منذ سنين. أشياء تغاضت عنها ونستها لأنها كانت تعارض الفكرة التي أرادت(مايا) تكوينها عن أمها وأبيها. ولكن لماذا كان سهل عليها أن تقرر منذ وأن كانت صغيرة أن تكره أمها وتجعل من أبيها بطل؟ لماذا كذبت عينيها وخدعت نفسها حتى تبرر أفعاله؟

وكيف لها الآن أن تواجه أمها بعد كل تلك السنين من ظلم(مايا) لها، وجرحها؟ كيف ستتأسف عن عمر أمضته تعذب أمها وتظلمها من أجل أب لم يأبه بها يوما؟ هل كان من الأسف فائدة؟ هل سيعوض ذلك الثلاث وعشرين سنة الماضية؟ هل سيمحي ما قد اقترفته(مايا) فيهم؟

أمسكت موبايلها لكي تتصل بعلي وتسأله، وتذكرت شجارها قبل مجيء كارولين، وألقت موبايلها على الكنبه. غادر دون أن ينظر إليها حتى، ولكنها تذكرت كيف صد أباه عنها، ودفعه بعيدا. لم تفهم(مايا) وضعها الآن؛ أكان ذلك شجار طبيعي لا يعني انفصالها، أم كانت علاقتها قد انتهت؟ هل أصلا سيستطيعا أن يكملا بعد كل تلك الأحداث؟ من سيزوجها؟ أخيها؟ هل ستستطيع أمها أن تجهزها وهي تصرف على البيت وعلى دراسة(كريم)؟

هل كان(علي) يريد أن يتزوجها بعد كل ما رأى؟ وكل ما قاله عنها؟ بلا شك رآها الآن على حقيقتها؛ طفلة مدللة قاسية على أمها، لا تصلح أن تكون زوجة يأتمنها على بيته وأسرته المستقبلية. هل رأت(مايا) نفسها كزوجة؟ لا، لم تستطع أن تتخيل

نفسها وهي تقف في المطبخ وتنظف البيت. لطالما اعتقدت (مايا) أنها مثل أبيها، ولم يتغير ذلك الاعتقاد بعد أحداث اليوم. فمايا كانت تتهرب من المسؤولية مثله، وتفكر في مصلحتها فقط، وتأذي أقرب الناس إليها.

و فوق كل ذلك، كانت (مايا) خائنة. ولا تتحكم في شهواتها، بل تطلق لها العنان، حتى جاء علي. لم تتغير من أجله، كلي، بل هو من رفضها كلما حاولت فعل شيء. كم كانت رخيصة. مثلها مثل أبيها.

أخذت (مايا) موبايلها واتجهت إلى غرفتها. خلعت فستانها، ووقفت في غرفتها تبحث عن رسالة قد أرسلت على محادثة جماعية بينها وبين أصدقاء الجامعة، عن حفلة في بيت سلمى. لم تكن قد أرسلت شيء على تلك المحادثة منذ أسابيع، ولم تعرف كيف سيتقبلون ذهابها، ولكنها كانت بحاجة إلى أحد حفلاتهم الآن.

تجاهلت (مايا) صياح الأصوات في رأسها، يترجون منها الا تذهب، وأنها بإمكانها أن تقاوم، بإمكانها أن تكون أحسن من ذلك. ارتدت (مايا) فستان لم تكن قد لبسته منذ زمن، أسود ويصل طوله إلى أعلى رجليها. ارتدت فوقه سترة جلدية، وحذاء جلدي طويل الرقبة أسود أيضا، يصل فوق ركبته. غسلت وجهها وتبرجت كما كانت تفعل من قبل، ثم أخذت موبايلها وحقبتها وتسلت خارج البيت.

جلس (علي) مع أبيه في شرفة بيتها. لم يكن أحدهما قد غير ملبسه، وجلسا في صمت ينظران أمامهما، كلاهما في عالم آخر. لم يكن يعرف إذا كان المفروض أن يفرح بخروج والد (مايا) من حياتهم جميعا، أم كان ذلك أمر سيزيد الأمر سوءا. لم يستطع أن يخمن رد فعل (مايا) لكل ما حدث اليوم، وما اكتشفتها عن أبيها. لم تكن قد أخبرته من قبل عن ضربه لها، فقط تحدثت عن محاسنه والتي اتضح اليوم أنها زائفة. فقط في خيلتها.

و ما خفي كان أعظم.

نظر لأبيه ووجده شارد الذهن. لم تكن (مايا) هي الشخص الوحيد الذي أخفى عنه أشياء، بل قد اتضح اليوم أن أبيه كان لديه ماضي لا يعلم (علي) عنه سوى القشور. تردد برهة قبل أن يرجع أبيه من عالمه، ثم تكلم. "انت ليه ماقولتليش عليك انت وملك؟"

أدار أبوه رأسه له، وظلت عينيه شاردتين. "ماكتتش عايزك تفتكر إني مش بحب أمك الله يرحمها، وتفتكر إني اتجوزتها بس عشان كنت مجروح." "اتجوزتها ليه طيب؟"

تنهد أبوه. "أمي كانت عايزاها ليا. هي وأمها. كانوا بيعتوها معايا الجامعة، وكنت اذاكرها. بعد ما أنا وملك سيبنا بعض، أمي قعدت تزن عليا أكثر، وأنا قلت إن خلاص مش هحب من بعد ملك، مش هتفرق اتجوز مين، وفاطمة كانت بنت كويسة، وكنت حاسس بقبول من ناحيتها ليا. اتجوزتها، وهي كانت فاهمة الي حصل بيني وبين ملك. حكيتها الي حصل كله، وقالتلي إنها عارفة إني مش بحبها، بس عارفة إني ابن حلال وهراعي ربنا فيها، وده كل الي هي عايزاه." ابتسم أبوه. "طبعاً مع الوقت مشاعري اتغيرت، وحييتها. يمكن مش نفس حبي لملك، بس أنا حبيت أمك. وهي كانت عارفة، وقولتهاها عشان كانت تستحق تسمعها من جوزها الي اتجوزته وهو بيحب واحدة تانية. ويشهد الي خلقنا إني كنت مخلص ليها، وراعتي ربنا فيها على قد ما اقدر، وحاولت ما حسسهاش بأي حاجة."

"أنا عارف." أسرع (علي) أن يقول، حتى يطمئن أباه أنه لا يقصد بسؤاله التشكيك في معاملة أبيه لأمه، أو صدقه معها. "انت طول عمرك بتعاملنا كويس، وأنا اتعلمت منك حاجات كثير من طريقتك مع ماما."

هنا فاق أبوه، وحضرت عيناه. "اتعلمت مني إيه؟"

"إني احترمهم وماقولش كلمة تضايق." ضحك(علي)ساخرا. "يعني ساعات كنت بقول كلام يضايق شوية صغيرين، بس اتعلمت منك برضه ماكابرش، وإنه مش عيب إني اعتذر."

رمقه أبوه بنظرة أشعرته أنه تحت ميكرسكوب. "و يا ترى الحاجة اليي كلمتك فيها قبل كده، اتعلمتها برضه يا علي؟"

أشاح(علي)بنظره بعيدا، وراوده ذلك الشعور بالذنب الذي كان يغمره كل مرة يلمس فيها(مايا). لم يكن يعلم أبوه كم كان الموضوع صعب، فهو وملك كانت على الأرجح علاقتهما ذو طبيعة أخرى. "انت عارف أنا بحبها وبحترمها قد إيه." زفر أبوه نفسه غضبا. "يعني أنا اللي كنت مش بحترم(ملك)ومش بحبها؟ ادبك شوف العلاقة ماكملتش، وشوفت(هاشم)عمل فيها إيه بسبب لحظة ضعف واحدة بيننا."

"طب يبقى انت عارف إنها بتحصل!" كانت بنبرته بعض الدفاعية. "و عارف إن الموضوع بيبقى مش غلط-"
"لا، غلط!"

"و أنا مش قادر أحس إنه غلط!" ارتفع صوته. "يعني فاهم إنه غلط، وفاهم ليه، بس مش قادر أحس بده." وهذا ما كان يزعجه منذ ذلك اليوم على السطح، عندما كانت تحاول(مايا) أن تقول تلك الكلمة التي تمنى يوميا أن يسمعها منها، ولكنها لم تكن جاهزة بعد لأن تفعل ذلك، فقبلها(علي)حتى ينقذها، ولأنه لم يستطع أن يمتنع عن فعلا ذلك. راوده شعور بالذنب تجاه عدم شعوره بالذنب من الفعل ذاته، وكانت الأمور غير واضحة بذهنه؛ أكان من السذاجة أن يتعامل معها كأنها لم تفعل ذلك من قبل ويحاول أن يحافظ عليها؟(مايا) لم تأبه بمثل تلك الأشياء، ولم يكن مكانه أن يحكم عليها.

ولكنه لم يرد أن يكون ذلك وقود علاقتها، لم يكن يريد أن يلجأ لتلك اللغة لكي يعبر عن مشاعرها. فحاول (علي) أن يستعمل كلماته وأفعاله، وكانت لمايا لغة أخرى. لم تعبر عن مشاعرها قولاً، ولم يكن لها مواقف كثيرة أحس فيها (علي) أنها تحبه، ولكن تمسكها به كان دليل، وثقتها به في بعض الأشياء، واستماعها له والاهتمام بها يقوله، كل تلك الأشياء أكدت لـعلي أنها تحبه.

و لكنه مازال أمامه طريق طويل حتى يستطيع أن يجعلها تفصح عما كانت تحبته. لم تجربها من قبل بضرب أبيها لها، ولم تجربها حتى الآن عن علاقاتها السابقة، ولكنها في الآونة الأخيرة كادت تكون قد قطعت علاقاتها بأصدقاء الجامعة، فلم يعد يعتقد (علي) أن تلك العلاقات السابقة ستشكل مشكلة لها.

"يمكن مش هتحس دلوقتي." استكمل أبوه كلامه. "بس لو ماحصلش نصيب هتحس. ودي بنت ملك، وانت دخلت بيتهم. الست استأمتك على بنتها، خليك قد الثقة دي."

غمره الشعور بالذنب، لم يكن يريد أن يكمل حديثه مع أبيه. لماذا صمم على إفساد تلك اللحظة؟ لما أصر على دفع (علي) ليشعر بالذنب تجاهها؟ قد كانت من أحلى لحظات حياته، وكانت (مايا) أول بنت يقبلها، وجزء منه شعر بالإحراج من ذلك الأمر. كان يقارب عيد ميلاده السابع وعشرين، ومعظم أصدقائه كانوا قد تخطوا تلك المرحلة وهم في المدرسة. ولكن أبوه قد زرع فيه ذلك الأمر، وأرعبه منه، فلم يفكر أصلاً في الأمر عندما دخل في علاقات في المدرسة والجامعة، وكانوا بنات محافظات جداً، بالكاد كانوا يقبلون الخروج معه بمفرهم.

أعجبه تفتح (مايا)، وأنها كانت مختلفة عن السابقتين. لن يدعي ويقول أنها كانت طموحة وكل تلك الصفات التي حاولت البنات في تلك الأيام تبنيها، ولكنها كانت مرحة، وذكية حين كانت تريد، وجريئة. ولكنها كان بها بعض الصفات التي خوفته،

مثل قسوتها على أمها، وأنانيتها، وحدتها وقت غضبها. لم تكن تستطيع أن تتحكم في أعصابها عندما تغضب، ولم يرق (علي) ذلك. ولكنه لم يجيء ليغيرها، وقد قرر أن يتقبل كل تلك العيوب، مقابل ما أبدته من سمات جميلة، وما أخفته منهم أيضا. ظلت الأفكار وتضادها تجول في عقله، حتى قطع حبل أفكاره اهتزاز موبيله في جيبه، وأخرجه ليتفقد من كان يتصل به. هيثم صديقه. "بعد إذنك يا بابا."

أوما أبيه برأسه، وقد شرد مجددا. قام (علي) وتوجه إلى المطبخ ليحضر لنفسه فنجان قهوة، ورد على صديقه.

ارتعد قلب (مايا) في صدرها وهي تقف أمام باب شقة سلمى. سمعت الموسيقى من الداخل، وصوت ضحك الحاضرين، وشعرت بانفصال عنهم. لم تعد (مايا) التي عرفوها، لم تعد تلك البنت التي رقصت وضحكت دون حساب، التي خرجت وقتها أرادت، وصرفت كيفما شاءت. صارت بنت تفكر في الزواج، وتبحث عن وظائف قبل أن تبدأ امتحانات عامها الأخير، حتى تضمن توظيفها بعد تخرجها مباشرة. حتى ملابسها قد اختلفت.

ولكنها لم تشعر قط أنها تلك الشخص. وهي مع علي، كانت تشعر أنها تمثل دور في مسرحية، وأن حياة الحفلات والسهر والرقص والشرب، تلك كانت حياتها. وما هي الآن، تحاول أن تتذكر كيف كانت تشعر بارتياح في ملابسها القديمة، وكيف كانت لا تفكر كثيرا قبل شرب كأس واثنين وثلاثة. لم تعد (مايا) شخص معين. كانت تائهة، وشعرت ببداية نوبة دعر، ورنت (مايا) الجرس قبل أن تغرس بمخالبتها فيها.

مرت بضع لحظات، ثم فتحت سلمى الباب. اختفت الابتسامة من على وجهها واستبدلت بصدمة. "مايا؟ إيه اللي جابك؟"

رسمت (مايا) على وجهها ابتسامة لم تكن قد ارتدتها مؤخرا. "مش بعنوا قولتوا إن فيه حفلة؟" رفعت يدها وأرتها زجاجة الفودكا التي قد اشترتها في الطريق. "أنا كان نفسي في حفلة، ف قلت آجي."

حدقت بها سلمى برهة، ثم أعطتها ابتسامة صغيرة وهزت كتفها. "ماشبي، خشي."

أبقت (مايا) قناعها حتى استدارت سلمى ومشت، ثم أخذت نفس عميق وتبعتها.

لم تغمض عين الملك، ورفست لحافها غضبا. قامت من نومتها وجلست، مسندة ظهرها على ظهر السرير. كان يدق برأسها صداع منذ مجيء (يوسف) وعلي، ولم تذهبه المسكنات. جلست في الظلام برهة، تحاول تهدئة الصداع قليلا، ولكنها يأسست وقامت من السرير لكي تعد لنفسها كوب نسكافيه ربما قد يساعده. مرت بجانب غرفة (مايا) وغرفة (كريم) وكان نورهما مطفأ، جيد، كانا نائمين. ذهبت إلى المطبخ، وأعدت مشروبها، وخرجت للشرفة لتتنفس بعض الهواء الطلق.

وقفت مسندة ذراعها على سور الشرفة، ممسكة كوب النسكافيه لتستمد منه بعض الدفء، ويداعب خصلات شعرها الريح. منذ أن رجع (يوسف) حياتها، وهي لم تعد تفكر في نفسها كامرأة عجوز. ليس كامرأة قاربت الخمسين ولكن امرأة في منتصف الأربعينات. كان جسمها ممشوط بسبب الجيم، وإن كان يوجد بعض الخصلات الرمادية في شعرها، فكان ذلك أحدث صيحة في الشعر الآن. وماذا وإن كان لديها بعض التجاعيد في وجهها؟ من قرر أن ذلك ضد معايير الجمال؟

قد أخذ منها(هاشم) كل شيء. قد أخذ منها حياة لطالما اعتقدت أنها لم تكن لتحظى بها بأي حال، ما بين رفض أمها المستميت، وترك(يوسف) لها، وقد اتضح أن كل ذلك بسبب تدخل(هاشم) وولعه باقتناءها. حتما لن تستطيع أن تسترجع السنوات الماضية، ولكنها لم تكن قد وصلت من العمر أرزله. مازالت بها قوة لتعيش كيفما شاءت. مازال لديها وقت كاف لتسافر البلاد التي كانت تريد أن تسافرها. ستطمئن على(مايا) وتزوجها، وتساعد(كريم) في أن يسافر للخارج ليدرس ويكتشف نفسه، ثم ستركز في حياتها وأحلامها.

حتى وإن لم تسافر للخارج، فمند سنين وهي تريد أن تسافر مجددا للأقصر وأسوان، ربما قد تبدأ هناك. وكانت تريد أن تغير من ملابسها، التي زادت عمرا فوق عمرها. ستأخذ(نادين) قريبا، ومايا أيضا، وسيذهبون للتسوق. سيكون لديها طاقة للقراءة مجددا، فلن تسمح بأن يستنفذ أحد طاقتها مجددا. مازالت(ملك) غاضبة وساخطة مما فعله بها(هاشم) وكارولين، ولكنها شعرت بهم ينزاح من عليها. على الأقل الآن لن تتساءل مجددا عن سبب تخلي(يوسف) لها، حتى وإن كان سبب أحق، ولكنه كان عن حسن نية منه.

و(يوسف)...

تذكرت اقتراح(كريم) لها، ونهت نفسها. حتما لن تتزوجه! من قال أنه يريد ذلك من الأساس؟ ربما قد ذهب حبه لها، وكل ما رآته في عينيه في تلك الفترة الأخيرة، لم يكن الا نوستالجيا، حنين لماضي جميل سلب منها غضبا عنها. من قال أنه يجبها؟ أو يفكر فيها حتى؟

رن موبايلها، وأخرجته من جيبتها. تعثرت دقات قلبها عندما رأت اسمه على الشاشة. احمرت وجتها، وابتسمت وهي ترفع الموبايل لأذنها. "ألو؟"

"كويس إنك صاحبة. كان المفروض ابعت رسالة الأول اشوف انتي صاحبة ولا لا، أنا آسف."

هزت (ملك) رأسها وجلست على أحد الكراسي. "مجاليش نوم."
"ليه؟"

احتست (ملك) من كوبها، وشرعت في الحديث.

ربما لم تكن فكرة جيدة أن ترجع (مايا) للشرب بتلك قوة بعد أن امتنعت شهور. دار رأسها، وترنحت من المطبخ حتى وصلت لغرفة المعيشة، ووقعت على الكنب، متجاهلة البيرة التي سكبت من كوبها. ارتشفت منها، وأسندت رأسها على ظهر الكنب. كانت تريد فقط أن تلتقط أنفاسها، ثم ستحاول مجددا أن تتذكر كيف تندمج مع الموسيقى وترقص

"إزيك يا (مايا)؟"

لا. ليس ذلك الصوت. منذ متى وهو يحضر تلك الحفلات؟ كانت دوما تترجى منه المجيء معها، وكان دوما يرفض. لماذا قرر اليوم أن يحضر؟ لماذا كان حظها سيء لتلك الدرجة؟ فتحت (مايا) عينيها، وأدارت رأسها لتواجهه. "إزيك يا طارق؟"
"ليه يا بنتي." احتسى من كأس ويسكي وابتسم لها. "كل شوية تخنفي وترجعي؟"

"معلش، كنت مشغولة."

"مش ندمانة من آخر مرة يعني؟"

انقبضت معدتها وأخذت نفس عميق حتى تهدأ. "لا، عادي."

"فين علي؟"

بعيد عن هنا. بعيد عن هنا تماما وكانت (مايا) شاكرا لذلك. كلما شربت، كلما اقتنعت أن العلاقة لن تنجح، وأنه لن يريد أن يرتبط بعائلة بها كل تلك المشاكل، وبيايا على وجه التحديد. كانت أنانية، وخائنة، وغير مسؤولة، وسطحية. ومستعملة. لم تكن تصلح للزواج من شخص محترم مثله. فهو كان يستحق مثل زينب جارتها، ليس (مايا) بإضيها القبيح وأبيها المريض الذي قد ورثت عنه كل صفاته السيئة. لم تستحق أفضل من ذلك؛ كأس خمر في يدها، وفتان دعا أعين الناس، تلك التي كانت عليها منذ أن دخلت.

"مايا."

استرجعها صوت (طارق) للحفلة مجددا. "إيه؟" انتهت من البيرة وسكبت ويسكي من زجاجة الجلاك دانييلز التي كانت أمامهم على المنضدة. أخذت رشفة وعبس وجهها من لسعته.

"بسألك فين علي؟"

هزت رأسها وأخذت رشفة أخرى. "مش موجود." بالكاد شعرت بذراع (طارق) يلتف حولها. "سأبك تيجي لوحذك؟" رشفة أخرى. "مش عايزة اتكلم عن علي." سمعت أشخاص يضحكون ويسخرون من شخص اسمه ياسر، ولكن لم تأبه بما يكفي لكي تتلفت وتفهم.

"خلاص نتكلم عن حاجة تانية."

شعرت (مايا) بشفتيه على أذنها، وسمعت همسه وكأنه من مكان بعيد. شرع يحدثها عما فعلت فيه في مكالمتهما الأخيرة، وكل ما كان يريد أن يفعله بها الآن، وهل ستقبل أن تذهب معه إلى إحدى الغرف الشاغرة؟ لم ترد (مايا)، ولم تتعد عنه، فقط جلست تسمع، وتسمح بيديه أن يأخذها ما قد كفت عن اعتباره ملكها هي فقط. فهي كانت (ملك) عام. ليس من حقها أن ترفض، فهي لم تكن قد رفضت من قبل.

حدثها صوت خافت في رأسها، بالكاد سمعته فوق الضجة وهمسات طارق، ترجاها أن تذهب وتترك هذا المكان بكل من فيه، وتنتظر حتى تفيق وتكلم علي. ترجاها الصوت، وحذرها أنها كانت تدمر نفسها، أنها كانت تستطيع أن تكون شخص أفضل، أنها تستطيع أن تقاوم، فهي قد ورثت أشياء جيدة من أمها أيضا، أشياء قوية بما فيه الكفاية حتى تغلب على السيء. حثها الصوت أن تكف، أن تدفع بطارق بعيدا. جسمها كان أضمن من أن يعامل بتلك الطريقة، بأن يلمس بتلك الطريقة من قبل شخص كطارق، بأن يلمس أمام كل تلك الأعين.

تحول ذلك الصوت من صوت مغمور إلى صوت علي، وانقبض قلبها، وغمرها الحزني، وكانت تريد أن تتخلص منه في الحال حتى لا تفقد صوابها. فتلفتت (مايا) لطارق، ورفض جسمها أن يتركها تفعل أكثر من ذلك. ابتسم طارق، ووضع إصبعه تحت ذقنها، وقبلها. امتعضت ورفضت الأمر، انقلبت معدتها. لا. لا، لم يكن ذلك صحيح. لم تكن تريد ذلك. ليس هو من تريد أن تقبله. لا، لم تكن تريد أن تكون هنا. لماذا كانت تفعل ذلك؟ لأنها ليست أفضل من أن تكون كذلك، رد عليها ذلك الصوت الكريه، الذي ارتفع صوته في ذهنها أكثر من الباقين. لأنها كانت تستحق أن تكون بذلك الرخص، وأن تدمر نفسها. لم تستحق شخص كعلي، ولا أم كملك، ولا أخ ككريم. كانت تستحق فقط أبيها، الذي رأى فيها من نفسه، واحتقرها كما كان يحتقر نفسه. فجأة احتاجت الأصوات، وصرخت في رأسها إنذار، وشيء ما جعل جلدتها يقشعر، وحثها حدسها أن تنظر أمامها.

أدارت (مايا) وجهها، وتوقف الوقت. شعرت بلكمة في صدرها، سلبت أنفاسها، وقيدت قلبها فكف عن النبض. فهناك وقف علي، بقم مفتوح، وعينين محذقتين لا تصدق المشهد أمامها، بها صدمة وفزع ومحاولة مستميتة أن يمحيها ما قد رآه، وشاهدت (مايا) لحظة انكسار حب عمرها.

وقف (علي) وقد تسمّر في مكانه ونسي (هيثم) الذي جاء معه ليأخذ أخاه، والذي قد سكر لأول مرة في حفلة ما، واتصل بـ(هيثم) ليأتي ويقود سيارته للبيت، خفق قلبه ببطءٍ وضعفٍ شديدين إثر تحطّمه من الصدمة، وآله صدره بشدةٍ قطعت أنفاسه، لماذا؟! لماذا جاء معه الليلة؟! لماذا لم يمكث في بيته حتى لا يرى (مايا) مرتديةً فستانًا لم يستر الكثير وهي بحضن شابٍ آخر يقبلها ويلمسها؟! ارتعشت شفثها وترقرقت عيناها بالدموع، وشعر (علي) بقلبه يتمزّق بصدره، كان ردّ فعله الأول عندما يراها مستاءة هو أن يواسيها، ولكنه الآن كان يريد أن يعصف بالمكان ويدمره هو وكل من فيه بما فيهم (مايا)! وهو ذات نفسه! أراد أن يصرخ ويكي ويلعن اليوم الذي قابلها فيه، ويخلع قلبه من صدره حتى يتوقف ذلك الشعور، رفض عقله التصديق ولوهلة نسي صورتها، تمسّك عقله بقوته برهةً، ولكن رجعت الصورة مجددًا وشعر (علي) بالغثيان وبأعصاب جسمه تنفلت، وقفت (مايا) وخطّت نحوه ورأى شفثتها تكوّن اسمه، ولكنه لم يسمعها فوق صريخ ذهنه، انتفض جسده للوراء بعيدًا عنها ورأى انكسارها إثر تلك الحركة، راودته أفكارٌ ومشاعرٌ كثيرة متضادة، أراد أن يمحي حزنها وأراد أن يصرخ بها، أراد أن يعانقها وأراد أن يمحي ذكرى لمستها من خلاياه، شعر بـ(هيثم) يقف بجانبه يسند أخاه الذي ترنّح ولم يستطع الوقوف، لم يستطع أن يستجمع أفكاره بما يكفي لكي يحدّد ما إذا كان محرّجًا من صديقه أم لا، جاءت (مايا) ووقفت أمامه رافعةً يديها ترجيًا وفي عينيها ندمٌ وأسى وأسفٌ لم يُرد أن يراهم.

"علي!"

حرقه اسمه على لسانها.

"علي..."

هزّ رأسه حتى لا تكمل، لم يستطع أن يتحمل أكثر من ذلك.

"اتفضلي قدامي"

"عد-"

"اتفضلي قدامي يا(مايا)"

شعر بأعين الناس عليها ولم يأبه، انتظر (مايا) وراقبها وهي تمشي على رجلين غير ثابتتين، ولم يعرف أكان ذلك من تأثير ما شربته أم بسبب ذلك الموقف الذي كانا فيه، وجدت حقيقتها وحاولت أن تبحث عن شيء آخر من المرجح سترتها قبل أن تفقد الأمل وتتجه إليه، همست له بصوتٍ خافتٍ:

"أنا جاهزة."

اتجه للباب وتبعه (هيثم) وأخوه و(مايا)، نزل أربعتهم في المصعد، ومشى (هيثم) وأخوه دون أن يتفوّها بكلمة، وشكر (علي) ربه، نزع سترته عن أكتافه وألقاها على الأرض أمام قدميها.

"اتنيلي البسي ده."

انخفضت (مايا) وأغمض عينيها لما كشفه فستانها، وأخذ نفساً عميقاً حتى يهدأ قليلاً، لن يستطيع أن يتركها هنا، سيقُلها لبيتها ثم... لا شيء، لن يراها مجدداً، سنتهي قصتها بتلك الطريقة مثلها مثل العديد من القصص المشابهة، كم كان مغفلاً!

ارتدت (مايا) السترة وضمت جانبيها حتى تُخفي فستانها وما كشفه، نظرت

إليه بخوفٍ وانكسارٍ.

"تعمل إيه دلوقتي؟"

"هروّحك."

انعقد جبينها.

"إيه؟!"

"هروّحك."

ردّدها وهو يجزّ على أسنانه.

"مش هسيك هنا بالمنظر ده، اتفضلي"

تبعته (مايا) لسيارته، وفتح لها الباب دون أن يدري؛ فقد كان الأمر عادةً، ركبت ورزّع الباب خلفها متجاهلاً فزعها، مسح وجهه بيده وهو يمشي لبابه الذي رزعه هو الآخر بعدما ركب، أدار السيارة وتحركا، ساق (علي) في صمّت كسره فقط بكاؤها الخافت، قبض (علي) بيديه على عجلة القيادة حتى ابيضّت مفاصل أصابعه، آله فكّه من الجزّ، ومع مرور الوقت تفاقم الغليان بداخله وشعر بأنه بركانٌ سيثور في أية لحظةٍ ويدمر كلّ ما حوله، توقف عقله عن التفكير وشعر بتشنّج في جسده كلّ، ركن السيارة في لحظةٍ قبل أن يفقد السيطرة على جسده، ارتعش جسده لبضع لحظاتٍ وشعر بأيدي (مايا) عليه، وسمع صوتها وهي تصرخ باسمه، تشنّج جسده وعصف به أمّ حادّ، ارتفعت الصّجّة في ذهنه وانفجر (علي).

"ليه؟"

صاح بها بصوتٍ لم يُصدره من قبل، صوت حيوانٍ قد تلقّى ضربةً قاضيةً.

"ليه عملتي كده؟ أنا عملت إيه معاكِ غلط يخليكي تعملي كده؟"

"انت مش غلطان في حاجة."

نشجت وقبضت على ذراعه.

"أنا اللي فيّا حاجة غلط."

"أنا قصّرت في إيه؟"

ضرب عجلة القيادة.

"أنا كنت بحاول أحافظ عليك، كنت بحاول أحترمك، أنا كنت عارف إنك كتي مصاحبة قبل كدة وإنك عملي حاجات معاهم وكنت عايز أبقى غيرهم، ليه عملي كدة يا(مايا)؟!"

لم ترد، فقط ظلّت تبكي.

"وأنا اللي كنت فرحان إنك بطّلت تشوفهم وعمري ما طلبت منك تتغيري ولا طلبت تحكي حاجة مش عايزة تحكيها، وقعدت أقول لنفسي مش مهم، الماضي بتاعها مش مهم، هي معاك انت دلوقتي، مش مهم مين اتيل شافها غيرك ولا لمسها!"

أخذ (علي) نفسًا عميقًا.

"وأستحمل إهانة منك ومن أبوكي، واستعر من نفسي وعيلتي وأصلي عشان مايليقش بنت الباشا، وأستحمل طريقتك مع صحابك وأقول معلش، انت واثق فيها ودول صحابها من قبل ما تعرفك خليك متفتح، وماركزتش مع الأنانية ولا الدلع ولا أي حاجة من دول، قعدت أقول هي فيها حاجات حلوة لسة هتبان لما تثق فيك، تلاقيها ажرحت قبل كدة وخايفة."

استمر نحيبها واستمر ألمه.

"واتمستك بيكي وانتي أصلًا مش معايا ولا عمرك مرة قولتلي إنك بتحبيني ولا بيتيها حتى، وتعالى يا(علي) وصلني، ودّيني يا علي، هاتلي يا علي، وأنا على قلبي زي العسل عشان كنت متتيل بحبك، ده أنا استلفت عشان خروجة أنا قولتلك إنني مش قدّها، كان أبويا محتاج حاجات وفضّلتك عليه، وأنا عمري ما استلفت في حياتي وعملت ده علشانك."

"أنا زبالة، أنا عارفة."

كاد ينطق ويقول لها ألا تنعت نفسها بتلك الكلمة، ولكنه بلع كلماته.
"أنا عملت كل حاجة عشانك، كنت هشتغل سواق عشانك و حاولت أحافظ
عليكي يا(مايا)، حاولت أحسسك إني بحبك من غير ما أملك عشان ده مش حب،
ده استغلال، اللي فوق ده كان بيستغلّك وانتي سايباه! ده اللي انتي كنتي عايزاه مني؟
كنتي عايزاني أعمل معاكي أي حاجة و خلاص؟"
هزّت رأسها واستمرت دموعها في الانهار، ألمه قلبه من منظرها، ولكنه تجاهله
وأكمل وقد انخفض صوته تدريجياً للمعدل الطبيعي.

"أنا كنت ناوي أكمل، كنت ناوي أتجوزك."
رفعت (مايا) رجلها على الكرسي وحضتها، ودفنت وجهها بين ركبتيها، كتم
صوت نحيبها قليلاً، رجع الشعور لأطراف (علي) واستطاع أن يحرك قدميه
وذراعيه، أدار السيارة مجدداً وتحرك.
"ليه يا(مايا)؟!"

ظلت تبكي ولم يقل شيئاً آخر طوال الطريق، هدأت (مايا) تدريجياً حتى بدأت
تشهق عقب توقف النحيب، وصل (علي) بيتها وركن السيارة صف ثانٍ أمام
المدخل، أطفأ المحرك ونزل وفتح بابها، أنزلت (مايا) قدميها على الأرض ولكنها
ظلت جالسة لا تستطيع الوقوف، شدّها (علي) بهدوء من السيارة، ولكن انثنت
ركبتها تحتها ولحقها قبل أن تقع، أسندها بيد وأخذ حقيبتها باليد الأخرى، ووضع
حمالتها حول رقبته حتى لا تقع من ذراعها وردّ باب السيارة، ثم رفعها (علي) في
ذراعيه، ذراعٌ تحت ظهرها والآخر تحت ركبتيها كالعريس ليلة فرحه واتجه للمدخل.

سمعت (ملك) جرس الباب يرن فانتفضت من كرسيها في الشرفة.

"يوسف، هكلمك بعدين الجرس رن."

"الساعة اتين الفجر!"

رد(يوسف).

"مين الي هيجيلك دلوقتي؟! ماتفتحيش لحد ما تشوفي يا ملك."

أسرعت (ملك) للباب ونظرت من العين، وكادت أن توقع هاتفها من الدّعر.

"ده(علي)شايل(مايا)، اقل دلوقتي يا(يوسف)."

أنهت المكالمة وهي باليد الأخرى تفتح الباب.

"فيه إيه يا علي؟"

"ماتخافيش يا طنط."

تحدّث بصوتٍ أجسّ واتجه لغرفة (مايا)، وضعها على السرير وتأوّهت ولم تكن

في كامل وعيها، انقبض قلب (ملك) ثم شمّت الرائحة وفهمت، وظلّ قلبها

منقبضًا.

"انتوا كتتوا فين؟"

سمعت خطواتٍ خلفها، واستدارت لترى (كريم) يدخل الغرفة وقد استيقظ.

"فيه إيه؟(مايا) مالها؟"

"واحد صاحبي كلمني قالّي أخوه راح حفلة في بيت واحدة معاه في الجامعة

وسكر وكان رايح بالعربية، وصلّت صاحبي وطلعت معاه نجيب أخوه لقيت(مايا)

فوق."

كان يُخفي شيئًا ما، كان يتحدث بانزعاجٍ وغضبٍ، ولكن خلا صوته من القلق.

"هي هتبقى كويسة بكرة الصبح."

"ماتقلقيش يا ماما."

قالت (مايا) بصوتٍ غير واضحٍ ولاحظت (ملك) الشُّكرَ عليها.
"أنا فائقة."

"كريم، خليك مع أختك ثانية."

صوّبت نظرها لـ(علي).

"تعالى معايا برة، عايزاك"

تبعها (علي) حتى وصلا غرفة المعيشة وجلسا على الكنبّة.

"أؤمريني"

"انت مخبي حاجة."

تنهدت ونزعت الحلّة من صوتها.

"قوليّ يا علي."

هزّ (علي) رأسه.

"بعد إذنك يا طنط أنا مش هتكلم، حضرتك ممكن تسألها وهي تقولك أو

ماتقولش، برة عني."

سكت برهّة.

"أنا محتاج أستاذن، بعد إذنك."

تجاهلت (ملك) طلبه.

"انت غضبان منها، قوليّ بس حصل إيه؟"

"معلش يا طنط مش هينفع، إن شاء الله هي هتقوم كويسة بكرة، ربنا يطمنكوا

عليها."

انقبض قلب (ملك) أكثر، كان يتحدث وكأنّ كلّ شيء قد انتهى.

"علي، انتوا سبتوا بعض؟ ليه يابني؟"

عبس وجهه من الكلمة وهزّ رأسه.

"مَفِيش نصيب."

شعرت (ملك) وكأنها قد رجعت بالزمن وكانت تجلس في كافيهِ أمام (يوسف) وهو جافٌ وباردٌ، ألمها قلبها، ولكنها تلك المرة كانت تعلم أنّ (علي) لم يكن يتخلّى عن ابنتها، بل حدث شيءٌ ليدفعه لذلك، والرجل يكون بهذا البرود بعد جرحٍ كبيرٍ، أو مات (ملك) برأسها.

"تمام يا علي."

ربما ستستطيع أن تتحدث معه بعد أن يهدأ، ستتناقش في الأمر مع (يوسف).

"اتفضل انت يا حبيبي دلوقتي."

وقف (علي) واتجها هما الاثنان إلى باب الشقة، فتح (علي) الباب وخطا خارجه، واستدار ليووجه (ملك) ورأت على وجهه الألم والتردد، فهمت أنه لم يكن جاهزاً بعد لأن يُنهي كلّ شيءٍ.

"شكراً على ثقّتك فيّ يا طنط، أنا صوتتها على قد ما أقدر وربنا يشهد بتتك

غالية عندي قد إيه، وبحترمها وبحبها قد إيه، بس للأسف.. مَفِيش نصيب."

أو مات (ملك) برأسها.

"رُوح يا حبيبي دلوقتي وبكرة الصبح نتكلم."

"بعد إذنك يا طنط."

هز رأسه.

"أنا مش حابب أتكلم، خلاص لحد كدّة، ياريت الموضوع يتقفل ومايتفتحش

تاني."

ستتركه (ملك) اليوم وبضعة أيامٍ أخرى، ثم ستحدث مع (يوسف) وترى إن

كان جاهزاً للتقاش.

"ماشي يا حبيبي الي يريحك."

تردد برهةً ووقف على عتبة الباب لا يستطيع أن يتحرك، وألمها قلبها له، كانت قد أحبت (علي) واحترمته ودعت أن يكون من نصيب (مايا)، ماذا فعلت ابنتها حتى تفعل به ذلك؟!

أخذ (علي) نفساً عميقاً.

"مع السلامة يا طنط."

"أشوفك على خير يا حبيبي."

وقفت (ملك) وشاهدته يمشي وشعرت بثقلٍ على قلبها، أقفلت الباب وتوجهت لغرفة (مايا)، وجدت (كريم) جالساً بجانبها على السرير وهي تتقيأ في سلة المهملات.

كتمت (ملك) أول رد فعلٍ جاء بذهنها وهي أن تصيح بـ(مايا) وتزجرها، كان قد تغلغل فيها الرعب، ألهذه الدرجة كانت أمًا مغيبة؟ تذكرت محادثةً بينها وبين (نادين) منذ شهورٍ عدّةٍ حين أفصحت عن رعبها تجاه ابنتها التي لم تعرف (ملك) عنها شيئاً، وها هنا وقفت (ملك) وابنتها أمامها سكرانة وترتدي فستاناً وحذاءً، لم تشأ (ملك) أن تنطق أو حتى تفكر فيمن كان يلبسهم عادةً، كتمت الصياح لأنه لن يفيد الآن، وكان ذلك أول موقفٍ تستطيع فيه أن تكسب (مايا) وتجعلها تنصت لها.

"كريم."

انتظرت حتى رفع ابنها نظره لها.

"مممكن تسبينا شوية؟"

تردد لحظةً، ثم قام واتجه نحوها.

"بالراحة عليها."

خرج وترك الباب مفتوحاً وراءه.

خطت (ملك) نحو (مايا) التي قد فرغت من التقيؤ.

"هتقدري تقومي تستحمي؟"

نظرت إليها (مايا) بعينين متورمتين أثر البكاء، واعتصر قلب (ملك).

"بس كدة؟!"

تنهدت (ملك).

"استحمي وبعدين نتكلم."

سندت (مايا) على منضدة السرير، وأمسكت (ملك) ذراعها الآخر لكي

تساعدتها في الوقوف، نظرت إليها (مايا) بخزي.

"أنا خايفة أقع."

"طب تعالي."

أسندتها (ملك) وبدءا في التحرك ببطء تجاه الباب.

"هقف معاكي، ولو حسيتي إنك مش متزنة هلهقك، ماشي؟"

"أوكي."

ذهبا اثنتاهما إلى الحمام، ودخلت (مايا) داخل كابينه الاستحمام وانتظرتها

(ملك) خارجها، رمت (مايا) فستانها من أعلى الزجاج وقد خلعت حذاءها في

غرفتها، خلعت باقي ملابسها ورمتها خارجًا، ووضعتهم (ملك) في سلة الغسيل

بينما فتحت (مايا) الماء، أبقت (ملك) نفسها بجانب باب الكابينة حتى تلحقها

بسرعة إن احتاجت شيئًا، ولكن ظلّت (مايا) متوازنة حتى وإن أخذت وقتًا أطول

بكثير من الطبيعي.

حسنًا، لن تصرخ بوجهها وتهاجمها؛ فقد كانت (ملك) هي الأخرى مخطئة؛ فلم

تتذكر مرةً جلست فيها مع (مايا) وأعطتها النصائح التي تعطيها جميع الأمهات

لبناتهن، لم تكن العلاقة تسمح بينها وبين (مايا) بذلك، ولكن الآن رأت كيف لم يكن

ذلك عذرًا مقبولًا، ستعلم الآن ثمن غلطتها.

توقف صوت الماء وفتحت (مايا) الباب الزجاجي بضعة سنتيمترات.

"ممکن فوطة؟"

أعطتها (ملك) منشفة كبيرة وانتظرت حتى جففت (مايا) نفسها بالداخل، ثم خرجت لها والمنشفة ملفوفة حولها، كانت قد هدأت عيناها قليلاً، وشعرت (ملك) أنها قد فاقت قليلاً.

"ممکن أروح ألبس؟"

"تعالى."

اتجهت (ملك) لغرفة (مايا) التي تبعثها وانتظرت خارجها حتى ارتدت (مايا) ملابسها، دخلت (ملك) عندما نادتها (مايا) ووجدتها قد استلقت في السرير تحت لحافها، ذهبت (ملك) إليها وجلست على حافة السرير بجانبها.

"إيه اللي حصل يا (مايا)؟ احكيلى وما تخافيش."

"غلطت قوي."

همست (مايا).

"غلطت كثير قوي يا ماما."

لاحظت (ملك) تعب ابنتها ولم تُرد أن تخوض معها تلك المحادثة وهي مرهقة وليست في كامل وعيها، تنهدت (ملك) وربتت على ذراع (مايا).

"تحبى نتكلم الصبح؟"

"مش عارفة."

هزت كتفها.

"زي ما تحبى."

أرادت (ملك) أن تؤجلها للغد؛ حتى تستطيع أن تتحدث مع (مايا) لفترة أطول، وحتى تكون (مايا) بحالٍ أحسن من الآن.

"خلينا نتكلم بكرة الصبح لما تكوني فوقتي شوية."
رمقتها (ملك) بنظرة.

"مايا، هصحي ألاقكي في البيت، صح؟"
ترقرقت عينا (مايا) بالدموع.

"مابقاش عندي مكان أروحه."

آلم (ملك) قلبها وربتت على ظهر ابنتها.

"بيتك موجود يا حبيبتى وأنا موجودة، مانتلقيش خالص من بكرة، هنقعد

ونتكلم بالراحة، ماشي؟"

أومأت (مايا) برأسها.

"شكرًا."

"تصبحي على خير."

تردّدت (ملك) لحظةً، هل كان مسموحٌ لها أن تقبّل (مايا) على رأسها؟ هل

ستسمح (مايا) لها بذلك؟ نهرت (ملك) نفسها، كانت (مايا) ابنتها وهي في محنةٍ

كبيرةٍ، بالطبع كان من حقها -بل كان واجبها- أن تقبّل ابنتها، انحنّت (ملك)

وطبعت شفيتها على جبين (مايا) وربتت على ظهرها.

"نامي يا حبيبتى عشان تريحي."

"تصبحي على خير يا ماما."

"وانتي من أهله يا حبيبتى."

دخل (علي) بيته ووجد أباه ما زال مستيقظًا، حسنًا.. سيهرب إلى غرفته.

"أنا داخل أنا." "

قام أبوه من كرسيّ المطبخ.

"علي، هو حصل إليه؟ فهمني."

لم يكن قادرًا على تلك المناقشة الآن، ولم يكن يريد أن يخبر أباه عن (مايا)، لم يعرف لماذا ما زال يحاول أن يحميها، ولكنه شعر أن تلك الحركة لم تكن فقط نابعة من مشاعره تجاه (مايا)، بل وأيضًا كان ذلك الشيء المحترم؛ فلن يفضحها أمام أبيه؛ فمن المؤكد أنه لا هي ولا أمها سيريدان ذلك.

"بابا، هشرحلك كل حاجة بكرة، بس والنبي سييني أنام دلوقتي."

تنهد أبوه وأومأ برأسه.

"ماشي يا ابني، اللي يريحك، طمني بس (مايا) كويسة؟"

"آه يا بابا كويسة، داخت بس وهي برة فروحتها، ماتقلقش."

"ماشي يا ابني، الحمد لله إنها كويسة."

سكت برهة ثم أومأ برأسه.

"تصبح على خير."

"وانت من أهله."

اتَّجه (علي) إلى غرفته وأقفل الباب وراءه، بالكاد وصل لسريه وارتمى عليه دون أن يخلع ملابسه، تذكر آخر مرة شعر بمثل ذلك الألم، وكان ذلك حين تُوقِّيت أمه، تذكر أن يومها قال لنفسه أنه لن يتألم لهذا الحدِّ مجددًا، وكم كان مخطئًا، شعر (علي) بالسدِّ بداخله ينهار وانفجر في البكاء.

استيقظت (مايا) وعبس وجهها من شدة الصداع، لماذا لم تتذكر أخذ مسكّنات البارحة قبل النوم؟ ستظلّ بذلك الصداع طوال اليوم، وجدت حقيبتها مُلقاة على الأرض بجانب حذاءها؛ فمدّت يدها وشدّت حقيبتها لتخرج هاتفها، ألمها قلبها عندما رأت صورتها مع (علي) التي قد وضعتها كخلفية للهاتف وأخذت نفساً مرتعشاً، لم تتصل بها (سلمى) أو أيّ شخصٍ آخر من الحفلة، وشعرت بخيبة أملٍ عندما لم تجد رسالةً من (علي)، لقد أخفقت بشدةٍ ودمرت كلّ شيءٍ، استلقت على سريرها ولم تحاول القيام؛ فالقيام يعني محادثةً طويلةً مع أمها عمّا حدث ومواجهة أن علاقتها هي و(علي) قد انتهت، اجتاحتها الألم وصدر منها أنينٌ؛ فلم تستطع تقبّل فكرة حياةٍ بدون (علي)، لماذا لم تقاوم وتحاول أن تكون أفضل؟ لماذا كانت ضعيفة بدلاً من ذهابها إلى تلك الحفلة؟ لماذا لم تتصل به وتحاول حلّ مشاكلها؟ تفرقت عينها بالدموع واحتاج صداعها عندما شرعت في البكاء عن حقٍّ، كانت في حالةٍ يُرثى لها، تدافعت المزيد من الأفكار المدمرة في ذهنها وتشبّثت (مايا) في وسادتها وكتمت بكاءها فيها، كانت تريد أن تموت؛ فلن تحظى بمثل (علي) مجدداً، ولم تكن تريد شخصاً غيره، لقد رأى فيها ما لم يره أحدٌ من قبل حتى نفسها، ولن تنسأ مثلما لم تنسَ أمها (يوسف)، لم تكن تهتم بحياتها المهنية، ولم يكن لديها أصدقاء، لم يوجد ما يدفعها للبقاء، فقط (علي).

فُتح باب غرفتها ودخلت أمها ببطءٍ.

"مايا، صحيتي يا حبيبتي؟"

لم تردّ (مايا)، فقط صدر منها نسيجٌ، أسرعت أمها لها وجلست بجانبها على حافة السرير.

"بس يا حبيبتى اهدي، كل حاجة هتبقى كويسة إن شاء الله."

كانت تحتاج لأمها، لم تدع نفسها من قبل أن تشعر بذلك، ولكن في تلك اللحظة غمرها هذا الإحساس، وتذكرت كل الأشياء التي فعلتها أمها من أجلها على مرّ السنين، أشياء تجاهلتها (مايا) وغضت البصر عنها، أشياء صغيرة مثل تحضير أمها لوجبتها المفضلة كلما كانت (مايا) حزينة، والحفاظ على وجود أطعمة ومشروبات (مايا) المفضلة دومًا، وكما اتضح البارحة التكلّف بمصاريف تعليمها، صبرها عليها، ومحاولتها دائمًا عدم إزعاجها، تذكرت (مايا) أيضًا كل ما فعلته هي بأمها، لم تتذكر عيد ميلاد واحد لأمها أو عيد أمّ واحد عيدت عليها فيهم أو أحضرت لها هدية، كثيرًا ما كانت تتجاهلها عندما تنادي عليها وتحديثها بعنف وجفاء وتجرح فيها.

و(عمرو).. ذلك الرجل الذي أحبته أمها؛ فقد وقفت (مايا) بينها ومنعتها من الزواج به، واستغلّ أبوها شرط (مايا) حتى يلوي ذراع أمها ويمنعها من الزواج، ألمها الأمر؛ لأنها الآن تعلم ما مرّت به أمها وما فعله بها أبوها، كم كانت ابنة سيئة وحبيبة بشعة، لم تستحق أمها ولا (علي).

ولكن أمها لم تتركها بعد، ولم تدمر (مايا) علاقتها كليًا؛ فما زالت أمها موجودة، فقط تحتاج أن تسمح لها (مايا) بالاقتراب، رفعت (مايا) رأسها وحركت جسدها حتى استطاعت أن تستند برأسها على رجل أمها، تحسّب جسد أمها لبضع لحظات ثم وضعت يدا ترعش على رأس (مايا) ومسحت على رأسها.

"هتبقي كويسة، أنا معاكى أهو وهتبقي كويسة."

"أنا وحشة قوي."

"ماتقوليش كدة."

ارتعش صوت أمها؛ فكانت تبكي هي الأخرى.

"انتي غلطي آه، ولسة هعرف منك حصل إيه، بس أنا موجودة جنبك
وهتبقي كويسة يا حبييتي."

قامت (مايا) ونظرت لأمها.

"أنا طالعاه، أنا طالعاه في كل حاجة وحشة، وضعيفة قوي."

"طب احكي لي بس ليه انتي شايفة كدة."

"لا؟"

هزّت (مايا) رأسها وبكت أكثر وقد نفّس فيها الرعب، قد نخسر أمها إذا
أخبرتها بكلّ ما فعلته؛ فحتمًا لن تقبل أيّ أمّ أمرًا كهذا، وسيؤدي كلامها إلى
مشكلاتٍ أكثر.

"هخسرك، لو قولتلك هخسرك."

"مش هتخسريني."

ربتت (ملك) عليها.

"والله ما هتخسريني، هنتكلم بالراحة ومش هتعصب خالص."

ولأنها كانت بحاجة لأن تُخرج ما كان بداخلها حكّت (مايا) وبدأت من أوّل
مرة احتست فيها خمرًا يوم أخبرها فيه أبوها وأمها عن قرار انفصالهما، وكيف
استمرت في الشرب حتى قابلت (علي)، وأخبرتها عن علاقاتها ولم تدخل في
تفاصيل حتى لا تجرح أمها أكثر، ولكنها فهمت المراحل التي وصلت لها، ورأت
بعض الطمأنينة تدخل عينيّ أمها عندما أخبرتها أنها لم تتخطّى آخر مرحلة، أخبرتها
عن (علي) وتمنعه ومحاولته الحفاظ عليها، وكيف دفعها ذلك لتشكّ في حبه لها
وانجذابه إليها، أخبرتها عن مكالمتها مع (طارق)، ووصلت أخيرًا لحفلة البارحة وما
حدث فيها وردّ فعل (علي).

ظلّت أمها صامتةً وطال الصمت حتى لم تستطع (مايا) تحمله.

"ممکن تقولي حاجة؟"

هزّت أمها رأسها.

"مش هعرف أقول حاجة، أنا غلطانة في حاجات كثير قوي، ماحاولتش أتكلم معاكّي وأبني علاقة تخلينا نتكلم في الحاجات دي قبل ما تحصل، انتي اتربتي في بيت ماحدش ركز معاكّي فيه، ودي كانت النتيجة."

تنهّدت ومسحت وجهها بيديها.

"مش محتاجة أقولك إن كل ده غلط؛ عشان انتي مش صغيرة وفاهمة كويس جدًا الصبح من الغلط، بس يا(مايا) انتي أحسن من كدة.. انتي قيمتك أغلى من كده، الولد اللي يبقى عايز منك ده بس يبقى مش بيحترمك، وانتي عندك حاجات كثير جدًا تقدّمها غير جسمك."

"زي إيه؟"

"مشاعرك، لما يكون الشخص صح يبقى إديله مشاعر، حسسيه إنك بتحبّيه، إنك مهتمة، إنه فارق معاكّي، ماتعمليش ده بجسمك."

"أنا لقيتهم مهتمين بده بس."

هزّت (مايا) كتفيها.

"افتكرت إن ده اللي عندي، أنا مش ذكية ولا عندي موهبة ولا بعرف أدي مشاعر واهتمام، بعرف بس أبسطهم."

"لا يا حبيبي."

وضعت أمها كفيها على وجهها ومسحت دموعها.

"الموضوع مش بالدرجات خالص، انتي ذكية لما بتبقي عايزة، وشخصيتك قوية، ضعفتي في نقطة آه ونقطة كبيرة، بس أديكي اتعلمتي، الحاجات دي مش حل لمشاكلك يا (مايا)، هتتحطّي في مواقف هتبقّي عايزة تهربي وماتواجهيش، زي اللي

حصل امبارح، أو هتحسبي إنك خايقة ومش مستقرة، بس ده مش حلّه اللي عملتيه، هيبقى صعب.. أنا عارفة إنه هيبقى صعب، بس المشاكل هتتحل في الآخر لما تواجيهها.

"أنا مش حاسة إن فيه حاجة هتتحل."

هزّت (مايا) رأسها.

"أنا مش فارق معايا حاجة غير علي، وخسرتُ بس هو أحسنله كده يا ماما." انعقد جين أمها.

"ليه بتقولي كدة؟ ده انتوا كتتوا حلوين قوي مع بعض، وهو كان شكله فرحان، ليه كده أحسنله؟"

"عشان أنا مش كويسة."

نشجت (مايا) وتجدّد الألم بداخلها.

"عشان أنا وحشة زي بابا وكنت هجرحه، وجرحته كثير بسبب مستواه واضطر يقبل حاجات أنا بعملها عشان يرضيني، وأنا ماكتتش بحاول أرضيه وبحطه في مواقف كثير بختبره فيها وأشوف غلاوتي عنده، وبعد كل ده خونته مرتين، أنا ماستاهلهوش يا ماما، هو يستاهل حد أحسن مني بكثير."

"يبقى كوني حد أحسن."

ردّت أمها.

"مايا، انتي بتحببيه ولا لأ؟"

سكتت (مايا)، كان ذلك السؤال يربعها؛ لأنه سيدفعها لمواجهة مشاعر بداخلها كانت تُخفيها، لم تُرد أن تعترف بغلاوة (علي) عندها حتى لنفسها ظناً منها أنّ ذلك سيحميها من ألم فقدانه، وبالفعل فقدته بسبب تصرفاتها، ولم يقلّ الألم بل كان لا يُحتمل، لماذا لم تُخبره مرة واحدة فقط أنها تحبه؟ كان يستحقها، لماذا عاندت

واستكبرت ولم تُعطه منها ما كان يستحقه؟ كان يستحق مشاعرها وجرأتها التي لطالما مدحها واهتمامها به ومحاولتها أن تجعله سعيداً، كان يستحق أن يشعر بحبها وباستحقاقه لها، وكان يستحق بجدارة ألمها على فقدانه الآن، انتبه الشعور الغير مسمى بداخلها وتخيّلته يقف ويخطو في اتجاه باب سجنه ويتأهب للحرية التي لطالما انتظرها.

أومات (مايا) برأسها وفتحت الباب.

"أبوة بحبه."

عصف الشعور خارج زنزانته وعصف بها؛ فامتألت روحها به وجلب معه راحة لم تشعر بها (مايا) من قبل، لم تتخيل يوماً أن تشعر به وتحيا إثرها، انقبض نفسها وشهقت من شدة كل ما كانت تشعر به، ظلّت تتأوه وعلا نحيبها وضمتها أمها إليه، أَلذَلِكَ أبقتة مسجوناً؟ حتى تتفادى كلّ هذا الألم والحزن؟ ولكنها لأول مرة شعرت أنها على قيد الحياة، وفهمت أخيراً لماذا جرح الناس وعاودوا المحاولة مرة أخرى، فهمت كل أغاني الحب وكلّ ما كُتب عنه، وفهمت أنه لم يكن موضعاً للسخرية، فهمت.. بعد فوات الأوان، تشبّثت بأمرها وتركت كلّ ما قد حبسته يعصف بها.

وقف (علي) على سطح بيته يحتسي كوب شايٍ ويدخن سيجارةً في أحلك أوقات حياته، كان يلجأ للتدخين ليرفّه عن نفسه برهةً، أخذ نفساً من سيجارته وزفره ببطءٍ، ما زال صدره يؤلمه منذ البارحة ولم يستطع أن يأكل شيئاً منذ الصباح، فقط حضّر لأبيه الإفطار وكوب شايٍ لنفسه وصعد للسطح، ربما لم يكن أفضل مكانٍ لما اكتظّ به من ذكرياتٍ مع (مايا)، ولكنه كان يلجأ هنا كثيراً منذ طفولته، ولم يشأ أن يخسر مكانه المفضل، حاول أبوه أن يسأله عمّا حدث ولكنه لم يعطه فرصةً

وهرب من البيت، لم يكن يريد أن يحكي، لم يكن جاهزاً بعد، لم تفارقه صورة (مايا) وهي تُقبّل هذا الشخص، ولم يهدأ الألم أو يقلّ كلما رأى الصورة في ذهنه، جزءٌ منه ظلّ يحاول تبرير الموقف واختلاق أعداءٍ، ربما فعلت ذلك فقط لأنها كانت سكرانةً وهو من قبلها وأنها كانت ستدفعه عنها، ربما حدث ذلك فقط بسبب أحداث اليوم وما اكتشفته عن أبيها، ولكن لا.. لم يكن مبرراً، ليس بعد كلّ ما فعله من أجلها، كان قد اعتقد أنّ ما كان بينهما مميّزٌ ومختلفٌ، وكان قد آمن به بشدة، آمن بها وبالْحَسَن الذي رآه فيها وما خفيَ أيضاً، هل كان كلّ ذلك أشياء اختلقها (علي) في ذهنه ليبرّر استمراره في علاقة لم تكن ستنتجح؟ أكان يعلم ويكابّر؟

لم تقل له يوماً أنها تحبّه، ربما وافقت أن تتزوّج فقط لأنها رأت فيه زوجاً سيدعها تفعل ما تشاء ولا يطلب منها الكثير، ربما كان فرصة لها فقط لا غير، هل أحبته يوماً أم كانت كل تلك المشاعر غير متبادلة؟ هل كان قد أوهم نفسه كل تلك الشهور؟ لماذا حدث معه ذلك؟ لم يكن شخصاً سيئاً، لم يجرح أحداً من قبل حتى في علاقاته السابقة، كان محترماً معهم كثيراً وبشهادةٍ منهم، لم يُسع لهم أو يجرحهم عمداً وإن حدث ذلك اعتذر، فلماذا كان يتألّم كل ذلك الألم الآن؟ لقد أحبّها وحاول أن يحافظ عليها وكان ذلك جزاءه! لم يستطع أن يفهم لماذا فعلت ذلك، أكان الأمر مهمّاً إليها لتلك الدرجة؟ هل أخطأ عندما امتنع معها؟ هل أشعرها ذلك أنها غير مرغوبٍ بها؛ فذهبت لتبحث عن تحقّق من شخصٍ آخر؟ هل تحكّم في نفسه زيادةً عن اللازم؟ ولكنه فعل كلّ ذلك من أجلها، كان يحاول أن يُشعرها أنها ليست مجرد جسدٍ وأنها أكثر من شيءٍ يوجد فقط لإمتاع الرجال، لماذا لم تفهم ذلك؟ هل كان الخطأ من ناحيته؟ ألم يكن واضحاً بما فيه الكفاية لتفهم مقصده؟ دارت التساؤلات والشكوك في رأسه ودخّن سيجارة تلو الأخرى، سمع صوت باب السطح يُفتح

ويُقفل ونظر من فوق كتفه ليرى أباه متجهاً إليه، كتم (علي) تنهيدته ولم يُظهر على وجهه أيّ استياءٍ من حضور أبيه.

"فيه حاجة يا بابا؟"

"جيت أنظمن عليك."

وقف أبوه بجانبه وأسند ذراعيه على سور السطح.

"لسة بتعمل الحركة دي؟"

أطفاً (علي) السيجارة ورماها.

"متضايق شوية."

"متضايق كثير."

سكت أبوه برهةً وصوّب نظره للشارع أسفلهما.

"ملك كلمتي قبل ما أطلعلك."

انقبض قلبه في صدره ونهر نفسه أنه أراد أن يطمئن على (مايا) بعد كلّ ما

حدث.

"ماشي."

"مايا أحسن دلوقتي."

ما زال يستطيع أبوه أن يقرأه كالكتاب المفتوح.

"ملك قالتلي اللي حصل."

"مش من حقها! "

اكفهر (علي).

"مش من حقها تقولك حاجة زي كدة."

"مايا وافقت."

تنهّد أبوه.

"مش عارف أقولك إيه، مَفِيش حاجة أقولها هتساعدك."
اتفق معه (علي)؛ فلن يستطيع أي شخص أن يفسر ما حدث بطريقة ستساعد
(علي) على تخطّيه.

"اللي حصل حصل، خلاص بقى مالوش لازمة الكلام."
"ماتكتمش جواك."

ربت أبوه على كتفه.

"أنا عارف إن فيه مشاكل بيني وبينك من ساعة ما مشينا من
بيت(هاشم) وإنك شايفني واحد انهزامي بيحب الحاجة السهلة، بس طول عمرك
كنت بتجيلي وكنت بساعدك، أتمنى ده مايكونش راح."
اجتاحه الشعور بالذنب، وانحنى (علي) وقبّل كتف أبيه.

"ربنا يخليك ليا، أنا آسف ع اللي قلته ماكانش قصدي، انت عارف انت في
نظري كبير قد إيه k وأنا بس كنت متعصب يومها."

"مش بقولك كدة عشان تعتذر، مش جاي أحسسك بالذنب في وقت زي
ده."

ابتسم له أبوه.

"انت ماتستحقش اللي حصل، ومش عايزك تفقد الثقة في الناس،(ملك)أهي
عمرها ما عملت حاجة زي كدة، وأمك برضه."

"هو فيه أي تفسير للي حصل؟"

هزّ (علي) رأسه.

"مَفِيش حاجة تبرر هي عملت كدة ليه؟"

"هي اتكلمت مع مامتها وأنا فهمت منها، وشايف إنك لما تهدي محتاج تتكلم

معاها."

نظر (علي) لأبيه و حدّق به غير مصدقٍ وقد اشتعل غضبه.
"يعني شايف إني أساعها بعد اللي حصل ده؟ عادي كدة؟"
"ماقولتش ساعها، قلت اتكلم معاها، مَفيش حاجة تعذر اللي عملته، بس
ممكن تفهم لو مش عايز تخلّي دماغك تاخذك يمين وشمال."
هزّ (علي) رأسه.

"مش عايز أشوفها ولا أكلمها."

لن يستطيع أن يتحمّل سماع صوتها الآن الذي بثّ الروح فيه، ولا رؤية ذلك
الوجه الذي راوده في منامه ويقظته، ذلك الوجه الذي خفق قلبه لطلّته، لقد انتهى
كلّ شيءٍ وكان يريد أن يبقى الأمر كذلك حتى يتعوّد الألم ويكفّ غيابها عن تعذيبه.
"خد وقتك خالص، لما تبقى عايز تكلمها كلّمها، لو ماحسّتش إنك عايز
تكلمها خلاص."

خطر بباله سؤالٌ وتردد برهّة قبل أن يسأله.

"انت هتفضل تتكلم مع مامتها؟"

نظر إليه أبوه.

"لو هيرحك إني أقطع معاها هعمل كده."

أكان يريد ذلك؟! هل سيتحمّل حرمان أبيه من حبيبته الأولى؟! من حبّه الذي
صمد كل تلك السنوات في الغياب لأنه كان يعلم ويتيقّن أن أباه ما زال يجب أم
(مايا)، ما زال يكنّ لها مشاعرًا رغم فراقها كل تلك السنوات وزواجه من أم
(علي)، هل عدم استمرار علاقته بابنتها وانتهائها بهذا الشكل يجعله يجرم أباه ممن
سكنت قلبه؟ لا، لن يستطيع أن يفعل ذلك.

هزّ (علي) رأسه.

"مش عايزك تعمل كدة لأ، بس ماتجلبش سيرة (مايا) لو سمحت."

"مش هجيب سيرة(ملك)حتى."

حتى طريقة نطقه لاسمها كانت مختلفة، يرقّ صوته ويظهر به بعض التبجيل.
"أهم حاجة دلوقتي تطّلع اللي جواك وماتكتمش، عايز تاخذ أجازة اعمل
كدة، انت ماخدتش من ساعة ما ابتديت، ريّح كدة أسبوع ولا أسبوعين واهدى
فيهم."

نعم، كان لديه عملٌ غداً وسيرى أم (مايا) في المكتب، هل سيستطيع أن ينسى
(مايا) وحياته مليئة ومحاطة بذكراها؟ راقّت له فكرة الأجازة وأخرج فوراً هاتفه
لكي يتصل بمديره ويطلب أجازةً ابتداءً من الغد، انقبض قلبه عندما رأى صورتها
في خلفية هاتفه، حدّق بها برهةً وشعر باشتياقٍ إليها سلب أنفاسه واعتصر قلبه، بيد
مرتعة كتب لمديره رسالةً يطلب فيها أجازةً طارئةً، وقاوم رغبته في فتح محادثته مع
(مايا) وقراءتها كمراهقٍ في مدرسة، بدّل خلفية هاتفه لصورة شاطيء ما وجدها على
هاتفه، ووقف هو وأبوه في صمت.

ارتعد قلب (نادين) في صدرها وشعرت أن يدها قد سُلت، وفتت أمام بابٍ لم
تأته منذ حواليّ خمس عشرة سنةً، ونخّش جسدها توجّساً وخيفةً، ماذا كانت تفعل
هنا؟ لماذا جاءت؟ لماذا طلبت من (هند) أن تأتي؟ لم يكن لديها الحق بعد ما حدث
لـ(رؤوف) بسببها، لم يكن لديها الحق أن تقف أمام بيته القديم وتدقّ بابه، استدارت
(نادين) عنه وأخذت نفساً عميقاً زفرته ببطءٍ، كم كانت تريد أن تدخّن، ولكن
كانت (هند) تكره رائحة السجائر ولم تُرد (نادين) أن تُعبئ البيت برائحة الدخان،
جلست على السلم بجانب الباب وأسندت رأسها على يديها، خفق قلبها بشدة
واهتزّت رجلها توتراً، لم تكن فكرةً صائبةً مجيئها هنا اليوم، ماذا كانت تتوقّع أن
تفعل؟ أن تنال العفو عما فعلت؟! لن تغير ما حدث، لن تستطيع أن ترجع في الزمن

وتمنع (رؤوف) من النزول في حالته المزرية تلك، لن تستطيع أن تمحي ذلك الحادث، اهتَزْ هاتفها في جيبها وأخرجته لتجد رسالة من (هند) تسألها أين كانت؟ ردّت عليها بصدق وبعد بضع ثوانٍ فُتِحَ باب الشقة وخرجت لها هند.

"بتعملي إيه؟"

هزّت (نادين) رأسها.

"خايفة أخش."

رفعت عينيها لها وابتسمت سخريةً.

"مامتك هتقتلني."

دحرجت (هند) عينيها وعقدت ذراعيها فوق صدرها.

"قولتلك إني اتكلمت معاها وهي موافقة، خشي وبلاش تبقي جبانة."

عقدت (نادين) جبينها ولكنها وقفت.

"بقيتي دبش، ألمانيا عملت فيكي كدة؟"

"دي عنصرية."

ابتسمت لها (هند) ابتسامَةً صغيرةً.

"انتي محتاجة عملي ده، تعالي يا(نادين)."

وقفت (نادين) على عتبة الباب ورأت المنضدة الصغيرة التي كانوا يضعون عليها مفاتيحهم عقب دخولهم البيت، والسجادة المرزكشة التي سكبت عليها عصير عنبٍ ذات مرة ولم تستطع أن تُخفي البقعة وقد بهتت مع مرور الوقت، وعندما رأتها (نادين) اجتاحتها الذكريات وخفق قلبها بشدة، سمعت خطواتٍ وظهرت أم (هند).. (سلوى)، والتي كانت بمثابة أم (نادين) الثانية، كان قد شاب شعرها وقد قصّته؛ فكاد يصل لذقنه، وقفت تحدّق بها برهةً ثم بادرتها بابتسامَةٍ مرتعشةٍ وأومات لها.

"أزيك يا (نادين)؟"

دخلت (نادين) الشقة وانعدت أحشائها عندما أقفلت (هند) الباب وراءها.

"أزيّ حضرتك؟ حمد الله ع السلامة."

"الله يسلمك."

سكتت برهةً وأخفضت من صوتها.

"بصي يا (نادين)، أنا همخش في الموضوع على طول عشان انتي شكلك خلاص

هتموتي من التوتر، هند اتكلمت معايا، أنا بقالي فترة بفكر في الموضوع بطريقة تانية

وعايزة أقولك إني مساحكي، أنا ماقدرش أتخيل انتي مريتي بإيه والموضوع أثر فيك

أزاي، وهند قالتلي ع اللي حكيتيهولها وع اللي هي شايفاه، وأنا واثقة في رأيها

ومصدقة إن انتي مش الشخص ده خلاص."

نشجت (نادين) واكتشفت أنها كانت تبكي، مسحت وجهها بيديها وأشاحت

بيدها.

"أنا آسفة، أنا مش قادرة أقولكوا أنا آسفة قد إيه."

خطت نحوها (سلوى) وربت على كتفها.

"انتبي كتبي في مقام بنتي الثانية يا (نادين) من وانتبي صغيرة، كنت أتمنى إنك

تحكيلى ع اللي كان بيحصل كنت هحميكي منه، بس أنا فاهمة قد إيه الموضوع كان

صعب وانتبي كتبي صغيرة قوي."

ترقرقت عيناها بالدموع.

"يا حبيبتى.. انت زي بنتي يا (نادين)، بس هتعذريني من رد فعلي، رؤوف

ابني الكبير وماقدرتش أستحمل اللي حصله."

"انتبي مش غلطانة في حاجة."

قاطعتها (نادين)، فلم تحتمل أن تسمعها تبرّر سخطها عليها وما قالتها لها عندما كلّمتها (نادين) عقب الحادث.

"انتي لو كتتي قتليني كنت هعذرک، أنا اللي عملت كدة، أنا السبب."

"انتي كتتي لسة في صدمة يا (نادين)."

تحدّثت (هند) ولفّت ذراعها حول كتفها.

"وماكتيش في حالة طبيعية، ليكي شوية عذر ومحتاجة تسأحي نفسك زي ما

قولتلك، وتكملي حياتك من غير إحساسك بالذنب."

"أنا خدت منه حياته."

هزّت سلوى رأسها.

"ماتقوليش كدة، في الأول وفي الآخر ده اللي ربنا كان كاتبه ولازم نرضي

بيه."

وقف ثلاثتهم في صمتٍ وارتعد قلب (نادين) ممّا كان قادمًا، لم تستطع أن تكسر

الصمت، أرادت أن يؤخرا تلك الخطوة لأكثر وقتٍ ممكن، ولكن كان لـ(هند) أفكارٌ

أخرى.

"تعالى."

أمسكت بيدها وأومات برأسها لـ(نادين) عندما رأت ذعرها.

"ماتخافيش، تعالى"

تبعتها (نادين) واتجهتا لشرفة المنزل المطلّة على حديقة لا تستطيع عدّ أو إحصاء

الليالي التي أمضتها هنا مع (هند) و(رؤوف)، وأحيانًا مع (رؤوف) فقط، كيف ظلّا

يتكلمان حتى بزوغ الفجر أحيانًا، وتنهرهما (سلوى) عندما كانت تستيقظ لتصلي،

وصلوا الشرفة وتوقّف قلب (نادين) عن النبض، كان ظهره لها، يجلس ساكنًا لا

يتحرك، قد أطال شعره الأسود وتخلّلت موجاته بعض الخصل البيضاء، ارتعشت

(نادين) وزفرت نفسًا يرتعش بكاءً، شعرت بيد (هند) تركها ونظرت من فوق كتفها لترأها تتراجع هي و(سلوى) ليتركاهما وحدهما.

سمعت (نادين) صوت حركة وترددت قبل أن تستدير ببطء شديد وتواجه (رؤوف) حبها الأول والأخير، روحها وقلبها وعشقها الوحيد، تفرغت من عينيه تجاعيد جديدةً وكان قد ربي حيةً خفيفةً تقطعها ندبةً بيضاء بدأت عند حاجبه الأيسر ووصلت لفكّه، فقد ذراعًا في الحادثة وركب طرفًا صناعيًا ظهر منه فقط يدٌ تكاد تشبه الأخرى الحقيقية، لاقت عينيه وخطفتا أنفاسها.

لم يكن قد خمد حبها له لحظةً واهتاج الآن في قلبها نائراً:
"رؤوف!"

ضغط بيده السليمة على زرٍّ وتحرك كرسيةً للأمام قليلاً حتى كان أقرب لها.
"أزيك يا (نادين)؟"

نشجت لسماح صوته، وفقدت رجليها القدرة على حملها؛ فركعت على الأرض وغطت وجهها وبكت، سمعت كرسيةً يقترب أكثر، ثم شعرت بيده تمسح على شعرها.

"بلاش عياط."

رفعت نظرها له.

"أنا آسفة، أنا ماستاهلش إنك تساعني، ومش هطلب منك ده."

"نادين!"

"أنا عمري ما استاهلتك."

نحبت.

"أنا عمري ما كنت أستاهل حبك ليا."

"نادين، أنا عمري ما زعلت منك أصلاً."

خرست (نادين)، وحدقت به غير مصدقة.

"إيه؟! "

"يعني، أكيد كنت غضبان من حاجة معينة خلّيتيني أعملها."

أخفضت رأسها خزيًا، ولكنه مدّ يده ووضع أصابعه تحت ذقنها ورفع رأسها لتنظر له، احترق جلدها تحت أصابعه وشعرت بروحها تهتاج بداخلها، كانت عيناه خاليةً من الغضب واللوم والكره.

"بس أنا ضعفت قوي بعدها وبقيت شخص مش كويس، وده مش عليكِي

على قَدّ ما هو عليا، كان ممكن أنصرف بطريقة ثانية خالص، بس أنا استسلمت." ابتسم ابتسامةً بسيطةً.

"طبعا أنا وصلت للتفكير ده بعد علاج نفسي خد كام سنة، بس أديني

وصلت."

"أنا السبب."

أوما برأسه.

"شوية، بس مش كل اللوم عليكِي، وانتي معذورة بنسبة كبيرة بسبب اللي

الكلب ده عمله."

لمعت عيناه غضبًا.

"أنا مش زعلان منك، لا على اللي حصل بينا ولا على الحادثة."

"أنا ماستاهلش ده."

سكت برهةً.

"لأ، مش هتحايل عليكِي يعني."

صدمها الردّ وصدرت منها ضحكةً كتمتها بيدها.

"الموضوع مش مضحك خالص، أنا آسفة."

"يا ستي."

هزّ كتفيه.

"ويعني الضحك هيخلينا أوحش؟"

"انت ازاي مش زعلان مني؟"

هزّت رأسها.

"انت ومامتك وهند."

"العلاج النفسي هناك غشيم شوية."

كيف كان يمزح معها بعد كل ما فعلته به وسلبته منه؟! كيف استطاع أن ينظر

لوجهها من الأساس؟

"رؤوف، انت فاكّر اللي حصل صح؟ انت فاكّر كل حاجة صح؟"

"بالتفصيل الممل، أيوة، الحادثة خدت حاجات كتير بس ذكرياتي زي الفل."

"طب انت بتهزر ازاي دلوقتي؟"

"ما مش هعيط أنا وانتي."

عبس وجهه.

"وقومي من ع الأرض، فيه إيه؟ ما الكرسي قدامك أهو."

قامت (نادين) وجلست سريعاً؛ فكانت تشعر بعدم الراحة وهي واقفة أمامه

وهو مقعد، ياليتها قد خسرت رجلها بدلاً عنه.

"سمعت عن باباك، البقاء لله"

أوماً برأسه.

"حياتك الباقية، عاش حياة كويسة والحمد لله عرفنا نجيبه وندفنه هنا."

"أكيد."

سكتت برهة.

"هند بتقولِي إنكوا رجعتوا خلاص؟"

"كده كده كان فيه كلام إني أنا وهي نرجع عشان الشركة اللي أنا فيها، كانوا

عايزيني آجى المقر اللي هنا وأمسك team جديد."

سيسكن في نفس مدينتها مجددًا على بُعد بضعة شوارع فقط، لم تستطع (نادين) أن تصدق الأمر، لقد رجح (رؤوف) بعد كل تلك السنين ولم يكن غاضبًا عليها، لم يكرهها، بالطبع لا يحبها ولكنه لم يكرهها، وكان ذلك كافيًا ليزيح حملًا لا بأس به من عليها.

"حلو."

"فهمت من هند إنكوا هتشوفوا بعض."

سكت برهة.

"أعتقد هنشوف بعض تاني."

أسرعت لتتحدث.

"لو ده هيضايقك مش هاجي هنا تاني، ممكن أشوفها في أي حته ولو متضايق

إننا نشوف بعض أصلًا."

"يا بنتي والله ما متضايق منك."

هز رأسه.

"لسة عنيدة زي ما انتي!"

لم تجد ردًا تقوله، لم تستطع أن تستوعب الموقف، لقد حاولت (هند) مرارًا أن

تطمئنها من تلك المقابلة ولم تصدقها (نادين)، بل أقنعت نفسها أنها كانت تقول

ذلك فقط حتى لا تهرب (نادين)، ولكنه جلس أمامها ولغة جسده كانت مسترخية

يظهر عليه الراحة، بترددٍ وبطءٍ شديدين بدأت تصديقه.

"طبعًا انتبي عارفة ماما هتمسك فيكي ومش هتخليكي تمشي من غير ماتتغدي."

تنهد (رؤوف) وطرق رقبته.

"احكي لي بقى، عملتي إيه الكام سنة اللي فاتوا؟"

جلست (مايا) مع أمها على الكنبه في غرفة معيشتهم يشاهدان فيلمًا ويأكلان بيتزا قد طلبها لهم (كريم)، جلس هو الآخر في كرسيّ بجانبهم يأكل شريحة وهو يرأسل أحدًا على موبايله، بالكاد استطاعت (مايا) أن تكمل شريحة واحدة وأمسكت كوبًا من مشروبها الغازيّ المفضل واحتست منه رشقاتٍ صغيرة.

انتهى الفيلم واستدارت أمها لها.

"طيب، فكرتي في كلام أخوكي؟"

أومأت (مايا) برأسها.

"هخليه يجزلي مع الدكتور بتاعته."

"هتبعي زي الفل إن شاء الله."

قالها (كريم) وهو يمضغ.

"مش شايفة أنا زي الفل ازاي؟"

"لسه هقعد أتكلم عنه."

تنهدت (مايا).

"ومامتي بتكلم باباه، طب أنا هبطل تفكير في الموضوع ازاي بجد؟"

"لو مضايقتك إني بكلم (يوسف) خلاص ممكن نبطل نتكلم."

هزّت (مايا) رأسها وربتت على ذراع أمها.

"مش هعمل فيكي كدة، كفاية اللي عملته."

ترددت (مايا) لحظةً، ثم حضنتها وقبّلت خدّها.
"أنا آسفة على كل حاجة، ربنا يخليكي ليا."
حضنتها أمها وربتت على ظهرها.
"ويخليكي ليا يا حبيبي."
سمعت (مايا) صوت التقاط صورة؛ فنظرت هي وأمها لـ(كريم).
"بتعمل إيه؟"
ارتسمت على وجهه ابتسامةٌ كبيرةٌ.
"بوثق اللحظة، هتعملي إيه دلوقتي؟"
تنهدت (مايا) واعتدلت في جلستها.
"هركز في العلاج وهحاول."
نظرت لأمها.
"عايزة أبقى أحسن عشان مابقاش زي بابا، وعشان أستاهل علي."
"انتي مش زي باباكي خالص يا(مايا)."
أزاحت أمها شعرها عن وجهها.
"وهتبقي أحسن يا حبيبي، وإن شاء الله كل حاجة تتحل."
أخذت (مايا) نفسًا عميقًا لتذهب بعضًا من خنقتها.
"يارب."

بعد ثمانية أشهر...

وجد (علي) أباه جالسًا في شرفتها يجتسي فنجان قهوة، تردّد على أعتاب باب الشرفة لحظةً ثم أخذ نفسًا عميقًا ودخل الشرفة وجلس على كرسيٍّ بجانب أبيه.

"بابا، عايز أتكلم معاك في حاجة."

"اتفصل."

"أنا قابلت أبو زينب وأنا بشتري شوية حاجات."

سكت برهةً.

"قعد يلّمحلي تاني."

"ما هو فاتحني في الموضوع امبارح برضه لما كنا قاعدين ع القهوة."

"طب إيه؟"

نظر إليه (علي).

"بفكر أتقدم وخلص."

وضع أبوه فنجانه على السور.

"ليه عايز تعمل كده؟"

هزّ (علي) كتفه.

"شكلها بنت كويسة، وأبوها بيزن وحاسس إنها مش هتنامع."

"فرق السن بينكوا كبير قوي، وانت طول عمرك ضد ده."

كان يقزّزه فرق السن بينهما، ولكنه لم يعلم ماذا يفعل، ربما لم تكن فكرة سيئة،

الارتباط بشخص ليس لديه تجارب سابقة بمشاكلها، ربما سيستريح إن فعل ذلك،

وكانت (زينب) ذكية وجميلة على حسب كلام الآخرين، ولكن لم يلحظ (علي) من قبل، والآن صار لا يلحظ أي شيء.

"مش عارف يا بابا."

"ماتتجوزهاش عشان تهرب."

ردّ أبوه وأمسك فنجانه مجدداً.

"مش هقولك تعمل إيه، بس فكر كويس."

أوماً (علي) برأسه.

"ماشي، هنزل شوية كده ومش هتأخر."

وقف ومسح وجهه بيده.

"عايز حاجة من برّه؟"

"سلامتك."

"يلاً سلام."

اتجه (علي) خارجاً ورأى (زينب) في الشارع وهو في طريقه إلى سيارته؛ فنظر بعيداً حتى لا يضطر أن يسلم عليها، لم يكن يعلم ماذا يريد، ولكنه أراد أن يشعر بأي شيء؛ فمنذ ستة أشهر وهو لا يستطيع أن يشعر بأي شيء، سواء فرحة أو حزن أو حتى غضب، ما بقي من طاقته استنفذها في عمله حتى لا يقلّ مستواه، وحتى لا يرجع مديره في قراره بأن يمنحه ترقيةً ويزيد من راتبه، كان عمله هو الشيء الوحيد الجيد في حياته وهو الذي أعطاه إحساساً بالاستقرار كان في أشدّ الحاجة إليه، ركب (علي) السيارة وتجاهل طيف رائحة عطر (مايا) الذي باغته كلّما دخلها، تجاهل نغز قلبه وأدارها وتحرك، لم تكلمه ولا مرة منذ يوم الحفلة، ولم يكلمها هو الآخر، لم يكن هو الطرف الذي لا بد وأن يبدأ، ومع مرور الوقت تعود الوحدة وتعود عدم وجودها، أو أقنع نفسه بذلك على الأقل، تعود أن يدفن نفسه في العمل كلما تذكرها؛

حتى بات يفعل ذلك طوال الوقت لكي يتفادى حتى فرصة تذكرها، وبدأ يسهر في المكتب يأخذ شغلاً أكثر فأكثر، وأحياناً يذهب في عطلته الأسبوعية إذا سمح له مديره، تفادى المرور بجانب مكتب أمها أو الذهاب لطاقتها من الأساس، كان يشيخ بنظره إذا رآها في أحد الأروقة أو الكافتيريا ويسلمّ سلاماً بسيطاً إذا تلاقى أعينهما، لم يرجع لأيّ من الأماكن التي كانا يعتاداها هو و(مايا) ما عدا سطح بيته، ولكن الوحدة ظلت تطرق بابه ولم يجد ما يُشغله في منتصف الليالي وهو جالس في سريره مع رفيقه الليلي "الأرق"، يعلم أنه ليس سبباً صحيحاً أن يتزوج إحداهن وأنه على الأرجح سيظلّهما إن فعل ذلك وهو في حالته تلك وهو حيّ لفظاً فقط، لم يكن لديه أيّ شيء يعطيه؛ فستتزوج (زينب) أو غيرها من طيف شخص لم يعد موجوداً.

وصل (علي) مكانه المفضل الجديد، ووجد ركنة على بُعد بضعة أمتار، لم تكن المعادي من الأماكن التي ارتادها كثيراً؛ فلم تكن معتبةً بالذكريات مثل غيرها من الأماكن، سار حتى وصل للكافيه الصغير بواجهته البيضاء واسمه الأسود، وأنجبه للداخل حتى يطلب مشروبه ويجلس خارجاً، لم يكن الطقس حاراً جداً اليوم وما زال اليوم في تلك الفترة ما بين الصباح والظهيرة، وكان النسيم به بعض البرودة، خرج (علي) فوجد مائدة شاعرة وجلس عليها ينتظر مشروبه، أخرج من جيبه علبة السجائر وأشعل واحدة وأخذ نفساً عميقاً زفره ببطء، وحاول أن يُخلي عقله من كلّ الأفكار ويجد بعض السكينة والهدوء، جاء النادل بمشروبه وأضاف (علي) بعض السكر للإسبريسو، ارتشف منه وأخذ نفساً آخر من السيجارة، أخرج سماعته من جيبه وأمسك بهاتفه ليستمع لبعض الأغاني وهو يتصفّح الفيسبوك، داعبت أذنه موسيقى الجيتار وشعر ببعض الهدوء يغمره، منذ أن سمعها في تلك الحفلة منذ سنة تقريباً وهو يحب تلك الأغنية وقد التحمت ذكرى (مايا) بها، جلس يستمع ويدخن

ويحتسي قهوته، سرح في الموسيقى والكلمات ولم يلحظ اقتراب أحدهم منه، فقط شعر بالربطة على كتفه، شد الساعاتين من أذنيه ورفع نظره ليرى من قد جاء؛ فهجرتة نفسه وتعثر قلبه في النبض، ابتسمت له ابتسامة مرتعشة وكان شعرها مرفوعاً عن وجهها وظهرها في كعكة أعلى رأسها، لبست بنطالاً قطنياً رياضياً رمادياً وحذاءً رياضياً والهودي القديم الذي قد أعطاها إياه، كان وجهها خالٍ من التبرج، فقط خطّ كحلٍ خفيفٍ حول عينيها أبرز تلك العينين اللتين سكتتا بمخيلته وراوداه سواءً في يقظته أو منامه، غمره الاشتياق وألثهم بعينه رؤيتها لكي يحتفظ بتلك الذكرى ويضيفها لمخزونه.

"علي!"

اهتاجت روحه لصوتها وهي تقول اسمه.

"أزيك؟"

"تمام."

سكت برهة.

"وانتي؟"

"الحمد لله."

أشارت بيدها على مائدةٍ وراءها عليها لابتوب وكوبٌ أبيض كبير.

"كنت قاعدة بشتغل وشوفتك، حببت آجي أسلم عليك."

لم يأت في ذهنه ردٌّ يقوله؛ فأوماً برأسه ولم يستطع أن يُنزل عينيه عنها، كانت تبدو كشخصٍ آخر تماماً؛ بدا عليها النضج وبعض من الهدوء، وإن كان قد ظهر عليها بعض التوتر من صمته، وثنت خِصلةً هاربةً من ربطة شعرها خلف أذنها.

"كنت هكلمك قريب."

انعقد جبينه.

"ليه؟"

"كنت عايزة أتكلم معاك شوية."

أشارت إلى الكرسيّ الشاغر على مائدته.

"ينفع أقعد؟"

لم يكن بإمكانه أن يجرّجها فأوماً برأسه وجلست، خفق قلبه في صدره بسرعة، ولكنه تمكن من إخفاء أيّ شيءٍ من الظهور على وجهه.

"كتّبي عايزة تتكلمي في إيه؟"

تردّدت (مايا) وزفرت نفسًا وضحكت.

"بقالي شهور برتب الكلام اللي عايزة أقوله وكله طار من مخي."

ظّل (علي) صامتًا ليعطيها وقتها ويحاول جمح آماله التي اجتاحتها.

"طيب."

أومات برأسها.

"مبدئيًا أنا مش هحاول أبرر أيّ حاجة حصلت، مش هحاول أبرر ولا تصرف غلط عملته قبل كدة عشان ولا واحد فيهم له تبرير، أسطوانة إني طالعة من بيت مفكك وعندي (daddy issues) واللييلة دي كلها هبعد عنها عشان مالهاش لازمة."

سكتت برهة لتلقظ أنفاسها.

"هو أصلًا أنا مش عارفة انت مهتم تسمع ولا لأ بس هقول وخلاص."

لم يُبدِ اهتمامًا أو نفورًا، وتوترت (مايا) من صمته وخلوّ وجهه من أيّ تعبير، شيءٌ ما بداخله ترجاه ألاّ يُصعّب الأمر عليها، ولكنه أسكته، لماذا وجب عليه تسهيل الأمور لها بعد خيانتها له وعدم اتصالها به كل تلك الأشهر؟ ربما لم تكن ستتصل به فقط أرادت انتهاز تلك الصدفة.

أكملت (مايا) حديثها:

"أنا بقالي شهر بروح لدكتوراة نفسية وبقيت أحسن بكتير الحمد لله، علاقتي أما ماما اتحسنّت واشتغلّت ومركّزة في شغلي، وعلى حسب كلام مديري أنا شاطرة فيه، قطعت مع كل بتوع الجامعة وماكلمتهمش من ساعة.. اليوم ده." عبس وجهها.

"ثانية واحدة."

قامت وذهبت لمائدتها وجلبت كوبها وعادت، احتست منه ثم أكملت:

"ليه أنا بعمل كل ده بقى؟ دلوقتي لو حد سألني السؤال ده هقوله إني بعمل ده عشان نفسي، وعشان أستاهل إني أبقي كويسة وحياتي تبقى صحيّة، بس ده ماكانش السبب في الأول خالص، اليوم اللي بعد الحفلة كنت بتكلم مع ماما وقولتها إني ماستاهلكش وإن انت تستاهل حد أحسن."

آلمه قلبه لكلماتها وانقبض صدره، حسناً لقد وجدت الوقت والطاقة لتحسن من نفسها بعدما انتهت علاقتها بينها هو كان مدمراً وبلا حياة، ماذا كانت تريد منه الآن؟ أن يهتئها على اجتيازها المحنة التي أوقعت نفسها فيها؟ هي من تسببت في تلك الخسارة وليس هو، وهي من لم تحاول إرجاعه حتى الآن، بغض النظر عن احتمالية قبوله للرجوع من عدمها، لماذا كانت تجربته بكل ذلك؟

"ردّت عليا ماما وقاتلتني يبقى اللي أنا محتاجة أعمله إني أبقي شخص أحسن يستاهلك، وده اللي بحاول أعمله من ساعتها، طبعاً وارد جداً تكون نسييتي أو حبيت حد تاني أصلاً، بس ده مايمنعش إني كنت هجيلك وأقولك الكلام ده." رفعت نظرها إليه.

"أنا مانسيتكش يا علي، ولا يوم عدى عليا من غير ما أفكر فيك، مفيش يوم عدى من غير ما أعاتب نفسي ع اللي عملته، بس لو فضلت في الحتة دي من غير ما

أسامح نفسي عمري ما هتغير وعمري ما هستاهلك، لسة جزء مني ماسامحنيش ع اللي عملته، وشغالة دلوقتي على حته إني أعاتب نفسي بس أحبها برضه؛ عشان أبقى شايفة إني أستاهل أبقى أحسن، كنت هكلمك لما كل حاجة تكون اتحلت وأشوف انت ممكن تبقى متقبّل فكرة إنك تديني فرصة تانية ولا لا."

كان أول ردّ فعلٍ خطر في باله أن يكون هجوميًا ويجرحها وهي ضعيفةٌ وواضحةٌ أمامه ولديه ما يكفي ليجرح ويترك أثرًا سيظلّ معها وقتًا طويلًا، أراد أن ينتقم منها لما فعلته ولما سببته من ألمٍ وتشكيكٍ في النفس وللضربة التي صوّبتها في ثقته بنفسه، ولكن صوتًا ما بداخله حثّه ألا يفعل ذلك؛ لأنه سيكون مثله مثل غيره الذين طالما انتقدهم على تجريحهم للطرف الآخر عندما تنتهي العلاقة، كانت قد جاءت لتتأسّف وتخبره أنها تفعل كل ذلك من أجله؛ لذا فأقل شيءٍ يستطيع فعله هو أن يحترمها ولا يجرحها.

"أكيد حاجة كويسة إنك بقيتي أحسن."

ردّ ببطءٍ.

"أنا مش بتمناللك أي حاجة وحشة، ولا عمري اتمينتلك ده، فكويس إن كل

ده حصل."

ظلّت تحدّق به منتظرةً أن يستكمل كلامه، هل كانت تنتظر منه أن يخبرها أنه قضى الشهور السابقة ينتظر عودتها؟ لأنه لن يفصح بذلك، قدر كلامها له لأنه كان يعلم أن التعبير عن مشاعرها ووضع نفسها في موقفٍ ضعفٍ كهذا كان من أصعب الأشياء التي قد تفعلها (مايا)، ولكنه لم يكن كافيًا ليجعله يرضى بتلك السهولة، كان (علي) صريحًا مع نفسه في نقطة أنه ما زال يحبّها، وأنّ جزءًا منه انتظرها كل تلك الشهور، ولكنه لم يكن يعلم إن كان سيستطيع تحطّي الأمر أم لا؛ فلم يكن ما فعلته قليلًا.

"انتي ليه روحتي الحفلة؟"

جفلت واحتست من كويها.

"طول عمري فاكرة إني طالعة لبابايا، وبعد اللي عرفته عنه اليوم ده كرهت نفسي، شوفت قد إيه أنا شخص أناني وسطحي وبأذي الناس وقد إيه كنت بأذيك."

سكتت برهة.

"يوم ما جيت انت وباباك لبابايا الفيلا وحصل اللي حصل، كنت مرعوبة من كتر ما أنا كنت موجوعة وخايفة الموضوع يبوظ، خوفت من قوة مشاعري؛ فلجأت للحاجة اللي كنت بعملها كل ما أحتاج حاجة تلهيني."

مسحت وجهها بيدها ولاحظ (علي) ارتعاش يدها.

"كلمت الولد اللي شوفتني معاه في الحفلة وحصل بينا حاجة عالتلي-"

"يعني دي ما كانتش المرة الوحيدة؟"

خفض من صوته وقلل من حدته عندما فزعت.

"يعني حصل حاجة بينكوا وماقولتليش وكملتني معايا عادي؟"

"حصل."

أومأت برأسها وامتلات عينها بالدموع وآله قلبه من المنظر.

"وكرهت نفسي وحصلي اللي حصل بعدها لما ماما كلمتك وجيت، لما عرفت اللي بابايا عمله واتأكدت إني طالعاه فعلاً، وكنت لسه قايلي قبلها إني أنانية، كرهني لنفسني زاد وحسيت إني ماستاهلش غير القرف ده، وإنك هتسييني كده كده بسبب كل اللي شوفته مني واللي عرفته عن عيلتي، روحت الحفلة وشربت كثير وهو بدأ يلმسني."

نشجت وأخفت وجهها، اعتصر قلب (علي) في صدره وانقبض حلقه، كان يريد أن يأخذها بحضنه ويميها، لم يردها أن تبكي أمام الناس.

"استني."

قام وذهب لمائدتها ولملم أشياءها ورجع إليها.

"تعالى نقعد في العريية نتكلم، بلاش هنا."

أومأت (مايا) برأسها ووقفت، وكانا قد دفعا ثمن المشروبات بالداخل عندما طلبها، أخذت منه حقيبتها واللابتوب وأخذ هو علبة السجائر والهاتف وتبعته للسيارة، فتح لها الباب ومشى لبابه، لن يتخلص من طيف عطرها في أي وقت قريب، دخل السيارة وقفل بابه، كانت (مايا) قد هدأت قليلاً ولم يردها أن تبكي مجدداً.

"مش لازم تقوليلى حصل إيه لوده هيضايقتك."

"علي، أنا لوقت طويل قوي كنت فاكرة إن ده كل الي عندي أقدمه لأي واحد

مصاحباه."

تنشقت وزفرت نفساً عميقاً.

"عمري ما كان عندي موهبة ولا مثقفة ولا ليا في أي حاجة، هجذب اهتمامهم

بإيه تاني؟"

"يعني مثلاً إنك روحك حلوة وبتدي طاقة إيجابية للناس؟"

هز رأسه.

"مايا، أنا من ساعة ما عرفتك وأنا شايف فيكي حاجات حلوة كتير انتي أصلاً

ماكتيش شايفها، بتعرفي تضحكي الي قدامك، ولو كتتي بس اهتيمتي بالناس

الصح وماكتيش خايفة تبيني ده كتتي هتبي زي الفل، أنا ماكتتش عايز منك

جسمك، أنا كنت عايزك تهتمّي وتثقي فيا وتبقي بطبيعتك، بس."

"أنا كنت بخاف أعمل كدة."

سالت دموعها مجدداً.

"أنا كنت حاسة حاجات كثير قوي ليك وكنت خايفة أتوجع بسببها."

"فتوجعيني أنا!"

"قولتلك مَفِيش أَعذار."

أوماً برأسه.

"بس ع الأقل عرفتي غلطك وبتحاولي تصلحي من نفسك عشان ماتعمليش

نفس الغلطة مع حد تاني."

جفلت من كلمته الأخيرة، وتحدثت بصوتٍ قد لكم منه النفس.

"حد تاني؟!!"

لماذا قال ذلك؟ لم يكن يريد لها مع أحدٍ آخر؛ فلماذا قال ذلك؟! أكان يحاول أن

يُبِعدها عنه فقط ليرى إن كانت تهتم به حقاً؟ أكان يختبر حبها له؟ وإن كان يفعل

ذلك، ألم يكن هذا من حقه بعد ما عانى منه على يديها؟

"مايا!"

تنهَّد اسمها.

"انتي متوقّعة مني أقولك إيه؟ بغض النظر عن أنا ممكن أكون حاسس إيه

ناحيتك، بس متوقّعة مني أقول وأبين إيه؟"

أومات برأسها.

"فاهمك، أكيد مش هتتين أيّ حاجة كويسة حتى لو حاسس بيها، وحقك

عامّة؛ عشان أنا عمري ما بيتتلك أنا حاسة إيه تجاهك وخليتك تحاول تخمّن، أنا

كنت بخاف أبين بس..."

"تبيني إيه؟ إنك كنتي بتحيني مثلاً؟ ده انتبي ولا مرة قولتيهالي وماكنتش ببقى
عايز أطلبها عشان كرامتي أولاً، ثانيًا عايزها تيجي منك، وفضلت مستني وأقول
لنفسى إنك خايقة بس هتيجي وبعدين ده حصل."

زفر نفسًا وأسند رأسه على ظهر كرسيه.
"أنا فاهم انتبي عملتي كده ليه، أو فاهم كل الحاجات الي اتسببت في تفكيرك
ساعتها، بس هتقدري برضه إني مش قادر أعديها."
"أنا عارفة."

مدّت يدها وشدّتها للوراء في لحظتها، كأنها نسيت أنه ليس من حقها أن تلمسه
الآن، وثار جزءٌ بداخله غضبًا وحزنًا على لمسةٍ أخرى منها ضاعت.

"أنا عارفة إنه مش سهل، ومش بقولك ترد عليا دلوقتي، لو عايز ترفض
وعايزني ماحاولش أكلمك تاني هحترم ده لو الموضوع اتقفل خالص بالنسبالك،
لكن لو محتاج وقت تفكر فهستناك يا علي."

"على افتراض إن الموضوع بالنسبالي ماتقفلش، برضه مش هبقى عارف أقولك
هياخد مني وقت قد إيه."

"مش مهم."

هزّت رأسها ورأى هو بعينيهما صدقًا ومشاعر أخرى كثيرة قبضت على قلبه
الذي لم يرجع للملكه منذ أن قابلها.

"هستناك برضه."

"ليه؟"

ظلّت تنظر له فترة، وسمع (علي) أنفاسها المتسارعة وخفق قلبه ترقبًا حتى
نبض جسده كله، أخذت نفسًا عميقًا ولم تُطلقه وهي تتكلم.

"عشان بحبك يا علي."

زفر النفس الذي كان قد كتّمه وخرج منه مرتعشًا.
"بحبك من ساعة الحفلة اللي خدتني ليها من سنة، ولسة بحبك لحد دلوقتي،
والموضوع ماقلش ولا لحظة واحدة، وهفضل أحبك يا علي؛ عشان أنا مش هلاقي
زيك تاني، ومهما قابلت مش هيبقوا انت."

سالت من عينه دمعّة وآله قلبه الذي قد انتظر كلماتها تلك.
"ماقولتيش الكلام ده من بدري ليه يا(مايا)؟"
رفعت يدها المرتعشة ببطء، ووضعت كفها على خده ومسحت بإبهامها دمعته
تلك.

"أنا آسفة."

حاول أن يستمع للأصوات بداخله، هل يأخذ وقته ليفكر ويحدد إن كان
سيستطيع أن يثق بها مجددًا إن كان صادقًا مع نفسه؟ يعرف أنه لا يحتاج لهذا الوقت
ليحدّد إن كان يحبها أم لا؛ لأنه لم يشكّك في ذلك يومًا حتى بعد ما فعلته، وإن
استمع لحدسه فسيجد أنه يؤكد له أنها صادقةٌ ولن تجرحه مجددًا، جلست أمامه
(مايا) غير التي عرفها منذ ثمانية أشهر، جلست أمامه الآن (مايا) الحقيقية المتجردة
من كلّ ما احتمت به، جلست أمامه (مايا) بلا أسوار، ألم يكن هذا ما قد انتظره ما
يقرب سنة؟ حسنًا، سيدع حدسه يُملي عليه ما يجب فعله الآن.

"ماشي يا(مايا)."

نظر إليها وأوماً برأسه.

"مش هقولك نرجع ونجرب، مش جاهز إننا نرجع، بس ممكن نرجع نتكلم
على الأقل."

لم تستطع إخفاء الأمل والفرحة من عينيها.

"تمام، نتكلم عادي، أعتقد حصل حاجات كثير الفترة اللي فاتت محتاجين نتكلم فيها."

سكتت برهة.

"بس.. انت مَفيش حد في حياتك دلوقتي؟"

"ولو كان فيه؟"

حلّ الانكسار على وجهها، وأراد (علي) أن يلکم نفسه على رده، امتلأت عيناها بالدموع مجدداً ووجد نفسه يمسك بيدها.

"مَفيش حد، مَفيش غيرك."

أومأت برأسها ونظرت بعيداً.

"هطلب منك طلب، بس ممكن يبقى مش من حقي، بس هطلبه عشان أنا عارفة هستحمل إيه ومش هستحمل إيه."

صوّبت نظرها له مجدداً، ورأى أن شفتها كانت ترتعش وفي عينيها خوفٌ وانكسارٌ اخترق قلبه.

"لو هتفضل تلقح بالكلام وتحاول تجرح فيا يبقى بلاش نتكلم ولا نحاول؛ عشان أنا عملت ده في نفسي كثير وقبلت تصرفات مهينة كثير، وعاقبت نفسي ع الكلام ده كله؛ فمش يبقى انت كمان عليا."

شرعت في البكاء، ومال (علي) عليها وضمّها إليه.

"بس، اهدي."

مسح بيده على ظهرها.

"أنا مش هعمل كدة، مش أنا يا(مايا) اللي أعمل كدة، ومش فيكي."

ظَلَّ يحتضنها برهةً حتى شعر بها تهدأ، رجع للوراء ونظر إليها.

"بس عايزك تبقي واضحة معايا وأنا مش هجرحك بأي كلمة وفعل لو بيتتيلي اللي جواكي مهما كان هو إيه، أنا من ساعة ما عرفتك وأنا قابلك زي ما اتيتي، هياخذ مني وقت إني أرجع أبين وأقول، وساعات ممكن تلاقيني ببعد شوية، بس عمري ما هرمي كلمة أو أجرحك، ماشي؟"

أومأت برأسها:

"ماشي."

"اتفقنا."

ظَلَّ وجهها منطفئًا ولم يتحمل ذلك.

"نروح نقعد على قهوة ونرغي شوية؟"

ارتسم على وجهها ابتسامة أزالَت الغيم عن روحه، وكان وجهها هكذا وهو يتّضح عليه كل ما دار برأسها، أجمل ما رأته عينه.

"ماشي."

"ماشي."

أدار السيارة ورجع للوراء حتى يتّجه لإحدى مقاهيها المفضلة، جلست (مايا) تنظر من نافذتها ويدها على الكرسيّ بجانبها، بعد تردّد دام بضع لحظاتٍ فقط، مدّ (علي) يده وأمسك يدها.

"اتفضل يا سيدي."

خرجت (نادين) إلى شرفة منزل (رؤوف) وأعطته كوب نسكافيه.

"النسكافيه بتاعي العادي خالص الي انت مصمم إنه أحسن من غيره."

"بجاملك."

ردّ عليها (رؤوف) وأخذها منها، جلست (نادين) على كرسيّ بجانبه واحتست من كوبها هي.

"عشان تفضلي تعمليهولي، هند وماما بيفكسوا."

"طب ما تعمله لنفسك؟"

"ما أنا بعمله نفسي لما بتبقي مش موجودة."

"استعباد بقى."

"معلش."

قد نما عنده حسّ فكاھيّ تهكميّ أحبته (نادين) جدّاً، وأحبّت قضاء الوقت معه حتى وإن جلسا يتبادلان المزاح هكذا فقط، كانت تقابله على الأقلّ أربع مراتٍ في الأسبوع، وكانا يتحدثان يومياً منذ أن رأته من ثمانية أشهر، كان ما زال به بعضُ من شخصيته القديمة مما قبل إرغام (نادين) له على فعله، ولكنه كان به ثقة بالنفس أكثر، ونضح وانجذبت (نادين) لهذا كثيراً.

لقد تحدّثا عن كلّ شيءٍ، وفرح (رؤوف) عندما أخبرته بما فعلت في (عاصم)، أخبرته عن الحياة التي قادتها منذ فراقهما، وكيف كانت تحاول أن تحدّث من فعل أشياء تدمر صحتها، ما زالت تخرج مع أصحابها وتدخن وتشرّب، ولكنها قللت كلّ ذلك لمعدّلٍ طبيعيّ، وقضت وقتاً أكثر في "الجيم" هي و(ملك) بجانب ذهابها للسينما والتسوق وغيرها من الأنشطة التي بدءا يفعلها معاً، حدّثها (رؤوف) عن أولى سنواته في ألمانيا والعمليات والعلاج، كان قد ربّ ذراعاً صناعياً منذ أن وصل هناك، وكان ذراعاه ذلك أجدد ما كان يوجد في السوق بسعرٍ متوسط، أمّا رجلاه فهو لم يشعر بهما ولم تنجح العمليات في إصلاح ذلك الأمر، لم يكن قد صارحها بأيّ شيءٍ، وكان معظم كلامه معها تهكميّ أو بعيد عن ذلك الموضوع، ولكن أحياناً عندما كانا يتحدثان على الهاتف تجد (نادين) أن صوته قد لان ويقول لها آيةً مجاملةً

تجعلها تبسّم ويحمر وجهها كمرآهة في مدرسة، أمّا هي فلم تكن تقول له مثل تلك الكلمات، ولكنها حاولت أن تُظهر له اهتمامها بطرقٍ مختلفة؛ فتحضّر له أحياناً طعاماً أو شراباً؛ فمرةً كان يريد أن يقصّ شعره ولم يرد أن يبحث عن حلاقٍ؛ فقصّت له شعره وحركت أصابعها في خصلاته، ورأت على وجهه ابتسامةً حركت روحها، ومرةً دعتّه عندها وقد حضرت له عشاءً فاخراً، وجلسا في شرفتها يأكلان ويحتسيان زجاجةً نبيذٍ قد أحضرها لها، جلست بجانبه الآن في صمتٍ يحتسيان النسكافية ويستمتعان بالطقس الجميل والنسيم البارد بعد صيفٍ عنيفٍ جدّاً، شعرت (نادين) فجأةً بعينيّه عليها، ونظرت إليه فوجدته يتفقدّها بنظرةٍ جعلت قلبها يخفق بشدةٍ.

"إيه؟!!"

ابتسم لها وأزاح شعرها عن وجهها.

"قولتلك إن عاجبني اللون؟"

"بجد؟"

ابتسمت له هي الأخرى.

"مامتك مش عاجبها خالص."

"لأ، حلو ولايق عليكي."

"بتجاملني برضه؟"

ضحك وهزّ رأسه.

"لأ، بجد."

"شكرًا."

مدّت يدها وعدلت من خصلاته.

"وانت شعرك حلو برضه بعد ما طوّلته عن زمان."

أدار (رؤوف) وجهه وقبّل كفّها، تعثّرت نبضاتها واحمرّ وجهها، أمسك (رؤوف) بيدها ووضع يديهما على مسند كرسيّه، نظر بعيداً عنها، وانعقد جبينه قليلاً.

"نادين، انتي عارفة إني لسة بحبك، صح؟"

هربت أنفاسها وتلعثمت وهي ترد:

"يعني.. ماكتتش عايزة أفترض."

"بحبك."

نظر إليها وكان جبينه ما زال منعقداً.

"مفيش افتراضات."

"وأنا كان بحبك."

انسالت من لسانها وكأنها أسهل شيء يقال، وكانت أصدق كلمة قالتها في حياتها.

"أكيد انت عارف ده."

أوما برأسه.

"أنا هكمل حياتي في الكرسي."

فهمت سبب عبوسه.

"رؤوف!"

قرّبت كرسيّها منه.

"ده مش فارق معايا وماجاش في بالي أصلاً."

"ورجليا بس اللي فيها مشكلة."

احمر وجهه وآلمها قلبها لخنجله منها.

"عشان تبقي عارفة بس."

"أنا عايزاك انت."

حدّق بعينيهما وارتاح قليلاً عندما رأى فيهما حقيقة ما كانت تقوله.

"وأنا عايز أكمل حياتي معاك، مش عايز أضيع وقت أكثر من كده."

صمتت (نادين) وحدّقت به، أكان يعني...؟ لا، بالطبع لم يعن ما خطر ببالها، لماذا قد يريد ذلك؟! كانت تسكن بمفردها وهو يعلم أنها ليست بنتاً تحاول أن تحافظ على نفسها.

"مش فاهمة قصدك."

دحرج عينيه وارتفعت ناحية من شفّتيه سخريّة.

"إيه الجلو القديم ده، عايز أتجوزك يعني هيكون قصدي إيه؟"

ضحكت (نادين) وهزّت رأسها.

"ده أوحش (proposal) شوفته في حياتي."

سكت برهة ثم حرّك كرسيّه ليواجهها وأمسك يديها.

"نادين، أنا بحبك من ساعة ما كنا عيال صغيرة، وماحبّتش حد غيرك ومش هحّب، حتى لما الدنيا باظت ما بينا كنت لسة بحبك، وبعد ما عملت الحادثة ماكنتش بفكر في حاجة غير إني بحبك، وطول ما أنا مسافر ماعرفتش أرتبط بواحدة هناك؛ عشان ماكنتش عارف أنساكي وماكنتش بحاول أصلاً، انتي ماتتنسيش يا(نادين)، بحبك، اتجوزيني."

ابتسمت (نادين) كما لم تبّسم منذ مدة، وسالت دموعها وأومات برأسها:

"ماشي."

بعد عامين...

وقفت (ملك) مع (مايا) التي قد عقدت أصابعها معاً، وظلّت تهزّرجلها.

"لأ، إيه بجد التوتروه فيه إيه؟"

"كنت زيك كده بالظبط."

سكّنت (ملك) برهتة.

"لأسباب تانية خالص، بس فاهماكي."

نظرت (مايا) إليها بعينين مذعورتين.

"أنا جاهزة، صح؟ قوليلي إني جاهزة."

"انتبي جاهزة."

وضعت (ملك) يديها على كتفيّ (مايا).

"مايا، مَفِيش حاجة تُخوّف، ماشي؟ (علي) مش باباكي."

ضحكت (مايا) بسخرية.

"لأ، هو أنا اللي ممكن أطلع زيه."

شدّدت (ملك) من قبضتها قليلاً، ورمقتها بنظرة جدية.

"انتبي مش زيه، عمرك ما هتبقي زيه وماحدش فينا هيسمح بكده، ماشي؟"

زفرت (مايا) نفساً طويلاً وأومات برأسها.

"ماشي."

ابتسمت لها (ملك) وأنزلت يديها.

"زي القمر يا حبيبتني."

"ظبّطي البوفيه ده يا حسين، التراييزات مش معدولة، ماتحلينيش آجي أعدلها."

صاحت (نادين) بأحد العاملين ووجهها مُتجهم، ثم نظرت (ملك) و(مايا) وابتسمت ابتسامَةً واسعةً.

"عروستنا، إيه الأخبار؟ أم العروسة، العروسة عاملة إيه؟"

"أهوزي ما انتي شايفة."

نظرت (ملك) لـ(مايا).

"يا حبيتي والله ماتقلقيش، شكة دبوس."

اعتلى وجه (نادين) نظرةً مشاكسةً.

"يعني!"

"اخرسبي يا(نادين)."

قاطعتها (ملك).

"مايا، انتي فاهمة قصدي."

ضحكت (مايا).

"فاهمة قصدكوا انتوا الاتنين."

وهمست (لنادين) بشيء ما عن عدم الإنصاف في المقارنة بدبوس.

"اخرسوا انتوا الاتنين."

ضحكت (ملك).

"نادين، هنخش امتي؟"

أخرجت (نادين) من جيب فستانها الذهبيّ المرصع هاتفها وتفقدت الوقت،

كان بكّمين كاملين ويصل إلى ما فوق ركبتيها ببضع السنتيمترات، سألها (كريم)

عندما رآها منذ قليل إن كانت ترتدي فساتين سهرة في كل الأفراح التي تنظمها، وأخبرته أنها أحياناً كانت تذهب بجينز وحذاء رياضي.

"حالا، اجهزوا."

بدأت (مايا) في أخذ أنفاسها سريعاً، وتركتهما (نادين) حتى تخبر فرقة الزّفة لتبدأ، سمعت (ملك) و(مايا) الموسيقى تبدأ من الداخل، وقبضت (مايا) على يدها.

"ماتيجي نمشي؟"

"اهدي بقي، إيش كان ماكتوش بتحبوا بعض واتشقلبتوا عشان الشقة تجهز

في الوقت ده."

"بحبه والله، بس خايفة."

"هندخل دلوقتي وهتسني كل ده."

بالفعل، فُتِح باب القاعة وغمرت بها الموسيقى، تشبّثت (مايا) بذراع أمّها

وأومات برأسها:

"يلا بينا."

خَطَّت (ملك) للأمام وبجانبها (مايا)، لمحت (كريم) يقف ويصوّر (مايا) وبجانبه (سام) يصور (علي) لحظة رؤيته لـ(مايا)، وذلك كما أمرته (مايا)، نظرت (ملك) لابنتها وقد اعتلت على وجهها ابتسامة لم يسعها وجهها وعينيها على عريستها، امتلأت عينا (ملك) بالدموع وارتسمت على وجهها ابتسامة كبيرة، نظرت حولها ولمحت (يوسف) وقد امتلأت عيناه هو الآخر بالدموع، لاقى عينيها واتّسعت ابتسامته، لاحقاً ستجلس معه لاحقاً، ويتبادلان الكلام الذي كانا يريدان قوله.

وصلت (ملك) و(مايا) إلى (علي)، ولم يسع وجهه أيضًا ابتسامته، مدّ يده وأمسك بيد (مايا) وصوّب نظره لـ(ملك).

"هشيلها في عينا."

"تسلملي انت وعيونك."

تلفّنت (لمايا) وقبّلتها على خديها.

"مبروك يا فرحة عمري."

"الله يبارك فيكي ويخليكي ليا."

تركت (ملك) يد (مايا) الأخرى التي أسرع (علي) في إمساكها، ذهبت لتقف بجانب (يوسف) الذي كان يصوّر (علي) وهو يقبل جبين (مايا) التي انتظرت حتى فعل ذلك، وكانت هذه صورة العروس الحجلة الهادئة -حتى بدأت الموسيقى-، وهنا تحوّلت ابتها تمامًا.

ضحك (يوسف) بجانبها.

"أول مرة أشوف (علي) بيرقص."

"أنا مش باخد (مايا) أفراح عشان ماتفضحنيش."

"يا ستي، سيبها تفرح."

كانت قد أوصت (كريم) أن يصوّر الزّفة هو أو (سام) حتى تستطيع هي أن تحضر اللّحظة وتشاهد فرحة ابتها وابن الرجل الوحيد الذي قد أحبته بحق.

"ولادنا كبروا وكبرونا"

"كبروكي إيه بس؟! "

ضحك (يوسف).

"طب والله حد من قرابيننا افتكرك أخت العروسة."

"هنبتدي نجامل بقى."

استمرت الزفة ووجدت (ملك) نفسها فجأةً ترقص مع (مايا) و(علي) و(يوسف)، وانضم لهم (كريم) و(سام) و(نادين) التي تركتهم بعد بضع دقائق حتى تذهب لزوجها (رؤوف)، جلس على مائدة بعيداً عن الحشد ورقصت معه وهو على كرسيه، حتى شدّها (رؤوف) لتجلس على رجله واختطف قبلةً قبل أن تدفعه بعيداً وهي تضحك، لقد فرحت (مايا) لهما عندما أخبرتها (نادين) بخبر خطبتها، وحضرت عقد قرانها في بيت (نادين) حيث سكناهما الاثنان، والآن تفرح بـ(مايا) التي حظيت بفرصة ثانية مع حبيبها ولم تُضعها من يدها، بدأ أفراد فريق الزفة في الانسحاب، وأعلن عن رقصة العريس والعروس الأولى، نظرت (ملك) لابنها ورفع هاتفه ليؤكد لها أنه كان يصور، رجع الجميع لموائدهم، وجلست (ملك) على نفس المائدة مع (نادين) و(رؤوف) وقد اختفى (يوسف) في ناحية عائلته من القاعة، بدأت الأغنية وقد أخبرتها (مايا) أنها قد رقصت مع (علي) على سطح عمارته على تلك الأغنية عندما طلب منها أن يتزوجها، وأنه قد شغلها مجدداً عندما طلب منها ذلك للمرة الثانية، وأخذها (علي) بين ذراعيه ولمعت عينها حباً.

لّفها (علي) بعيداً، ثم شدّها إليه ولفّ ذراعيه حول خصرها، رأت في عينيه حباً لم تر ولن ترى مثله مجدداً، ونبض قلبها بحبها له.

"بحبك."

أُتسعت ابتسامته وأسند جبينه على جبينها.

"وأنا بحبك أكثر من أيّ حاجة في الدنيا."

قبّل رأسها.

"قولتك هتجوزك."

"وأنا كنت واثقة فيك."

ابتسمت له:

"انت أحلى حاجة في حياتي يا علي، أحلى حاجة حصلتلي وأحلى حاجة ممكن

تحصللي."

سكت (علي) برهة.

"يلاً مابدهاش بقي."

وضمها إليه وقبلها أمام الجميع، وضحكت (مايا)، ولفت ذراعها حول عنقه لتصفيق الجميع حولها، كانت جاهزة لبداية حياتها الحقيقية معه، هو من أحيائها وأعادها لنفسها.

"أحنا رايجين فين؟"

تبعته (ملك) (نادين) التي كانت تشدها من يديها وتوجهه للستار الذي كان خلف الكوشة.

"حاجة بس عايزة أظبطها معاك، والعيال لسة بيرقصوا قبل ما تتشغلي."

شدتها (نادين) وراء الستار؛ فوجدت (يوسف) يقف ويديه في جيبيه.

"فيه إيه؟"

"تمام يا جو؟"

ابتسمت له (نادين) وغمزت.

ضحك (يوسف) وأوماً برأسه:

"تمام يا (نادين)."

"أنا مش فاهمة حاجة!"

تركتها (نادين) ورحلت، نظرت (ملك) لـ(يوسف).

"فيه إيه؟"

في تلك اللحظة بدأت الموسيقى وفهمت (ملك) وخفق قلبها بشدة، مدّ

(يوسف) يده تجاهها.

"وعدتِك إننا هنرقص عليها في فرحنا."

أمسك بيدها وشدّها إليه.

"وهو فيه فرح بعد فرحة ولادنا يا ملك؟"

وضعت (ملك) يدها على كتفه وكادت تبكي، لقد أعطاه تلك اللحظة التي

قد تمتتها لسنين وحاولت تخيلها لعقود، لقد وعدا بالفعل أن يرقصا على نغمات

"سيناترا"، والآن بعد ثلاثين سنة جاء ليوفّي؛ فرقصت معه (ملك) وطافا في المكان

الصغير هما وطيف حكايتهما بعيدًا عن أعين الناس كما اعتادا؛ فهناك قصص حبّ

تحتفل مثل قصة ابنتها وابنه، وهناك قصص تُسرّد في الكواليس ويظل أبطالها كما غنّى

(سيناترا)...

"غرباء في الليل".



رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسخ مبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

